

نام كتاب: إثبات الوصية للإمام على بن أبي طالب

نويسنده: على بن حسين مسعودى

وفات: ۳۴۶ ق

تعداد جلد واقعى: ۱

زبان: عربى

موضوع: چهارده معصوم عليهم السلام

ناشر: انصاريان

مكان نشر: قم

سال چاپ: ۱۴۲۶ ق

نوبت چاپ: سوم

ص: ۵

كلمة الناشر

تشكل مسألة الامامة ركنا جوهريا في العقيدة الشيعية، حيث يؤمن اتباع مذهب أهل البيت (ع) بأن الأرض لا تخلو من حجة لله و إمام. و انطلاقا من هذا المعتقد الذى يستند الى فى تأسيسه الى منطق العقل يؤمن الاماميون بوجود الامام فى العصر الحالى و العصور الغابرة و اللاحقة و ان الحكمة الالهية اقتضت غيابه عن الانظار حتى تتمهد الظروف المؤاتية لظهوره.

على أن مسألة الايمان بالمهدى لا تتوقف على القواعد العقلية التى تقضى بانتفاء ضرورة استمرار النوع الانسانى فى غياب المثال الذى يجسد مسارها التكاملى.

فهناك الوثائق التاريخية التى سجلت ولادته فى الخامس عشر من شعبان سنة ۲۵۶ هـ، فى مدينة سامراء، اضافة الى حشد هائل من الروايات و الاحاديث الشريفة التى بشرت بظهور منقذ للبشرية فى آخر الزمان.

و الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ محاولة لمؤرخ كبير هو المسعودى، صاحب تاريخ «مروج الذهب» من اجل تقديم تفسير للحديث الشريف بأن الارض لا تخلو من حجة لله.

و «اثبات الوصية» يواكب تسلسل الحجج الالهية من لدن آدم و بدء تاريخ النوع البشرى على سطح الارض و حتى ولادة الامام محمد المهدي، و اختفائه عن الانظار.

و تمتاز هذه الطبعة الجديدة بتبويبها و تصحيحها مما علق بها من أخطاء فى التركيب اللغوى و بعض التواريخ، اضافة الى اعتماد قواعد الاملاء الحديث فى تركيب المفردات.

و لا ننسى أن ننتهز هذه الفرصة لنقدم شكرنا و تقديرنا الى كل من الاستاذ كمال السيد و الاستاذ عبد الرضا افتخارى على ما بذلاه من جهد فى إخراج هذا الكتاب بحلته الجديدة ... سائلين الله أن يوفقهما للمزيد من اعمال البرّ و الخير. انه سميع مجيب.

أنصارىان

ص: ٧

ترجمة المؤلف

هو ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الهذلى «١». من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابى و لذا قيل له المسعودى «٢». و هو جد الشيخ الطوسى «٣».

ولد فى «بابل» كما نص عليه فى «مروج الذهب»، ج ١، ص ٢٧٣ عند وصف الارض و البلدان و حنين النفوس للاوطان. قال:

«و اوسط الاقاليم الاقليم الذى ولدنا به و ان كانت الأيام أنأت بيننا و بينه و ساحقت مسافتنا عنه و ولدت فى قلوبنا الحنين إليه اذ كان وطننا و مستطنا و هو اقليم بابل و قد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا و قدره عظيما ... الخ».

و حينئذ فلا موقع لقول ابن النديم فى «الفهرست»، ص ٢١٩ أنه من اهل المغرب.

نشأ فى بغداد و أقام بها زمانا، و بمصر اكثر، و دخل البصرة فلقى بها ابا خليفة الجمحى «٤» و رحل فى طلب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس و كرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر فى «اصطخر» و فى السنة التالية قصد الهند الى ملتان و المنصورة ثم عطف الى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) و من هناك ركب البحر الى بلاد الصين و طاف البحر الهندى الى مداغسكر (مدغشقر) و عاد الى عمان و رحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان و جرجان ثم الى الشام و فلسطين.

و فى سنة ٣٣٢ جاء الى انطاكية و الثغور الشامية الى دمشق و استقر اخيرا بمصر و نزل الفسطاط سنة ٣٤٥ «٥» توفى فى مصر «٦»، فى جمادى الآخرة «٧» سنة ٣٤٥.

(١) الخلاصة للحلى، ص ٤٩.

(٢) آداب اللغة العربية، جرجى زيدان، ج ٢، ص ٣١٣.

(٣) رياض العلماء مخطوط.

(٤) طبقات الشافعية للسبكي، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٥) آداب اللغة العربية، ج ٢، ص ٣١٣، و معجم المطبوعات، ج ٢، ص ١٧٤٣.

(٦) لسان الميزان، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٧) شذرات الذهب، ج ٢، ص ٣٧١.

ص: ٨

عقيدته

كان اماميا اثنا عشريا و من الاجلاء الثقاة. و قد اعترف بذلك علماؤنا الاعلام. ففي «الخلاصة» للعلامة الحلي: ثقة من اصحابنا.

و لم يتعقب عليه الشهيد الثاني في «حواشى الخلاصة».

و فى «رياض العلماء» للمولى عبد الله المعروف بالافندى: كان شيخا جليلا متقدما فى اصحابنا الامامية عاصر الصدوق عليه الرحمة.

ثم حكى عن السيد الداماد فى حاشيته على اختيار رجال الكشى للشيخ الطوسى انه قال: شيخ جليل ثقة ثبت مأمون الحديث عند العامة و الخاصة.

و عدّه المجلسى (قدّس سره) فى «الوجيزة» من الممدوحين. و فى «البحار»، ج ١، فصل ٢ ذكر ان النجاشى عدّه من رواة الشيعة و لم يتعقب عليه.

و فى «فرج المهموم» للسيد ابن طاوس:

من العاملين بالنجوم الشيخ الفاضل الشيعى على بن الحسين المسعودى صاحب مروج الذهب.

و قال ابن إدريس الحلبي في «السرائر» في كتاب الحج:

هو من مصنفى اصحابنا معتقد للحق.

و قال أبو علي الحائري في «منتهى المقال»: هو من جلة العلماء الامامية و من قدماء الفضلاء الاثنا عشرية. و لم اقف الى الآن على من توقف في تشيع هذا الرجل.

و في «روضات الجنات»:

اشتهر بين العامة بانه شيعي المذهب.

ثم ذكر الشواهد على تشيعه و انه من الامامية الاثنا عشرية.

و حكى خاتمة المحدثين ميرزا محمد حسين النورى (قدّس سره) في «خاتمة

ص: ٩

المستدرک»، ج ٣، ص ٣١٠ كلمات العلماء في عده من ثقات الامامية ثم قال:

و لم يطعن عليه الا في تصنيف «مروج الذهب» و ليس بشيء، اذ هو بمرأى من هؤلاء و مسمع.

و المتأمل في خباياه يستخرج ما كان مكتوما في سريره، فانه ذكر من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام المقتضية لأحقيته بالخلافة شيئا كثيرا كحديث المنزلة و الطير و الغدير و الاخوة. و اصرح من ذلك ما ذكره في مروج الذهب، ج ١، ١٧ عند ذكر المبدأ و شأن الخليفة. و نص ما قال:

«و روى عن أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام انه قال: ان الله حين شاء تقدير الخليفة و ذرة البرية و ابداع المبدعات، نصب الخلق في صورة كالهباء قبل دحو الأرض و رفع السماء و هو في انفراد ملكوته و توحيد جبروته فأتاح نورا من نوره فلمع و نزع قبسا من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه و آله فقال الله عز من قائل: أنت المختار المنتجب و عندك مستودع نوري و كنوز هدايتي، من اجلك أسطح البطحاء و أمواج الماء و أرفع السماء و أجعل الثواب و العقاب و الجنة و النار و أنصب اهل بيتك للهداية و أوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق و لا يعيهم خفي و أجعلهم حجتى على بريتي و المنبهين على قدرتي و وحدانيتي.

ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية و الاخلاص بالوحدانية فقبل أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمدا و آله و أراهم ان الهداية معه و النور له و الامامة في آله تقدما لسنة العدل و ليكون الاعذار متقدما ثم اخفى الله الخليفة في غيبه و غيبها في مكنون علمه.

الى ان قال: فكان حظ آدم من الخير ما آواه من مستودع نورنا و لم يزل الله يخبئ النور تحت الزمان الى ان وصل الى محمد صلى الله عليه و آله فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا و باطنا و نديهم سرا و إعلانا.

و استدعى (عليه السلام) التنبيه على العهد الذى قدمه الى الذر قبل النسل. فمن وافقه

ص: ١٠

و اقتبس من مصباح النور المقدم اهتدى الى سيره و استبان واضح أمره، و من ألبسته الغفلة استحق السخط.

ثم انتقل النور الى غرائزنا و لمع فى ائمتنا فنحن انوار السماء و انوار الأرض فبنا النجاة و منا مكنون العلم و إلينا مصير الامور و بمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة و منقذ الامة و غاية النور و مصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين و اشرف الموحدين و حجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا و قبض عروتنا.

فهذا ما روى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على ابن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه و لم تتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار و طرقها لأننا قد اتينا على جميع ذكرها و اتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه و عزوناها إليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار و التطويل فى هذا الكتاب.

و على هذا فلا موقع لما فى لسان الميزان، ج ٤، ص ٢٢٥ من انه شيعى معتزلى و حيث لم يتحققه السبكى نسبه الى القيل، فقال فى «طبقات الشافعية»، ج ٢، ص ٣٠٧:

قيل كان معتزلى العقيدة.

مؤلفاته

ذكر النجاشى فى «الرجال»، ص ١٧٨:

له كتاب المقالات فى اصول الديانات و الزلف، و الاستبصار، و بشر الحياة، و بشر الابرار، و الصفوة فى الامامة، و الهداية الى تحقيق الولاية، و المعالى فى الدرجات، و الابانة فى اصول الديانات و اثبات الوصية و رسالة الى ابن صفوة المصيصى، و اخبار الزمان من الامم الماضية و الاحوال الخالية، و مروج الذهب.

و فى «أمل الآمل» للحر العاملى نقلا عن «حواشى الشهيد» على الخلاصة:

ان له كتاب الانتصار و آخر اسمه الاستبصار و آخر اكبر من مروج الذهب اسمه

ص: ١١

الايوسط و آخر اسماء القضا و التجارب و النصرة و مزاخر الاخبار و طرائف الآثار و حدائق الازهار فى اخبار آل محمد عليهم السلام و الواجب فى الاحكام اللواذب.

و فى «روضات الجنات»، ص ٣٧٩:

له كتاب ذخائر العلوم و ما كان فى سالف الدهور، و الرسائل و الاستذكار لما مر فى سالف الاعصار، و التاريخ فى اخبار الامم من العرب و العجم، و التنبيه و الاشراف و خزائن الملك و سر العالمين و البيان فى اسماء الائمة و كتاب اخبار الخوارج.

و فى بعض المواضع المعتبرة: له كتاب الادعية نسبة إليه الكفعمى فى مصباحه.

و فى «فهرست ابن النديم»، ص ٢١٩:

له اسماء القرابات و الرسائل.

و فى «لسان الميزان» لابن حجر، ج ٤، ص ٢٢٤:

له كتاب التعيين للخليفة الماضى.

و فى «فوات الوفيات» للكتبى، ج ٢، ص ٤٥:

له كتاب البيان فى اسماء الائمة.

و ذكر كتاب البيان فى اسماء الائمة ياقوت فى المعجم، ج ١٣، ص ٩٤.

كتاب اثبات الوصية

ذكره النجاشى فى الرجال

و العلامة الحلى فى الخلاصة

و الشهيد الثانى فى الحاشية عليها

و المجلسى عند ذكر الكتب التى ينقل عنها فى البحار

و ابو على الحائرى فى منتهى المقال

و الخونسارى فى روضات الجنات

و المحدث النورى فى خاتمة المستدرک

و الشيخ العلامة الشيخ عبد الله المامقانى فى تنقيح المقال.

ص: ١٢

و لعل ما ذكره ياقوت فى المعجم، و الكتبى فى فوات الوفيات من البيان فى اسماء الأئمة عين اثبات الوصية، كما ان ما ذكره ابن حجر فى لسان الميزان من كتاب تعيين الخليفة الماضى لعله يوافقه.

و الحجة الامام كاشف الغطاء فى كتابه «اصل الشيعة و اصولها»

و العلامة الشيخ آغا بزرك الطهرانى فى كتابه «الذريعة الى تصانيف الشيعة» فى الجزء الاول.

ص: ١٣

القسم الاول اتصال الحجج و الأنبياء من أينا آدم الى سيدنا محمد [ص]

ص: ١٥

مقدمة فى بدء الخليفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين و لا عدوان الا على الظالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين.

(روى) عن عالم اهل البيت (عليهم السلام) انه قال لشيعة: اعلموا العقل و جنوده و اعرفوا الجهل و جنوده تهتدوا.

فقيب له: انا لا نعرف الا ما عرفتنا.

فقال عليه السلام: ان الله جل و علا خلق العقل و هو اول خلق خلقه من الروحانيين من يمين العرش من نوره فقال له أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فأقبل. فقال له: خلقتك خلقا عظيما و كرمتك على جميع خلقى. ثم خلق الجهل من البحر الاجاج الظلمانى فقال له ادبر فلم يدبر ثم قال له اقبل فلم يقبل فلعه و قال له استكبرت، ثم جعل للعقل خمسا و سبعين جندا فلما رأى الجهل ما اكرم الله به العقل اضمر له العداوة و قال يا رب هذا خلق مثلى خلقتة و كرمتة و قويتة بالجنود و انا ضده فتضعفنى و لا يكون لى قوة فاعطنى من الجند مثل ما أعطيتة.

فقال: نعم، فان عصيت بعد ذلك اخرجتك و جنودك من رحمتى.

قال: قد رضيت.

ص: ١٦

فاعطاه خمسا و سبعين جندا. فكان ما اعطاهما من الجنود ما فسرّه العالم عليه السّلام و هو كما يوضع فى الجهة التى تتلوها إن شاء الله تعالى.

جند العقل

الخير وزير العقل، الاخلاص، العلم، التهيئة، الرفق، الستر، النفس، الصبر التذكر، التوبة، الدعاء، التصديق، الاسلام، الشهامة، المداراة، البركة، الرهبة، الحلم، النظافة، الراحة، الحفظ، المواساة، النشاط، السلامة، الحق، الايمان، الطمع فى الغفران، سلامة العيب، البر للوالدين، الصمت، العفو، السهولة، الحكمة، المودة، الفرح، الالفة، العدل، الامانة، التوكل، الصلاة، العفة، الحقيقة، التقية، الرحمة، الصفا، الوقار، الاستغفار، السخاء، الحب فى الله عز و جل، الفهم، الصوم، الزهد، التواضع، الانصاف، الحياء، الغنى بالله عز و جل، التعطف، المحافظة، الإغضاء، الصدق، الرجاء، المعرفة، الجهاد، الكتمان، التؤدة، الاستسلام، القصد، العافية، القناعة، الوفاء، الشكر، الرضاء، الرأفة، الحج، صون الحديث، المعروف، التسليم، اليقين، القوام، السعادة، الطاعة.

جند الجهل

الشر وزير الجهل، الكفران، البلادة، المكاشفة، الخرق، التبرج، الجحود، الكفر، الطمع، المماكرة، الجرأة، الاضاعة، التطاول، الباطل، الحرص، التهلك، العقوق، الافطار، البلاء، الخيانة، الغباوة، الرعنة، الرياء، السفه، الجور، القنوط، الانكار، الافشاء، الكبر، الهذر، البغض، السخط، الغلظة، النميمة، التسرع، الاذاعة، الكذب، الشؤم، الجهل، الغضب، المنكر، الحمية، الاستكبار، العدوان، الخلع، المحق، البلوى، الشره، المعصية، التجبر، الشك، الفرقة، المكاثرة، الشقاوة، الاستنكاف، الحسد، الجزع، البخل، السهو، الاصرار، الكسل، الغدر، الحرص لغير الله، التعب، النسيان، المنع، الحزن، الحقد، النكول، الصعوبة، الهوى، العداوة، القساوة، نبذ الميثاق، الانتقام، الخفة، الاغترار، القحة، البغى، الفقر، القطيعة، التهاون، العصبية.

ص: ١٧

فلا يجمع هذه الخصال كلها التى هى جنود العقل الا نبى أو وصى نبى أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان، فاما ساير المؤمنين فلا يخلو احدهم من بعض هذه الجنود للخير حتى اذا استكمل وصفا من جنود الجهل كان فى الدرجة العليا مع الأنبياء. تدرك معرفة العقل و جنوده بمجانبة الجهل و جنوده.

بدء الخليقة

و روى ان الله جل و علا خلق الجن و النسناس و أسكنهم الارض فسفكوا الدماء و غيّرُوا و بدلُوا فأهبط الله إبليس اللعين فى جند من الملائكة و كان اسمه عزازيل فأبادوا الجن و النسناس الى اطراف الارض و سكن إبليس و من معه العمران و كان

يحكم بين أهل الارض و يتشبه بالملائكة، و لم يكن منهم، و يظهر الطاعة لله عز و جل و يبطن المعصية، ثم لعنه الله، و أظهر معصية الله و حكم بخلاف ما أمر الله و غير و بدل فلما اراد- جل و علا- أن يخلق آدم (صلى الله عليه) و ذلك بعد أن مضى للجن و النسناس سبعة آلاف سنة و بعد ان مضى لابلis (لعنه الله) حين من الدهر كشف عن اطباق السماوات ثم قال للملائكة انظروا الى أهل الارض من خلقى.

فلما رأى الملائكة الفساد فى الارض و سفك الدماء عظم ذلك عليهم، فأوحى الله إليهم «إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» يكون حجة لى على من فى ارضى على خلقى.

فقال الملائكة «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ» فقالوا اجعله منا فانا لا نفسد فى الأرض و لا نسفك الدماء. فقال: «إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» انى اريد ان أخلق خلقا بيدي و أجعل من ذريته انبياء مرسلين و عبادا أئمة مهديين أجعلهم خلفاء على خلقى و حججا ينهونهم عن معصيتى و يندرونهم من عذابى و يهدونهم الى طاعتى و يسلكون بهم الى سبيلى و ابتر النسناس عن أرضى و أهل مردة الجن العصاة عن بريتى و خلقى و أسكنهم فى الهواء و فى أقطار الأرض و أجعل بين الخلق و بين الجن حجابا فلا يرى نسل خلقى الجن و لا يجالسونهم.

فقال الملائكة: «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ».

ص: ١٨

قال الله عز و جل «إِنِّى خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ».

و كان ذلك مقدمة من الله عز و جل فى آدم عليه السلام قبل أن يخلقه؛ احتجاجا به عليهم.

قال فاغترف - تبارك و تعالى - من ذات اليمين بيمينه غرفة من الماء العذب الفرات فصلصلها فجمدت ثم قال لها: منك أخلق النبيين و المرسلين و عبادى الصالحين الأئمة المهديين و الدعاة الى الجنة و أتباعهم الى يوم القيامة و لا أبالى (و لا أسأل عما أفعل و هم يسألون) يعنى خلقه.

ثم اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج من ذات الشمال فصلصلها فجمدت فقال لها: منك أخلق الخنازير و الفراعنة و أئمة الكفر و الدعاة الى النار و اتباعهم الى يوم القيامة.

و شرط - جل و عز - فى هؤلاء البدء ثم خلط الطينتين جميعا ثم أكفاهما مثله قدام عرشه.

و روى ان الله جل و علا فرق الطينتين ثم رفع لهما نارا فقال لهما ادخلوها نارى فدخلها اصحاب اليمين فكان أول من دخلها محمد و آل محمد عليهم السلام ثم اتبعهم أولو العزم من الرسل و أوصياؤهم و اتباعهم فكانت عليهم بردا و سلاما. و أبى أصحاب الشمال أن يدخلوها، فقال للجميع كونوا طينا باذننى ثم خلق منه آدم.

قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء و من كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء.

و قال العالم عليه السلام للذى حدثه من شيعته و مواليه: فما رأيت من فرق أصحابك و خلقهم ما أصاب من لطن أصحاب الشمال، و ما رأيت من حسن سيما و وقار أعدائك ما أصاب من لطن أصحاب اليمين.

و روى ان الله جل و عز أخذ عليهم الميثاق بالتوحيد و الرسالة و الامامة و ثبت المعرفة فى قلوبهم و نسوا الموقف و سيذكرونه. و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه.

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: كل مولود يولد على الفطرة (يعنى تلك المعرفة) ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين.

ص: ١٩

و روى أنه سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض من عذيبها و مالحها و مرّها و منتنها فجعلت الملوحة فى العينين و لو لا ذلك لذابتا و جعلت المرارة فى الأذنين و لو لا ذلك لدخلها الهوام و جعل التنن فى الانف ليجد الانسان الروائح الطيبة و جعلت العذوبة فى الفم ليجد به لذة المطعم و المشرب.

و لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام و نفخ فيه الروح و أمر بالسجود له و انما كان السجود لله تبارك و تعالى و الطاعة لآدم عليه السلام و امتنع ابليس حسدا له و طغيانا و قال «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

و أخطأ إبليس اللعين فى القياس لان الطين الذى خلق منه آدم أنور من النار لأن النار من الشجر و الشجر من الطين.

ثم قال ابليس: يا رب اعفنى من السجود لآدم حتى أعبدك عبادة لم يعبدك بها أحد.

فأوحى الله تعالى: لست أقبل شيئا من عبادتك الا الطاعة لآدم.

فأبى ابليس اللعين ذلك، فلعنه الله و غضب عليه و أمر الملائكة بإخراجه ثم قال له «وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» «قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» «قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ».

فسئل العالم عن السبب فى اجابته الى الإنظار. فقال له: انه لما هبط الى الأرض تحكّم فيها و غيّر و بدل، فغضب الله عليه فسجد أربعة آلاف سنة سجدة واحدة فجعل الله تلك السجدة سببا للاجابة للنظرة الى قيام صاحب الامر عليه السلام و هو يوم الوقت المعلوم.

قال: فقال اللعين «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» فروى أنه لا سلطان لابليس على المؤمنين فى اخراجهم من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام الى ولاية الجبت و الطاغوت، و له عليهم سلطان فيما سوى ذلك.

و روى ان رجلا سأل العالم عليه السلام عن قول الله عز و جل «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» فقال: ما زال منذ خلق الله آدم فى كل زمان دولتين دولة لله جل و عز و هى دولة الأنبياء و الاوصياء، و دولة لابليس. فاذا كانت الدولة للانبيا و الاوصياء عبد الله نبيّه فى الظاهر، و اذا كانت دولة ابليس (لعنه الله) عبد الله فى السر.

ص: ٢٠

هبوط آدم [ع]

قال: و كان مكث آدم فى الجنة فيما روى سبع ساعات الدنيا؛ روى أنه دخلها قبل زوال الشمس و خرج قبل ان تغيب، و أنها كانت جنة تطلع فيها الشمس و القمر. و لو كانت جنة الخلد لما أخرج منها، و أنه لما ذاق الشجرة انتزعت عنه زيتته و كان عليه أحسن الثياب و أنفوس الجواهر فاستتر بورق الموز ثم أمر الله جل و عز الملائكة باخراجه فاخذوا بيده ليخرجوه فقال اللهم بحق محمد و على و الحسن و الحسين تب على فاوحى الله إليه: اهبط الى الأرض حتى أتوب عليك، فهبط و أهبط معه من الحمرة، فلما استوى على الأرض مدّ بصره فرأى ابليس قد سبقه الى الأرض.

و روى انه لم يصعد آدم شجرة الا صعد ابليس بحباله شجرة مثلها فرفع آدم يده ثم قال: يا رب انك تعلم انى لم أطلقه و أنا فى جوارك، و قد أهبطته معى الى الأرض حتى أطيعه.

فأوحى الله إليه: يا آدم السيئة سيئة و الحسنة عشر الى سبعائة.

قال: يا رب زدنى.

فأوحى الله إليه: لا يأتى احد من ولدك بمثل الجبال من الذنوب ثم يتوب منها الا غفرت له.

قال يا رب: زدنى.

فأوحى الله إليه: أغفر الذنوب و لا أبالى.

قال: حسبى.

فقال ابليس: قد حلت بينى و بينه و منعنى منه.

فأوحى الله إليه: انه لا يولد له ولد الا ولد لك ولدان.

قال يا رب: زدنى.

فأوحى الله إليه: «يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا».

قال: حسبي.

ص: ٢١

فصار اللعين ضداً لآدم عليه السلام و ولده من ذلك الوقت.

و روى فى قول الله عز و جل «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَفسِيَّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» قال: عهد إليه فى النبى و الأئمة (صلى الله عليهم) فلم يكن له منهم عزيمة أى قوة. و انما سموا اولو العزم لأن الله (جل ذكره) لما عهد إليهم فى السيادة أجمع عزمهم ان ذلك كذلك.

و قد هبط آدم على الصفا و حواء على المروة، فاشتق للجبلين هذان الاسمان، و كان جبرئيل يأتيهما بأرزاقهما من الجنة ثم احتبس الرزق عنهما فاشتد جوعهما فنزلا الى الوادى بين الصفا و المروة فالتقيا و أكلا من ثمره.

و روى فى خبر آخر أمر الحنطة و الطحين و العجين و الخبز؛ قال: و لم يكن آدم يقارب حوا. و قال هو لها: انما فرق بيننا فى الهبوط لأنك قد حرمت علىّ، فمكثنا ما شاء الله على تلك الحال ثم هبط جبرئيل عليه السلام.

و كان من خبر حج آدم و الجمع بينه و بين حوا ما قص به، و من مولد هابيل و قابيل و نشوئهما، فكان هابيل راعى غنم و قابيل حراثا، فقال لهما آدم عليه السلام: انى احب ان تتقربا الى الله - عز ذكره - بقربان فلعله ان يتقبل منكما فتقرا بذلك عيني، فانطلق هابيل الى اكبر كبش فى غنمه فقرّبه، و انطلق قابيل الى شر ما كان له من الطعام و أنقصه فقرّبه، فتقبل الله قربان هابيل و لم يتقبل قربان قابيل، فحسد أخاه و اظهر عداوته ثم أخذ حجرا ففض رأس أخيه هابيل به حتى قتله.

و كان من قصة الغراب و الدفن ما قص الله به. و رجع قابيل الى آدم، فلما لم ير معه أخاه هابيل قال له: اين تركت أخاك؟

قال له قابيل: أرسلتني راعيا لاهنك؟

قال له: انطلق معى الى الموضع الذى فقدته فيه، فلما بلغ المكان و رأى آدم عليه السلام أثر قتل هابيل اشتد حزنه عليه و لعن قابيل و نودى من السماء: لعنت كما قتلت أخاك، و لعن آدم الأرض كما بلعت دم هابيل، فانبعثت الأرض بعد ذلك دما و صار يجمد عليها و يجف.

و انصرف آدم حزينا فبكى على هابيل أربعين يوما، فأوحى الله إليه: انى أهب لك

ص: ٢٢

مكانه غلاما أجعله خليفتك و وارث علمك، فولد له شيث و هو هبة الله، فأوحى الله إليه ان سمه فى اليوم السابع، فجرت سنة، فلما شب و كبر أوحى الله إليه انى متوفيك و رافعك إلى يوم كذا و كذا فأوص الى خير ولدك هبة الله و سلم إليه الاسم الأعظم و اجعل العلم فى تابوت و سلمه إليه فانى آليت الا اخلى أَرْضِي من عالم أجعله حجة لى على خلقى، فجمع آدم عليه

السّلام ولده الرجال والنساء ثم قال: يا ولدى ان الله عز وجل اوحى إلىّ انه رافعى إليه، وأمرنى ان اوصى الى خير ولدى هبة الله فانه قد اختاره لى و لكم من بعدى فاسمعوا له و أطيعوا أمره فانه وصيى و خليفتى. فقالوا: سمعنا و أطعنا.

فأمر بتابوت فعمل و جعل فيه العلم و الأسماء و الوصية ثم دفعه الى هبة الله و قال له:

انظر يا هبة الله فاذا انا مت فغسلنى و كفّننى و صلّ علىّ و أدخلنى حفرتى فى تابوت تتخذة لى. فاذا حضرت وفاتك و أحسست بذلك من نفسك فأوص الى خير ولدك فان الله لا يدع الخلق بغير حجة عالم منا أهل البيت و قد جعلتك حجة الله على خلقه فلا تخرج من الدنيا حتى تدع لله حجة و وصيا من بعدك على خلقه و تسلم إليه التابوت و ما فيه كما سلمته إليك، و أعلمه أنه سيكون نبيا و اسمه نوح يكون فى الطوفان و الغرق فمن أدرك فلکه و ركب معه فيه نجا و من تخلف عنه هلك. و أوص وصيك أن يحتفظ بالتابوت فاذا حضرت وفاته ان يوصى الى خير ولده و أكرمهم له و أفضلهم عنده، و ليوص من بعده الى من بعده. و احذر يا هبة الله الملعون قابيل و ولده و لا تتأكحوهم و لا تخالطوهم.

قال ثم اعتلّ آدم عليه السّلام فدعا (هبة الله) و قال له قد اشتفيت من فواكه الجنة.

و روى انه قال له: امض الى الجنة فجئنى منها بعنب.

فانطلق هبة الله لطلب ما أمره به، فاستقبله جبرئيل عليه السّلام و معه الملائكة فقال: اين تذهب؟

فقال: اشتهى آدم فاكهة فأمرنى ان اطلبها له.

فقال جبرئيل: أعظم الله اجرک فيه. ان اباك آدم قبضه الله جل و عز إليه. ارجع.

فرجع فوجده قد قبض (صلّى الله عليه و سلّم)، فغسله و الملائكة يعينونه، و كفّنه و كان جبرئيل عليه السّلام قد هبط من الجنة بكفنه و حنوطه.

ص: ٢٣

فلما وضع للصلاة عليه قال هبة الله عليه السّلام: تقدم يا روح الله فصل عليه.

قال جبرئيل: بل تقدم أنت فصلّ عليه فانك قد قمت مقام من امر الله له بالسجود.

فلما سمع هبة الله ذلك تقدم فصلّى عليه.

و أوحى إليه أن کبر خمسا و سبعين تكبيرة، بعدد صفوف الملائكة الذين صلوا عليه.

و دفن بمكة فى جبل ابى قبيس.

ثم ان نوحا عليه السّلام حمل بعد الطوفان عظامه فى تابوت فدفنه فى ظاهر الكوفة. فقبّره هناك مع قبر نوح فى الغرى، و تابوت أمير المؤمنين عليه السّلام فوق تابوتهما (صلى الله عليهم) فى موضع واحد.

و كان عمره الف سنة؛ وهب لداود منها سبعين سنة فصار عمره بعد ذلك تسعمائة و ثلاثين سنة، و كانت كنيته - فيما روى عن الصادقين عليهم السّلام - ابا محمد.

و روى: انه لما كان اليوم الذى اخبره الله عز و جل أنه متوفيه فيه تهيأ آدم عليه السّلام للموت و أذعن به، فهبط عليه ملك الموت (صلى الله عليه).

فقال له: دعنى حتى أتشهد و أثنى على ربى خيرا بما صنع لدى قبل ان تقبض روحى. فقال له ملك الموت: افعل.

فقال: أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له و أشهد أنى عبد الله و خليفته فى أرضه ابتدأنى باحسانه و خلقتنى بيده و لم يخلق بيده سواى و نفخ فىّ من روحه ثم أجمل صورتي و لم يخلق على خلقى أحدا مثلى ثم أسجد لى ملائكته و علمنى الاسماء كلها ثم اسكننى جنته و لم يكن يجعلها دار قرار و لا منزل شيطان و انما خلقتنى ليسكننى الأرض الذى أراد من التقدير و التدبير و قدر ذلك كله علىّ قبل أن يخلقنى، فمضت قدرته فىّ و قضاؤه، و نافذ أمره ثم نهانى عن أكل الشجرة فعصيته، فأكلت منها، فأقالنى عثرتى و صفح لى عن جرمى، فله الحمد على جميع نعمه حمدا يكمل به رضاه عنى.

ثم قبض ملك الموت عليه السّلام روحه (صلى الله عليه)، فصار التشهد عند الموت سنة فى ولده.

ص: ٢٤

فلما أفضى الأمر الى هبة الله عليه السّلام - و هو شيت بالعبرانية -

قام فى ولد أبيه بطاعة الله عز و جل و بما أوصاه به أبوه. و زاده الله فيما كان اهبطه الى آدم من الصحف خمسين صحيفة و شرفه بالحوراء التى أهبطها إليه من الجنة.

و اعتزل قابيل و ولده. و بنى الكعبة بالحجارة، و كانت قبل ذلك مكانها الحية التى انزلت من الجنة و قص خبرها، و كان قابيل و ولده فى اعلى الجبل، و هبة الله و ولده و شيعته فى أسفله، فنزل و جاء الى هبة الله عليه السّلام فقال له: قد علمت انك صاحب الأمر و ان اباك قد اوصى إليك و استودعك العلم و إن نطقت أو اظهرت شيئا من ذلك ألحقتك بأخيك هابيل فوضع هبة الله يده على فيه و أمسك، فلزمت الأوصياء التقية و الإمساك الى ان يقوم قائم الحق.

و أمر هبة الله ولده و الشيعة بالحضور عنده فى يوم من السنة، و كانوا اذا حضروا فتح التابوت و نظر فيه و جعل ذلك يوم عيد لهم.

و انما كان نظره فى التابوت توقعا لقيام القائم نوح عليه السّلام.

وكان عمر هبة الله تسعمائة سنة.

و روى ان ابليس اتى قابيل فقال له انما قبل قربان اخيك هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت أيضا نارا تكون لك و لعقبك، فبنى بيت نار فهو أول من نصب النيران و عبدها و سنّ الكفر فى ولد آدم، و كان الملك و التدبير و الامر و النهى له، و هبة الله صامت مغمور و هو صاحب الحق.

فلما حضرت وفاته اوحى الله إليه ان يستودع التابوت و الاسم الأعظم ابنه ريسان بن نزله و هى الحورية التى اهبطت له من الجنة اسمها نزله.

و روى ان اسم ريسان أنوش، فأخبره و سلم إليه التابوت و موارث الأنبياء و أمره بمثل ما كان آدم عليه السلام اوصى به إليه، و قال له: إن أدركت نبوة نوح فسلم إليه العلم و ما فى يديك.

و استخفت الامامة و جميع المؤمنين خوفا من قابيل و ولده يتوقعون من قيام نوح عليه السلام.

و مضى هبة الله و استخلف ريسان.

ص: ٢٥

قام ريسان (ابن نزلة الحورية) و اسمه أنوش عليه السلام بأمر الله (جل و علا)

و مات اللعين قابيل فأفضى الملك الى ابنه طهمورث فملك مائتين و ستا و ثلاثين سنة و وضع فى زمانه لباس الشعر و الصوف و اتخذ الدواب و الآلات و الانعام.

و استخفى أنوش الأمر و من اتبعه من المؤمنين. فمن آمن به كان مؤمنا، و من جحده كان كافرا، و من تخلف عنه كان ضالا.

فلما أراد الله ان يقبض أنوش اوحى الله إليه ان يستودع نور الله و حكمته و التابوت و الاسم الأعظم و العلم ابنه امحوق و اسمه أيضا قينان فأحضره و جمع ثقات شيعته و أوصى إليه و سلم جميع ما أمر بتسليمه إليه و أوصاه بما احتاج الى توصيته به و ذلك كله فى خفاء و تقية و ستر من طهمورث بن قابيل.

و قبض الله - جل و عز - أنوش، و قام من بعده بالامر امحوق و هو قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

فقام قينان بامر الله جل و عز

و ظهر ملك عوج بن عناق من ولد قابيل فى ذلك الزمان، و طغى و أفسد فى الأرض، و اشتد امر الشيعة و غلظت عليهم المحنة.

فلما حضرت وفاة قينان اوحى الله إليه ان يستودع نور الله و حكمته و التابوت و العلم ابنه الحيلث، فأحضره و جمع ثقات شيعته و اوصى إليه و سلم جميع مواريث الأنبياء و الاسم الأعظم إليه.

فلما قبض الله تبارك و تعالى قينان عليه السلام قام الحيلث بن قينان عليه السلام بأمر الله

مستخفيا من طهمورث و من عوج بن عناق و اولادهم و اصحابهم لكثرتهم و قوة امرهم و قلة المؤمنين على ما عهد إليه ابوه الى ان حضرته الوفاة فاوحى إليه ان استودع الاسم الأعظم و الحكمة و التابوت غنميشا، فأحضره و اوصى إليه بمثل ما كان اوصى به و سلم إليه ما فى يده من التابوت و العلم و مضى (صلى الله عليه).

ص: ٢٦

فقام غنميشا بأمر الله عز و جل على منهاج آبائه

فلما حضرته الوفاة اوحى الله إليه ان استودع نور الحكمة و ما فى يديك من التابوت و الاسم الأعظم اخنوخ و هو إدريس عليه السلام و هو هرمس، فأحضره و اوصى إليه و سلم إليه العلم و التابوت.

فلما قبضه الله جل و علا قام بالأمر بعده إدريس و هو هرمس و هو اخنوخ عليه السلام بأمر الله جل و عز

و جمع الله له علم الماضين و زاده ثلاثين صحيفة و هو قوله عز و جل ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم و موسى، يعنى الصحف التى انزلت على هبة الله و إدريس.

و كان اخنوخ جسيما وسيما عظيم الخلق. و سمي إدريس لكثرة دراسته فى الكتب.

و هو أول من قرأ و كتب و سنن الاسلام بعد هبة الله و أول من خاط الثياب و كان اللباس قبل ذلك الجلود.

فعند ذلك و فى ايامه ملك بيوراسب من ولد قابيل الف سنة و كان ولد قابيل الفراعنة الجبابرة لا يملكون و لا يقعدون على ترتيب الابن و ابن الابن كما يملك هؤلاء من ولد هبة الله فصار رسما لمن غلب من الظالمين الطغاة بعدهم يملك الرجل ثم يملك أخوه و ابن اخيه و ابن عمه و الأبعد دون الولد و ولد الولد.

و كان بيوراسب أول من احدث فى ملكه الفراسة فمن هناك سمي كتاب الفراسة و كان قد وقع إليه كلام من كلام اذب فاتخذة سحرا و أحاله عن معناه. و كان بيوراسب يعمل السحر بذلك الكلام و طغى فى الأرض و كان اذا أراد شيئا من مملكته نفخ بقصبة كانت له من ذهب فيأتيه بنفخته كلما يريد فمن هناك تنفخ اليهود بالشبور. فركب الجبار (لعنه الله) ذات يوم الى نزهة فمر برياض لرجال من شيعة إدريس عليه السلام حسنة خضرة فسأل عنها فقيل انها لرجل من الرافضة و كان من لا يتبعه على كفره و يرفضه يسمى رافضيا. فدعا به و قال له أ تبيعنى هذه الأرض فقال له عيالى أحوج إليها منك؟ فغضب و انصرف عنه. فشاور فى أمره امرأة كانت له و أخبرها بقوله فاشارت إليه بقتله فابى قتله الا بحجة عليه.

فقلت له: فانا أحتال لك فى قتله، ائت بقوم يشهدون عندك انهم قد سمعوه قد برئ منك و من دينك. ففعل و قتل ذلك المؤمن و أخذ ضيعته.

فغضب الله - جل و عز - للمؤمن و أوحى الى إدريس أن ائت هذا الجبار العنيد فقل له:

ما رضيت إن قتلت عبدى المؤمن حتى أخذت ضيعته و أفقرت عياله، أما و عزتى لأنتقمن له منك و لأسلبنك ملكك و لأخرين مدينتك و لأطعمن الكلاب لحم امرأتك.

فقال الجبار لإدريس: اخرج عنى و أرح نفسك.

ثم ان الملك اخبر امرأته بنبوة إدريس و ما قال له.

فقلت له: لا يهولك أمره فانى سأبعث إليه بمن يقتله اغتيالاً فجمع إدريس عليه السلام شيعته فأخبرهم بما أرسل به من الرسالة الى الجبار و ما قالت له امرأته، فأشفقوا عليه.

ثم ان امرأة الجبار بعثت بأربعين رجلاً ليقتلوا إدريس فقصدوا مجلسه الذى كان يجلس فيه و كان منزله مسجد السهلة بظاهر الكوفة فوجدوه قد تنحى عن القرية مع نفر من اصحابه. فلما كان فى السحر ناجى ربه و سأل ان لا يمطر السماء على اهل القرية و لا ما حولها حتى يسأله ذلك.

فاوحى الله إليه قد اجبتك.

فأخبر شيعته بذلك و أمرهم بالخروج من تلك النواحي، و كانت عدتهم عشرين رجلاً، فتفرقوا فى اقصى القرى و السواد. و صار إدريس الى كهف جبل شاهق و وكل الله به ملكاً باستطاعته فى كل ليلة و سلب الله ذلك الجبار ملكه و خرب مدينته و اطعم الكلاب لحم امرأته. و مكث إدريس غائبا عشرين سنة و أمسكت السماء من المطر، و الأرض عن النبات فقحط الناس و اشتد البلاء حتى هلك خلق منهم جوعاً، و اعلموا ان ذلك بدعوة إدريس عليه السلام فتضرعوا و سألوا الله العفو و التوبة. فاوحى الله الرحيم - جل و تعالى - الى إدريس انهم قد سألونى و قد رحمتهم فاسألنى حتى أمطر السماء و أنبت الأرض.

و ابى إدريس ذلك. فاوحى الله إليه: لم تسألنى فأجبتك و أنا أسألك ان لم تسألنى. فابى ان يسأله.

فامر الله الملك ان يحبس عنه الرزق و اوحى إليه ان اهبط من الجبل.

فهبط و قد اشتد جوعه فرأى دخانا فقصدته فوجد عجوزا كبيرة و قد خبزت قرصين على مقلّى. فقال لها: ايتها المرأة اطعمني فانى مجهود بالجوع.

فقالت له: هما قرصان احدهما لى و الآخر لولدى فان اطعمتك قرصى تلفت و ان أطعمتك قرص ابنى هلك.

فقال لها: ابنك صغير و نصف قرص يكفيه.

فأجابته. فأخذت القرص فكسرتة نصفين و دفعت إليه.

فلما رأى الصبى أنه شورك فى قرصه تضرّر و اضطرب و مات.

فقالت أمّه: يا عبد الله قتلت ولدى.

فقال لها إدريس: أنا أحبيبه بإذن الله.

فأخذ بعضدى الصبى ثم قال: أيتها الروح الخارجة ارجعى الى بدن هذا الغلام بإذن الله.

فلما سمعت المرأة كلامه و نظرت الى ابنها قد تحرّك و عاش قالت: اشهد إنك إدريس و خرجت تنادى بأعلى صوتها فى القرية: ابشروا بالفرج.

و جلس إدريس على تل من مدينة الملك الجبّار فاجتمع إليه نفر من شيعته فقالوا له:

ما رحمتنا هذه العشرين سنة قد مسّنا الضرّ و الجوع و الجهد ادع الله لنا فقال: لا أدعو حتى يأتينى الجبّار و جميع أهل مملكته مشاة حفاة.

و اتصل الخبر بالملك، فبعث بجماعة و أمرهم باحضاره فلما قربوا منه دعا عليهم فماتوا ثم بعث إليه بخمسمائة رجل فدعا عليهم فماتوا فصار أهل المدينة إلى الجبّار فقالوا: أيّها الملك إن إدريس نبيّ مستجاب الدعوة و لو دعا على الخلق لماتوا. و سألوه المصير إليه.

فصار إليه هو و أهل مملكته مشاة حفاة فوقفوا بين يديه خاضعين طالبين، فقال إدريس: اما الآن فنعم.

فسأل الله أن يمطرهم، فأظللهم سحابة من ساعتهم حتى ظنّوا أنه الغرق. فلم يزل إدريس يدبّر أمر الله و علمه و حكمته حتى ما ظهر من ذلك و ما بطن حتى أراد الله

عزّ و جلّ ان يرفعه إليه فأوحى إليه أن يستودع نور الله و الحكمة و التابوت ابنه برد فأحضره و أوصى إليه و سلّم إليه مواريث الأنبياء و رفعه الله جلّ و عزّ إليه و كانت سنه فى الوقت الذى رفع فيه ثلاثمائة و ستا و خمسين سنه لما أفضى الأمر الى برد بن اخنوخ.

و قام برد بن أخنوخ عليه السّلام بأمر الله عز و جل

فلم يزل قائماً يحفظ ما استودع و المؤمنون معه على حال تقيّة و استخفاء إلى أن حضرت وفاته فأوحى الله إلى برد أن أوص إلى ابنك اخنوخ فأوصى إليه و أمره بمثل ما كان أوصى به و مضى.

فقام أخنوخ بن برد بن أخنوخ عليهم السّلام

بأمر الله عز و جل إلى أن حضرته الوفاة على سبيل من تقدّمه من آبائه عليهم السّلام.

فلما قضى و توفى قام بالأمر ابنه متوشلخ بن أخنوخ عليهما السّلام بأمر الله عز و جل

و لم يزل يدين و يحفظ ما استودع سرا و خفاء على حال غيبة من الجبابرة من أولاد قابيل و أصحابه على منهاج آبائه عليهم السّلام يهدى إلى الحقّ و إلى طريق مستقيم فلما أراد الله قبضه أوحى إليه ان أوص إلى ابنك لمك و هو ارفخشد ففعل و مضى.

و قام لمك و هو ارفخشد بن متوشلخ عليه السّلام

بأمر الله جلّ و علا مقام آبائه (صلّى الله عليهم) فلما أراد الله أن يقبضه اختار جل و عز لإظهار نبوّته و رسالته القائم المنتظر ابنه نوحا عليه السّلام فأمر لمك بتسليم الأمر إليه و الاسم الأعظم و الوصية و التابوت و جميع علوم الأنبياء فأحضره و أوصى إليه و سلّم إليه جميع مواريث الأنبياء عليهم السّلام.

فلما مضى لمك عليه السّلام قام نوح بن ارفخشد بأمر الله تبارك و تعالى

و هو أوّل ذوى العزم من الرسل و أظهر نبوّته و أمره الله جلّ و علا بإظهار الدعوة فأقبل نوح عليه السّلام يدعو قومه و الملك فى بنى راسب و أهل مملكته عوج بن عناق و كان دعاؤه إيّاهم فى أوّل أمره سرّاً

ص: ٣٠

فلم يجيبوه فلم يزل يدعوهم تسعمائة و خمسين سنة كلّما مضى منهم قرن تبعهم قرن على ملّة آبائهم و كان اسمه عبد الغفار و إنّما سمّى نوحا لأنّه كان ينوح على قومه إذا كذّبوه و كان الذى آمن به العقب من ولد هبة الله و الذين كذّبوه العقب من ولد قابيل و عوج ابن عناق بنى عمّهم مع كثرتهم و عظم أمرهم و سلطانهم فى الأرض و كانوا إذا دعاهم يقولون له: أ نؤمن لك و اتبعك الأرذلون؟ يعنون العقب من ولد شيث، يعيرونهم بالفقر و الفاقة و أنّه لا مال لهم و لا عزّ و لا سلطان فى الأرض.

وكانت شريعة نوح عليه السلام التوحيد و خلع الانداد و الفطرة و الصيام و الصلاة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و بعث بعد أن صارت ثمانمائة و خمسين سنة يدعوهم فلا يزيدهم دعاؤه إلّا فرارا منه و طغيانا. فلما طال عليه تكذيب قومه و طال على شيعته الأمد صاروا إليه فقالوا له: يا نبي الله قد كنّا نتوقع الفرج بظهورك فنحن على مثل تلك الحال فادع الله لنا أن يفرّج عنّا فجاجى نوح ربّه.

فأوحى الله إليه: مر شيعتك فليأكلوا التمر و يغرسوا النوى فإذا صار نخلا فرّجت عنكم.

فأمرهم بذلك.

فارتد من أصحابه الثلث و بقى الثلثان صابرين فأكلوا التمر و غرسوا النوى و جلسوا يحرسون نباته و حمله حتى إذا حمل بعد سنين كثيرة أخذوا من ثمره و صاروا به الى نوح مستبشرين.

فجاجى الله فى ذلك.

فأوحى الله إليه: مرهم فليأكلوا من هذا التمر و ليغرسوا النوى فإذا أنبتت و أثمر فرّجت عنهم.

فأخبرهم بذلك فارتد الثلثان و بقى الثلث صابرين.

فأكلوا تلك الثمرة و غرسوا النوى و لم يزلوا يحرسونه عدّة من السنين حتى أثمر ثم أتوا نوحا عليه السلام فقالوا له يا رسول الله قد تفانينا و تهافتنا فلم يبق منا إلّا القليل و قد أدركت

ص: ٣١

هذه الثمرة من الغرس الثالث.

فنأدى نوح ربّه جل و علا و سأله و تضرّع إليه و قال: يا ربّ لم يبق من شيعتى الا القليل و ان لم أرجع إليهم بما فيه فرجهم تخوفت عليهم.

فأوحى الله إليه «أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحِينَا» و أمره أن يجعل جذوع النخل الأول عرض السفينة و الثانية جوانبها و الثالثة سقوفها.

فروى أنّ قومه مروا عليه و على شيعته و قد غرسوا النوى فجعلوا يضحكون و يقولون قد قعد (فلما قطع النخل و نحتته جعلوا يمرّون و يضحكون و يقولون قد) قعد نجارا فلما الف السفينة جعلوا يقولون قد جلس فى البر ملّاها.

و روى أنه عملها فى دورين و هما ثمانون سنة و كان طولها ألف و مائتى ذراع و عرضها مائة ذراع و ارتفاعها ثمانون ذراعا و كان بنيتها فى المكان الذى هو مسجد الكوفة.

و أوحى الله جل و عز إليه «لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» فعند ذلك دعا عليهم فقال «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا» فروى ان الله تعالى أعقم النساء قبل الغرق أربعين سنة فلم يغرق إلا الرجال البالغين.

و أوحى الله إليه ان احمل فى السفينة من كل زوجين اثنين. فحمل كل شيء إلا ولد الزنا.

و كان مبعاده فى إهلاك القوم أن يفور التنور ففار فجاءت ابنته فقالت ان التنور قد فار. فقام عليه السلام الى الماء فختمه فوقف حتى أدخل فى السفينة ما أراد إدخاله ثم جاء الى الخاتم ففضّه و كشف الطبق ففار الماء و أرسل الله إليهم المطر و زعموا ان التنور كان يفور و فار الفرات و فاضت العيون و الأودية «و نادى نُوحُ ابْنُهُ ... يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا» فأجابه بما قص الله فى كتابه.

و روى ان فرش الأنبياء عليهم السلام لا توطأ و ان الله جلّ و علا نفى عنه ان يكون ابنه لما لم يتبعه فقال له أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح، فأغرق الله الكفار و أنجى المؤمنين الذين كانوا فى السفينة.

ص: ٣٢

و روى ان السفينة طافت بالبيت سبعة أشواط وسعت بين الصفا و المروة ثم استوت على الجودى فى اليوم السابع. و الجودى فرات الكوفة الموضع الذى منه بدأت فصار الطواف حول البيت سنة.

و إنما سمى الطوفان لأن الماء طغى فوق كل شيء أربعين ذراعا و تصبب ماء الأرض وبقى ماء السماء فصار بحرا حول الدنيا. فماء البحر من بقية ذلك الماء و هو ماء سخط.

فخرج نوح عليه السلام و من معه من السفينة و عدّتهم ثمانية نفر، و روى ان عدّتهم أربعة نفر.

فلما رأى العظام قد تفرقت من ذلك الماء الحار هاله و اشتد حزنه فأوحى الله إليه: هذا آثار دعوتك. اما انى آليت على نفسى ألا أعذب خلقى بالطوفان بعد أبدا.

و أمره أن يأكل العنب الأبيض فأكله فأذهب الله عنه الحزن و خرج معه من السفينة ابنة واحدة من بناته و ثلاثة بنين و أربعة من المؤمنين و كان نوح التاسع، فجاء كل واحد من الأربعة من المؤمنين يخطب ابنته على حدته سرا من أصحابه بذلك فضاق ذرعا و شكا الى الله جل ذكره و قال يا رب لم يبق من أصحابي إلا هؤلاء الأربعة و كل قد خطب ابنتى و ان زوجت واحدا أغضب الباقون.

فأوحى الله إليه أن يأخذ كساء فيجعل ابنته تحت الكساء و يجعل معها هرة و قردة و خنزيرة و يستر الجميع ثم يرفع الكساء فانك ترى أربع جوار لا تعرف ابنتك منهن فزوج كل واحد من أصحابك بواحدة منهم.

فروى عن العالم عليه السلام أنه قال: فمن هناك تناسخ الخلق.

و عقد نوح فى وسط المسجد قبة فأدخل إليها أهله و ولده و المؤمنين إلى أن مصر الأمصار و أسكن ولده البلدان فسميت الكوفة قبة الاسلام بسبب تلك القبة.

ثم أوحى الله إلى نوح عليه السلام: قد انقضت أيامك فاجعل الاسم الأعظم و ميراث الأنبياء عند ابنك سام فإننى لا أترك الأرض بغير حجة عالم يكون على خلقى و أمره أن يبشّر المؤمنين بأن الله سيفرج عن الناس بنى اسمه هود يهلك من يكفر به بالريح. فمن أدركه فليؤمن به. و يأمرهم أن يفتحوا الوصية فى كل سنة و ينظروا فيها.

فدعا نوح عليه السلام ابنه سام و سلم إليه مواريث الأنبياء و أوصاه بكل ما وجب.

ص: ٣٣

و قبض عليه السلام و أنه كان له فيما روى ألف و أربعمئة و خمسين سنة. و فى خبر آخر أنه كان سنه حين بعث ثمانمئة و خمسين سنة. و لبث فى قومه تسعمئة و خمسين سنة و عاش بعد خروجه من السفينة خمسمئة سنة فكان عمره ألفى سنة و ثلاثمئة سنة.

و روى أيضا أنه عاش ألفى و ثمانمئة سنة و ان ملك الموت لمّا هبط لقبض روحه أتاه و هو جالس فى مشرقة الشمس فسلم عليه و عرفه ان الله عز و جل قد أمره بقبض روحه فقال نوح: اتركنى حتى انتقل من هذا الموضع.

فقام إلى فىء شجرة فنام تحتها ثم أذن لملك الموت فدنا منه فقال له: يا أطول ولد آدم عمرا كيف وجدت الدنيا؟

فقال: ما أذكر منها شيئا إلّا انتقالى من الشمس الى ظل هذه الشجرة.

فقبض روحه (صلى الله عليه) و تولى سام عليه السلام ابنه غسله و دفنه و الصلاة عليه.

و قبره فى ظاهر الكوفة بالغرى مع آدم عليه السلام.

و روى بين آدم و نوح عشرة أيام بينهما من السنين ألفى سنة و مائتى و اثنان و أربعون سنة. و كانت أعمار قوم نوح ثلاثمئة سنة.

و قام سام بن نوح عليهما السلام بأمر الله عز و جل

فآمن به شيعة نوح و أقام ولد قابيل و عوج ابن عناق على كفرهم و طغيانهم و خالف حام و يافث على أخيهام سام و لم يؤمنا به. و ولد لحام كنعان بن النمرود. و كان ملوك النبط من ولد حام و يافث و استخلف سام بالأمر و هو أبو النبيين و المرسلين و

الأوصياء و أبو العرب و العجم (صلى الله عليه)، و حام أبو الحبشة و السند و الهند، و يافث أبو البربر و الروم و الصقالبة و الترك.

فلما انقضت أيامه عليه السلام أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته و الاسم الأعظم و ميراث النبوة ابنه ارفخشذ عليه السلام فدعاه و أوصاه و سلم إليه.

و قام ارفخشذ عليه السلام بأمر الله تعالى

و حيث قام ارفخشذ عليه السلام بأمر الله تعالى آمن به شيعة أبيه و اتبعوه فعند ذلك ملك أفريدون و هو ذو القرنين و كان من قصته ان الله تبارك

ص: ٣٤

و تعالى بعثه إلى قومه فدعاهم الى الله فكذبوه و جحدوا نبوته ثم أخذوه فضربوه على قرنه الأيمن فأماته الله مائة عام ثم أحياه فبعثه فجحدوا نبوته و ضربوه على قرنه الأيسر فأماته الله مائة عام ثم أحياه و جعل دلائله في قرنيه فكان موضع الضربتين نورا يتلأأ و كان إذا غضب و صرخ خرج من قرنيه الرعود و البروق و الصواعق.

و ملكه الله مشارق الأرض و مغاربها و قتل به الجبارين و هو الذى أوقع ببيوراسب و كان من قصته ما نبأنا الله به من أمر ياجوج و ماجوج و السند و غير ذلك من المشرق و المغرب لا يدع جبارا إلّا قصمه. و كان زمانه زمان عدل و خصب و بركة.

و روى أن الخضر بن ارفخشذ بن سام بن نوح كان على مقدّمته و كان من قصّة الخضر ما جاءت به الرواية الثانية أنّه لما عرج بالنبيّ صلى الله عليه و آله إلى السماء مرّ معه جبرئيل عليه السلام فى بقعة من الأرض فاشتّم منها روايح المسك فسأل جبرئيل عليه السلام عنها فقال له: كان ملك من الملوك ذا عدل و حسن سيرة و كان له ابن واحد لا ولد له غيره فلما شبّ الولد اعتزل أباه و الملك و لزم العبادة و رفض الدنيا فاجتمع أهل المملكة الى الأب فوصفوا حسن سيرته فيهم و عرفوه و أنّهم مشفقون من حادثة تحدث عليه فيخرج الملك فى عقبه و سألوه أن يزوّج ابنه من بعض بنات الملوك لعلّ الله عز و جل أن يرزقه ولدا ذكرا من ابنه هذا يكون الملك له بعد الملك إذ كانوا آيسين من تقلّد ابنه الزاهد شيئا من أمره.

فاختار الملك بعض بنات الملوك فزوّج ابنه بها ثم احضرها فعرفّها صورة أمر ابنه الزاهد و سألها أن تتألفه و ترفق به و تحسن خدمته مقدار أن يرزقه الله تعالى منها الولد.

و زيّنها بأحسن الزينة و أمر بإدخالها إليه فدخلت و هو يصلّى فلما فرغ من صلاته التفت إليها فسألها عن شأنها فأخبرته ان أباه زوّجه بها و أنّها من بنات الملوك و قالت له: أنّك لا تستغنى عمّن يخدمك و يؤنسك و يعينك على أمرك، فرقّ لها ثم قال لها: خير القول أصدقه، أنّى لست من الدنيا و أسبابها فى شيء، فإن أردت المقام معى على هذا أبشك سرّى على أن تكتميه و إلّا فلا.

فأجابته الى المقام معه و وجّه الملك إليها يسألها عن حالها فأخبرته أنها بخير. فأخبر

ص: ٣٥

بذلك أهل المملكة فاستبشروا ثم أتوا إليه بعد مدّة فسألوه البعثة إليها و مسألتها هل بها حمل فوجّه إليها الملك بذلك فقالت لرسوله أنها بخير و على ما تحبّ. فلم تسأل أنها حملت.

فلما مضى من الأيام أكثر من مدّة أيام الحمل و هى على حالها استحضرها و سألها عن حالها فلم تخبره و قالت أنا بخير و ما أزيد على هذا شيئا. فأحضر القوابل فنظرن إليها فوجدنها بكرا.

فأحضر الملك أهل مملكته و عرفهم ذلك فأشاروا أن يفرّق بينهما و ان يزوجه امرأة ثيبا قد عرفت الرجال، لتعامله بما يبعثه على القرب منها. ففعل الملك و أحضر المرأة و قال لها ما أردادها و وصّاها و وجّه بها إليه.

فلما نظر إليها ابنه خاطبها بمثل ما كان خاطب به الاولى فأجابته بذلك الجواب فأنس بها و عرفها صورة أمره فأقامت معه ما شاء الله.

ثم ان الملك بعث إليها يسألها عن حالها فوجهت إليه أنها مع رجل كالمرأة لا حاجة لها فيه.

فأحضره الملك فأغلظ عليه فى القول ثم حبسه فى بيت و سدّ الباب فى وجهه و تركه ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الثالث فتح الباب فلم يجده فى البيت فهو الخضر عليه السّلام.

ثم خرج من مدينة ذلك الملك رجلان فى تجارة فركبا البحر فكسر بهما فخرجا فى جزيرة من جزائر البحر فوجدا فيها رجلا يصلى فلما فرغ من صلاته سألهما عن حالهما فعرفاه و شأنهما و ذكرا بلدهما فعرفهما و اجتازت به سحابة فدعا بها و سألها إلى أين أمرت أن تمضى فعرفته فقال لها: امضى الى حيث أمرت. ثم دعا بسحابة اخرى فسألها فأخبرته أنها أرسلت لتمطر فى موضع كذا و كذا. فأمرها بأخذ الرجلين على ظهرها الى منازلهما فبعثت السحابة و ألقت كلّ واحد منهما على سطح دار قد عرفاه جميعا.

فنزل أحدهما من السطح واضعا فى نفسه الكتمان و نزل الآخر واضعا فى نفسه الإذاعة فلم يستقر فى منزله حتى صاح بصيحة الى الملك فحمل إليه فأخبره ان ابنه فى الجزيرة و وصفها له فسأله كيف نعلم صدقك؟ فقال له: كنت و فلان، و حدّته بحديثهما

ص: ٣٦

فأحضر الملك الآخر فسأله فجحد و ألحّ عليه فأقام على الجحود فقال المذيع للملك:

وجّه معى بجماعة حتى أتاك به فان لم أفعل افعلن بى ما تشاء. ففعل الملك ذلك و حبس الرجل المنكر فرجع المذيع و الجماعة فأخبروا أنّهم لم يصادفوا أحدا. فأطلق الملك الرجل المنكر و صلب المذيع.

ثم عمل أهل تلك البلدة بالمعاصى فأمرنى الله أن أقلب تلك المدينة على أهلها فرفعتها حتى صارت فى الهواء ثم قلبتها فلما صارت على وجه الأرض خرج منها رجل و امرأة و ساخت المدينة بأهلها فكان الرجل الذى كتم على الخضر و المرأة التى كتمت عليه فاجتمعا و حدث كل واحد منهما صاحبه بأمره فتزوجها الرجل و أولدها أولادا و احتاجا إلى خدمة الناس فاتصلت المرأة بابنة الملك فبينما هى ذات يوم تسرح رأسها سقط المشط من يدها فقالت «تعس من كفر بالله» فأخبرت ابنة الملك أبابها بما قالت فدعا المرأة فأقرت له بقولها، فأحضر زوجها و أولادها فاستتابهم و دعاهم إلى دينه فأبوا عليه، فعلى لهم الزيت ثم كان يطرح فيه واحدا بعد واحد و هم مقيمون على أمرهم، فلما بلغ إليها قال لها قبل أن يطرحها: هل لك من حاجة؟ قالت: نعم تحفر لجماعتنا حفيرة و تأمر بدفننا فيها ففعل.

فرائحة تلك الحفيرة يفوح منها المسك إلى يوم القيامة.

ثم كان من قصّة الخضر مع موسى عليهما السلام ما هو مبين فى موضعه. و كان ملك ذى القرنين خمسمائة عام ثم ملك بعده منوشهر مائة و ست و عشرين سنة و هو الذى كرى الفرات يعنى حفره و اتخذ الأساورة و الزى و السلاح و الضياع و البساتين و كان زمانه زمان صلاح و لين.

فلما حضرت ارفخشذ النبىّ المغمور الصامت عليه السلام الوفاة أوحى الله جل و عز إليه أن يستودع أمر الله و نوره ابنه شالح فدعاه و أوصى إليه بما كان أبوه أوصاه به و سلّم إليه ما فى يده.

فقام شالح عليه السلام بأمر الله عز و جل

و معه المؤمنون و سلك سبيل آبائه و جرى مجراهم

ص: ٣٧

و على سنّتهم إلى أن حضرته الوفاة فأمره الله أن يستودع الأسماء و الحكمة و النبوة إلى ابنه هود (صلّى الله عليه) و دعاه إليه و أوصى و مضى عليه السلام.

و قام هود بن شالح بأمر الله جل و علا

فأظهر الله تبارك و تعالى نبوته فسلم له العقب من ولد سام و قال الآخرون من ولد حام و يافث و كان هود عليه السلام أشبه الناس بآدم (صلّى الله عليه) و كان تاجرا.

و روى أنّ طولهُ كان أربعين ذراعاً و كانت أعمار أهل زمانه أربعمئة سنة و كانت منازلهم فى أحقاف الرمل الذى فى طريق مكّة و كانت جبالا و عيونا و مراعى فطحنتها الرياح فصارت رمالا و كانوا قد عذبوا بالقحط ثلاث سنين فلم يرجعوا عمّا هم عليه و بعثوا وفدا منهم إلى مكّة ليستسقوا قال: فرفعت لهم ثلاث سحائب فاخترأوا منها التى فيها العذاب و هى الريح الصرصر فعصفت عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما و كان رئيسهم الخلجان فقالوا من أشدّ منّا قوّة نحن ندفع الريح أن تدخل مدينتنا فقاموا متضامين بعضهم إلى بعض فكانت الريح ترمى بهم كأجذاع النخل فصار الخلجان الى هود فقال له: انا نرى الريح اذا أقبلت أقبل معها خلق كمثل الآباء معهم الأعمدة هم الذين يفعلون الأفاعيل بنا.

فقال لهم هود: أولئك الملائكة. فقال له الخلجان: أفترى ربّك ان نحن آمنّا بك يدبّل لنا منهم؟

قال هود: ان أهل الطاعة لا يدال منهم لأهل المعاصى و لكنّى أسأل الله أن يكشف عنكم العذاب.

فقال الخلجان: فكيف لنا بالرجال الذين هلكوا؟

قال هود: بيد لكم الله بهم من هم خير منهم.

فقالوا: لا خيرة لنا فى الحياة بعدهم.

فأهلكهم الله بالريح.

فلما انقضت أيام هود بعدهم أمره الله عز و جل بأن يستودع أمر الله و نوره و حكمته

ص: ٣٨

ابنه (فالغ) فدعاه و أوصى إليه.

و مضى هود (صلّى الله عليه) و دفن فيما روى على شاطئ البحر تحت جبل على صومعة.

و روى أنّه صار الى مكّة هو و شيعته بعد أن أهلك الله قومه فأقام بها إلى أن مات صلوات الله عليه.

و قام فالغ بن هود عليهما السلام بأمر الله جل جلاله بعد أبيه هود

و سلك مسلكه و جرى فى الأمور و السيرة مجراه حتى إذا حضرت وفاته و انقطع أجله أوحى الله تعالى إليه أن يستودع النور و الاسم الأعظم ابنه يروغ فدعاه و أوصى إليه و مضى عليه السلام.

فقام يروغ بن فالغ عليهما السلام بأمر الله جل و عز

و ملك الأرض فى أيامه فراشيات اثنتى عشرة سنة و كانت معه ساحرة تعمل السحر و لم يزل يروغ بن فالغ القائم بأمر الله مستخفيا الى أن قتله الجبار فى زمانه من ولد عوج بن عناق (لعنه الله) و قتل من أولاده خمسة كلهم أنبياء و أوحى الله جل و عز فى ذلك الزمان إلى ألف و أربعمئة نبي أن يقتلوا أهل ذلك الزمان و من كان أعان على قتل يروغ و أولاده ففعلوا.

فعند ذلك ملك طهمسعان مائتين و ثمانى و تسعين سنة فكثر الخصب فى زمانه و عمل البساتين و زكت الزروع و الغروس و أعان ولد عوج على الأنبياء حتى قتل منهم ثمانمئة و أربعة عشر نبيا.

فقام نوحا بن أمين عليه السلام بالأمر لما اختاره الله

و جمع له أنبياء ذلك الزمان فاجتمع إليه المؤمنون و الشيعة و الصديقون و ورثه الله العلم و الحكمة و ما كان خلفه يروغ بن فالغ من مواريث النبوة فلم يزل يجاهد حتى رفعه الله إليه من غير موت، و أمره قبل أن يرفعه إليه أن يستودع نور الله و حكمته صاروغ بن يروغ بن فالغ فأوصى إليه و سلم ما فى يده إليه.

ص: ٣٩

و قام صاروغ بن يروغ عليه السلام مقام آبائه (صلوات الله عليهم)

فلما حضرته وفاته أوحى الله إليه أن يستودع الاسم الأعظم و النور ابنه تاجور بن صاروغ ففعل و أوصى و سلم إليه و مضى على منهاج آبائه صلوات الله عليهم.

و قام تاجور بن صاروغ عليه السلام و ولده بأمر الله جل و علا

فمن آمن بهم كان مؤمنا و من جحدهم كان كافرا و من جهل أمرهم كان ضالا ثم أوحى الله إليه أن يستودع الاسم الأعظم و ميراث النبوة و ما فى يده تارخا ابنه ففعل صلى الله عليه.

و قام تارخ و هو ابو ابراهيم الخليل (صلى الله عليهما) بالأمر

فى أربع و ستين سنة من ملك رهو بن طهمسعان، و فى رواية اخرى أربع و ثمانين سنة و هو نمروذ.

و إبراهيم (صلى الله عليه) اختاره الله جل و علا لنبوته

و انتجب لرسالته و تفصيل حكمته خليله إبراهيم (صلى الله عليه) و كان بين نوح و إبراهيم عليهما السلام ألف سنة.

و روى عن العالم عليه السلام أنه قال: ان آزر كان جد إبراهيم لأمه منجما لنمرود و هو رهو ابن طهمسعان فنظر فى النجوم ليلة فقال لنمرود: قد رأيت الليلة عجبا و هو حال مولود فى أرضنا يكون هلاكنا على يديه و لسنا نلبث إلّا قليلا حتى تحمل به أمه. فأمر الملك فحجب الرجال عن النساء فلم يترك امرأة فى المدينة و كان تارخ عنده ابنة آزر أم إبراهيم عليه السلام فحملت به

فظنَّ آزر أنه هو فأرسل الى نساء من القوايل فنظرن فألزم الله ما فى الرحم الظهر فلم يرين شيئا فى بطنها فلما وضعت إبراهيم عليه السلام أراد آزر أن يذهب به الى نمرود فقالت له ابنته: لا تذهب به إليه فيقتله و لكن دعنى حتى أذهب به الى بعض الغارات فأجعله فيه حتى يجيء أجله فأجابها، فذهبت به الى غار فى الجبل فوضعت فيه و جعلت على باب الغار صخرة و انصرفت عنه فأنزل الله عز و جل رزقه فى إبهامه فجعل يمصّها فتشخب لبنا و جعل يشب فى اليوم ما يشب غيره فى شهر و ألقى الله عليه المحبة

ص: ٤٠

من امّه و كذلك سبيل الأنبياء و الأئمة عليهم السلام.

و مضى تارخ؛ و ابراهيم مولود صغير، و مكث حيناً غائبا، و جاءت امّه لتعرف خبره فإذا هى به و عيناه تزهران فأخذته و ضمّته إلى صدرها و أرضعته و انصرفت عنه فأخبرت أباهّا أنّها مضت فما رآته و كانت تأتية فى ذلك الغار إلى أن تحرّك فانصرفت عنه ذات يوم فأخذ بثوبها فقالت له: ما لك؟ فقال: اذهبي بى معك. فقالت له: حتى استأذن أباك.

قال: فأتت أباه فأخبرته الخبر فقال لها: اقعديه على الطريق فإذا مر به اخوته دخل معهم حتى لا يعرف. ففعلت ذلك به، فلما رآه أبوه ألقى الله عليه محبته له.

فبينما قومه يعملون الأصنام إذ أخذ ابراهيم عليه السلام خشبة و أخذ الفأس و نجر منها صنما لم يروا مثله قط فقال آزر لامّه، انى لأرجو أن أصيب خيرا كثيرا ببركة ابنك هذا.

فأخذ إبراهيم الفأس فكسّر الصنم. فأنكر ذلك أبوه عليه. فقال له إبراهيم: و ما تصنعون به؟ قال: نعبده. قال إبراهيم: أ تعبدون ما تتحتون بأيديكم؟! فقال آزر جدّه هذا الذى يكون ذهاب الملك على يده. قال: فلما شبَّ إبراهيم عليه السلام و كبر صار يجادل قومه فى الله جل و عز و يخاصمهم و كان رفيقا بالغريب و الضعيف و يقرى الضيف حتى سمى أبو الأضياف.

ثم بعثه الله عز و جل بالحنيفية و التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد و إقامة الصلاة و الصيام و الحجّ و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و جميع شرايع الاسلام و سننه، و بالختان و التنظيف و التطهير. و أعطاه الله جميع ما أعطى الأنبياء و زاده عشر صحائف و كشف الله عز و جل له عن الأرض فنظر الى جميعها.

و كان من قصته فيما دعا به على الرجل الزانى و ما أمره الله فى ذلك و فى قوله و قد رأى جيفة بعضها فى البر و بعضها فى البحر و دواب البر و البحر يأكل منها ثم يأكل بعضها بعضا «أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى» ما قص الله جل و تعالى به و جاءت الرواية بشرحه ما هو مشهور.

و شاع خبره عليه السلام فقبض عليه و أتى به الى نمرود و أخبر خبره فبنى له حيزا و جمع فيه الحطب و أحرق، ثم وضع فى المنجنيق ليرمى به الى النار فلما صار بين الكفة و النار

ص: ٤١

ضجّت الملائكة فقالوا يا ربّ خليلك ما فى أرضك من يعبدك غيره. فأوحى الله عز و جل إليهم: امضوا إليه و امسكوا أمره.

فسبق جبرئيل عليه السّلام و هو بين المنجنيق و النار فقال له: يا إبراهيم هل لك من حاجة؟

فقال: أما إليك فلا. فلما تنحى عنه جبرئيل دعا بسورة التوحيد فقال: اللهم أنى أسألك بحق محمّد و على و فاطمة و الحسن و الحسين نجّنى من النار.

فأوحى الله الى النار: «كونى برداً و سلاماً على إبراهيم».

فروى ان النار لم تحرق شيئاً ثلاثة أيام و لم يسخن الماء مخافة من عذاب الله ثم بعث الله إليه بقميص من ثياب الجنة و لبسه و كان عليه حتى كساه اسحاق ثم ورثه يعقوب ثم يوسف و هو القميص الذى وجد يعقوب ريحه.

قال: و أشرف نمرود على النار و بعد ثلاثة أيام فوجد إبراهيم سليماً قاعدا فقال لأصحابه: إذا عبد الناس فليعبدوا مثل إله إبراهيم.

و كان نمرود أوّل من لبس التاج و أظهر التجبّر و الكبر فأمر بإبراهيم فاخرج إليه و أمره بالخروج عن دار مملكته و بلده و منعه ماله و ماشيته فحاكمهم إبراهيم عند ذلك الى قاضى المدينة فقال: ان أخذتم ماشيتى و مالى فردوا علىّ ما ذهب من عمرى فى بلادكم.

فقضّى لإبراهيم على نمرود بردّ ما ذهب من عمره عليه أو ردّ ماله و ماشيته فأمر نمرود بردّ ماله و ماشيته عليه و تخلية سبيله.

فخرج من أرض كويى فأتى نحو بيت المقدس و عمل تابوتا حمل زوجته سارة لأنّه كان غيورا و كان من قصّة الجبار القبطى ما كان من خروجه و تشييعه لإبراهيم و ما أوحى الله إلى إبراهيم أن لا تمش قدام الجبار و اجعله امامك و ما قاله القبطى فى جواب ذلك لإبراهيم ان إلهك حلیم كريم رفيق؛ ما قد قص.

و سار إبراهيم حتى نزل بأعلى الشامات و نزل لوط و كان ابن اخته نازلها و كان بينهما فيما روى ثمانية فراسخ.

و ابتاع إبراهيم عليه السّلام هاجر من سارة فوقع عليها فحملت و ولدت اسماعيل عليه السّلام و هو الذبيح و هو أكبر أولاده و من اسحاق بخمس سنين و كان من قصّة اسماعيل فى الذبح ما

ص: ٤٢

قص الله به.

و ولد اسحاق من سارة فلما بلغ ثلاث سنين أقبل إسماعيل إلى اسحاق و هو فى حجر أبيه إبراهيم فنحاه و جلس مجلسه و نظرت به سارة و قالت يا إبراهيم تنحى ابنى اسحاق من حجرى و تجلس مكانه ابن هاجر لا و الله لا تجارونى هاجر و ابنها فى بلد أبدا.

فشقّ ذلك على إبراهيم. فلما كان فى الليل أتاه آت برؤيا الذبح فلما حضر الموسم انطلق بإسماعيل و أمّه هاجر الى مكّة و دخلها فبدأ ببناء قواعد البيت و كان الطوفان ثلم شيئا منه فرفع القواعد و إسماعيل معه يعينه على البناء ثم خرج الى منى ثم خرج الى مكّة بعد الحجّ فلما ان صار فى السعى قال لإسماعيل «يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» فى الموسم فى عامى هذا فما ذا ترى.

«قال يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ».

فانطلق إبراهيم إلى منى فى يوم النحر فلما انتهى الى الجمرّة الوسطى كان من الأمر ما قصّ الله به فداه الله بالكبش و رجع إبراهيم عليه السّلام و معه إسماعيل إلى مكّة فأقام بها ما شاء الله ثم ودّع اسماعيل و أمّه هاجر لينصرف عنهما فبكيا فقال لهما إبراهيم ما يبكيكما؟

و قد جعلتكما فى أحبّ البقاع إلى الله جل و عز. فقالت له هاجر: ما كنت أرى نبيا مثلك يخلف امرأة ضعيفة و غلاما ضعيفا لا حيلة لهما فى مكان قفر لا أنيس له و لا زرع و لا ضرع.

فرق إبراهيم و دمعت عيناه و أقبل حتى انتهى إلى باب الكعبة و أخذ بعضادتى الباب ثم قال اللهم «إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إلى قوله ...

يشكرون.

فأوحى الله إليه ان اصعد أبا قبيس و ناد: يا معشر الخلائق ان الله يأمركم بحجّ هذا البيت من استطاع إليه سبيلا فريضة من الله.

قال: فمدّ الله لإبراهيم صوته ثم أسمع أهل المشرق و أهل المغرب و جميع ما بينهما و جميع ما قدّر الله و ما فى أصلاب الرجال و أرحام النساء إلى يوم القيامة. فالتلبية من

ص: ٤٣

الحاجّ إجابة النداء.

و روى ان جبرئيل عليه السّلام حفر زمزم فنبع الماء فحجزها من حول الماء فلولا ذلك لساحت على الأرض.

و روى ان هاجر و اسماعيل كانا فى ذلك الوقت قد صعدا إلى الجبل فى طلب الماء فلما بصرت هاجر الى الماء صارت إليه و صاحت بإسماعيل بالعبرانية فأجابها بالعربية.

ليبيك لبيك. و نسي ذلك اللسان فهو أول من تكلم بالعربية في ذلك الزمان.

و روى في خبر آخر أنها صاحت به فصار إليها فلما نظر الى الماء و كان عطشانا انكب عليه فشرب منه و رفع رأسه و قال «الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله» و نسي اللسان الأول بالعبرانية.

و روى في خبر آخر ان هاجر لما عطش إسماعيل جعلت تسعى من الجوع بين الصفا و المروة فلقبها جبرئيل عليه السلام فتعلق بها فجزعت و جذبت نفسها منه.

فقال لها: من أنت؟.

فقال أنا أم إسماعيل ولد إبراهيم خليل الرحمن.

فقال لها: فعلى من خلفك؟

فقال له: قد قلت مثل مقالتك، فقال: وكلتكم إلى الله جلّ و علا وحده لا شريك له.

فقال لها: اما أنه وكلّك إلى كاف كريم.

و أمر الله عز و جل قطعة من بلاد الأردن فانقطعت بأشجارها و ثمارها فطافت بالبيت اسبوعا ثم استقرت فسميت الطائف ليلحق اسماعيل الخصب و الرفاهة.

و لما شخص إبراهيم الى الشام كان يأتي إسماعيل و هاجرا زائرا فأنكرت سارة ذلك و أحلفته أن لا يبيت عندها و كان يكرمها و يعظمها لأنها كانت من أولاد الأنبياء المؤمنين.

و كان إذا اشتاق إسماعيل يركب حمارا له ابتر الذنب ثم يأتي مكة و يقضى وطره من النظر إلى اسماعيل و هاجر و يرجع فيبيت بالشام.

ثم ماتت هاجر عليها السلام فدفنها إبراهيم عليه السلام في الحجر؛ و الحجر من الكعبة. فكان إبراهيم

ص: ٤٤

يأتي بعد ذلك زائرا فأثاه يوما لم يصادفه فجمع أولاد إسماعيل و زوجته الجهرمية و دعا لهم و برهم فلما رأت المرأة ذلك سألته النزول عندهم و الغداء معهم فأبى. فسألته شرب اللبن ففعل. و استأذنته في غسل رأسه و هو على راحلته و قربت الجهرمية إليه حجرا فوضع إحدى رجليه عليه و دلت رأسه فغسلت إحدى شقيّه و ألان الله ذلك الحجر تحت قدمه حتى غاصت قدمه فيه ثم دارت الحجر إلى الجانب الآخر فغسلت الشق الآخر من رأسه و شعره و انغمست قدمه اليسرى في الحجر فهو المقام.

و رجع عليه السّلام الى الشام. فلما قربت وفاته قالت له سارة: قد كبرت و قرب أجلك و زيد فى عمرى فتعبد و أنت خليل الرحمن فسأل الله أن ينسى فى أجلك و يزيد فى عمرى فتعيش معنا فسأل إبراهيم ربّه فأوحى الله إليه قد أجبتك إلى ما سألت و لن أتوفاك حتى تسألنى ذلك فأخبر إبراهيم سارة بذلك فقالت: أشكر الله و اعمل طعاما تدعو إليه المؤمنين.

فعمل طعاما و جمع الناس للأكل. و كان فيمن أتاه رجل كبير السن مكفوف. فلما جلس تناول من الطعام و أهوى به الى فيه فجعلت يده ترتعش و تذهب يمينا و شمالا من ضعفه ثم أهوى بيده الى جبهته مرّة و إلى عينه مرّة من الكبر و الضعف.

فلما رأى إبراهيم ذلك قال: اللهم توفنى فى الأجل الذى كتبته لى فى الزيادة عليه.

و روى أنّه سمى خليل الله لرفقه بالمساكين و محبته لهم و أنّه لم يكن يأكل طعاما إلّا معهم فحضر طعامه يوما و ليس عنده أحد منهم فخرج يلتمس من يأكل معه فلم يجد إلّا رجلا مذموما منقطعا [مصابا] بالجذام و كان فيه عليه السّلام تعزز؛ فدعاه إلى طعامه و احتمل ما دخل نفسه من أمره و كان طعامه اللبن. فجعل الرجل يأكل منه فإذا أخرج يده من الصحنه بقى أثر أصابعه فى اللبن. فجعل إبراهيم يلسع موضع أصابعه فيأكله.

فلما فرغ من الأكل كشف عن الرجل الغطا فإذا هو جبرئيل عليه السّلام و الطعام الذى يرى أنّه يأكله موضوع فى إناء تحته فقال له: ان الله جل و عز يقرأ عليك السلام و يقول لك: قد اتخذتك خليلا برحمتك للضعفاء المساكين.

و كان عمره فيما روى مائة و خمسا و سبعين سنة.

ص: ٤٥

و روى أيضا أنّ نبوته ظهرت و له ثمانون سنة و كانت مدّة نبوته أربعين سنة و كان عمره مائة و عشرين سنة.

و لما حضرت وفاته أمره الله أن يستودع نور الله و حكمته و موارث الأنبياء عليهم السّلام إسماعيل ابنه فدعاه و أوصى إليه و سلّم إليه جميع ما فى يده.

و توفى (صلّى الله عليه) و دفن فى أرض كان قد ابتاعها بناحية بيت المقدس.

و كان بين نوح و إبراهيم عليه السّلام ألف و خمسمائة سنة. و نمرود قد ملك مشارق الأرض و مغاربها و هو صاحب التور.

و كان أبو إبراهيم توفى و إبراهيم طفل و بقيت أمّه ابنة آزر فلما شب و ترعرع و استقل بنفسه ماتت عنه أمّه.

فقام إسماعيل بن إبراهيم بالنبوة و الأمر مقامه

و لم يزل يدبّر أمر الله جل و عز و هو أوّل من تكلم بالعربية و أبو العرب و كان إبراهيم عليه السّلام قد خلف عنده سبعة أعنة فكانت أصل ماله.

و أقام أكثر أيامه بمكة و تزوج بهالة بنت الحارث فولدت (قيدار) و كان فيه شبه رسول الله صلى الله عليه و آله و كان لإسماعيل ثلاث عشر ذكرا كان كبيرهم و رئيسهم (قيدار) و هو أول من ركب الخيل و كسا البيت و لبس العمائم و أطعم الحاج.

و عاش مائة و عشرين سنة إسماعيل، كما روى أن أباه إبراهيم عاش مائة و خمسا و سبعين سنة.

فلما حضرت وفاته أوحى الله إليه أن يستودع الاسم و نور الله و حكمته أخاه اسحاق.

و روى أنه شريكه فى الوصية و تقدمه إسماعيل بالسن لأنه أكبر منه بخمس سنين فسلم الأمر إلى اسحاق و توفى إسماعيل عليه السلام و دفن بمكة و هو: اسماعيل صادق الوعد و كان وعد رجلا إلى موضع يجتمعان فيه فأنسى الرجل و حضر إسماعيل الموضع و أقام فيه ثلاثة أيام ينتظره فلما كان فى اليوم الرابع فقد الرجل فجاء إلى الموضع الذى وعده فوجده فيه ينتظر فأعظم ذلك و أكبره فقال له إسماعيل: لو لم تحضر لأقمت حتى يصير

ص: ٤٦

المحشر من هذا المكان.

و قام اسحاق بن إبراهيم بالأمر و النبوة بعد أخيه إسماعيل

و كان من حديث اسحاق عليه السلام فى قول الله عز و جل «فَضَحِكْتُ فَبَشَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ».

قال ان الملائكة لما جاءت فى هلاك قوم لوط عليه السلام قالوا «إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» فقالت سارة و من يطيق قوم لوط يعنى كثرة عددهم، فبشرناها باسحاق و من وراء اسحاق يعقوب، فصكت وجهها و قالت: عجوز عقيم.

و هى يومئذ ابنة تسعين سنة و إبراهيم له أكثر من مائة سنة فلما ولد لإبراهيم اسحاق قال من حوله: أ لا تعجبون من هذه العجوز و هذا الشيخ وجدا صبيًا منقطعًا فأخذهما يزعمان أنه ولدتهما و هل تلد مثل هذه العجوز.

و كان الله جل و علا قد صورّه على صورة إبراهيم و العجوز سارة فلما رأوه قالوا:

نشهد أنه ابن الشيخ إبراهيم و العجوز سارة.

فلما قام اسحاق بالأمر بعد أخيه إسماعيل عليه السلام سلم له المؤمنون و جميع شيعة أبيه و أخيه.

و تزوج اسحاق من أخواله بالشام و ولد له يعقوب عليه السلام و العيص و كان من حديثهما ما اقتص و كان لا يفرق الناس بين إبراهيم و بين ابنه اسحاق حتى شاب إبراهيم فكان يعرف منه بالشيب.

فلما حضرت وفاة اسحاق أوحى الله إليه ان يستودع الاسم الأعظم والنور وجميع ما في يديه من المواريث ابنه يعقوب عليه السلام و هو إسرائيل الله فأحضره و سلم إليه.

و مضى اسحاق عليه السلام و دفن في بيت المقدس و كان عمره مائة و ثمانين سنة.

و قام يعقوب عليه السلام بالأمر بعده

و هو إسرائيل الله و آمن به المؤمنون، و جحد نبوته الكفار و الشكاك.

و تزوج بالشام بابنتي خالته و كان في ذلك الوقت يجمع بين الاختين فولد منهما اثنا

ص: ٤٧

عشر ذكرا.

و غلب العيص أخوه على بيت المقدس و الملك الجبار في ذلك الوقت (فيتساد) ملك مائة سنة و هو أول من قطع القطائع بغير حق فصارت سنة للظالمين إلى هذا الوقت و أخذ من الناس الخراج.

و خرج يعقوب عليه السلام يريد بيت المقدس و اتصل الخبر بأخيه العيص فخرج بجميع جيشه يستقبله ليقتله و بلغ يعقوب فأهدى إليه هدية يتألفه بها و كتب إليه كتابا وقع على عنوانه: عبدك يعقوب.

فلما قرأ العيص كتابه عطف عليه و فرق جيشه عن نفسه فلما قرب منه جمع يعقوب عليه السلام أولاده حوله خوفا منه و أمرهم إذا قرب منه العيص أن يمنعوه من الدنو منه و كانوا أولى قوة و بأس شديد فلما قرب منه منعه الأسباط من التقدم إليه.

و روى ان العيص كان قد صمم إذا سلم عليه أخوه يعقوب أن يعتنقه ثم يقرص حلقه فيقتله فقالوا له تنح عن نبي الله، فارتاع العيص لذلك.

و دخل يعقوب بيت المقدس و قام يصلي و حوله الأسباط الاثنا عشر و المؤمنون، و العيص ناحية يراهم. فلما جن عليه الليل كشف له عن بصيرته فرأى العيص و نظر الى الملائكة الليل كلهم ينزلون من السماء و يصعدون و يسلمون على يعقوب و يسبحون و يهللون و يقدسون، فاغتاظ لذلك و علم أنه لا طاقة له به و حسده.

فاستأذنه العيص في التنحي عنه فاذن له، فعبر مع ولده البحر فأقام هناك، و ولده الأصغر عملاق. فالأصغر أبو الأشراف من الروم و عملاق أبو العمالقة الذين قاتلهم يوشع ابن نون عليه السلام.

و رأى يوسف عليه السلام الرؤيا فقصّها على أبيه و كان من حديثه ما أخبر الله عز و جل به فى كتابه و جاءت به الروايات من قصّته مع اخوته الأسباط. و حزن يعقوب حتى ابيضت عيناه و تقوّس ظهره فروى عن العالم عليه السلام أنّه يعلم ان يوسف باقى لم يأكله الذئب فقال:

كان يعلم بجميع أمره. فقليل له: فمن أى شىء كان حزنه؟ فقال: من خوف البداء فيما وعده الله به من الجمع فيما بينه و بين يوسف.

ص: ٤٨

و كانت مدّة المحنة عشرين سنة (و روى) سبع عشر سنة فلما أراد الله إزالتها و كشفها رفع يعقوب عليه السلام يديه ثم قال يا من لا يعلم أحد كيف هو و حيث هو و قدرته إلّا هو يا من سد الهواء بالسماء و كبس الأرض على الماء و اختار لنفسه أحسن الأسماء اتّنى بروح من عندك و فرج قريب.

فما انفجر عمود الصبح حتى أتى بالقميص و طرح على وجهه فرد الله عليه بصره و ولده.

و خرج الى مصر و جمع الله مع ذلك أهله و ماله. و خرج يوسف عليه السلام لتلقيه فلما رآه يعقوب ترجّل له و الأسباط.

و لم ينكر ذلك و يعظّمه إيّاه فأخرج الله الإمامة من عقبه و جعلها فى ولد أخيه الأكبر لاوى بن يعقوب لأنّه لم يعرف أباه حقّه.

ثم صار بهم إلى منزله فرفع أبويه إلى سرير الملك و هو العرش الذى ذكره الله و هما أبوه و خالته لأن أمّه راحيل كانت توفيت قبل الرؤيا التى رآها و تكفلت خالته بتربيته.

و دخل فلبس ثياب العزّ و الملك و خرج فلما رأوه سجدوا لله شكرا فعند ذلك قال يوسف «هذا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا».

و مكث يعقوب مع يوسف عليهما السلام بمصر سنتين فلما حضرت وفاته فأوحى الله إليه أن يسلم مواريث الأنبياء و النور و الاسم الأعظم إلى يوسف فدعاه و جمع أولاده و أوصى إليه ثم قبض (صلّى الله عليه) و سنّه مائة و ست و أربعون سنة.

و قام يوسف عليه السلام مقامه

و وضعه بين يديه أربعين يوما يبكى عليه و يعدّد حتى ركب إليه الملك فى زمانه مع عظماء أهل مملكته فكلّموه و وعظوه.

و حمله من مصر الى بيت المقدس ليدفنه مع آبائه فوجد العيص قد رجع إلى بيت المقدس فمنع من دفنه و نازعهم فيه فوثب ابن شمعون [و] كان ايدا على العيص فوكزه فقتله فدفن يعقوب و العيص فى مكان واحد.

و رجع يوسف إلى مصر فلم يزل يدبّر أمر الله و معه أهله و المؤمنون فمن أطاعه كان

ص: ٤٩

مؤمنًا و من عصاه كان كافرًا.

و كان يوسف عليه السّلام امامًا ملكًا يلبس الديباج و الوشى و الابريسم المنسوج بالذهب و الجواهر و لم يكن نزل تحريم لبس ذلك.

و ملك اثنين و سبعين سنة و عاش مائة و عشرين سنة و كان له ابنان يقال لأحدهما افرائيم و هو جدّ يوشع بن نون و الآخر ميثا.

فلما قربت وفاته أوحى الله إليه عز و جل ان استودع نور الله و حكمته و جميع الموارث التي في يديك ببرز بن لاوى بن يعقوب فاحضر ببرز بن لاوى و جمع آل يعقوب و هم يومئذ ثمانون رجلًا فقال لهم: ان هؤلاء القبط سيظهرون عليكم و يسومونكم سوء العذاب و نعوت الإمامة مكتومة ثم ينجيكم الله و يفرّج عنكم برجل من ولد لاوى اسمه موسى بن عمران طوال جعد آدم مفلفل الشعر أحليج على لسانه شامة و على أرنبة أنفه شامة و لن يظهر حتى يخرج قبله سبعون كذابًا، و روى خمسون كلّ يدّعى أنّه هو، ثم يظهر و ينصر الله بنى إسرائيل و يفرّج عنهم.

و سلم التابوت و النور و الحكمة و جميع الموارث الى ببرز بن لاوى عليه السّلام و مضى (صلّى الله عليه).

و دفن بمصر في صندوق من مرمر في بطن النيل ثم استخرجه موسى عليه السّلام من ذلك الموضع و مضى به الى الأرض المقدّسة فدفنه فيها.

و كان سبب حمله من مصر أن المطر احتبس على بنى إسرائيل فأوحى الله جل و علا الى موسى عليه السّلام ان اخرج عظام يوسف.

فسأل موسى عن الموضع فأتى بعجوز عمياء مقعدة فقالت أنا أعرف موضعه و لا أخبرك به حتى تعطيني ثلاث خصال: تطلق لى رجلى و تعيد لى صورتى و شبابى و عينى و تجعلنى معك فى الجنّة و كانت العجوز من بنى إسرائيل فأوحى الله إلى موسى ان اعطها ما سألت فانما تعطى على ما سئلت ففعل فدلّته فأخرجه و نقله إلى الأرض المقدّسة (صلوات الله عليه).

ص: ٥٠

قام ببرز بن لاوى بن يعقوب عليهم السّلام بأمر الله جلّ و عز

يدبره على سبيل آبائه عليهم السّلام فروى أنّه كان إذا ولد فى بنى إسرائيل كلّ واحد منهم يدّعى أنّه هو و يسمّى عمران ثم يأتى عمران ولد فيسمّى الولد موسى يتعرّضون بذلك لقيام القائم موسى عليه السّلام. فما ظهر موسى حتى خرج سبعون كذابًا

«و روى» خمسون من بنى إسرائيل كل واحد منهم يدعى أنه هو و عند ذلك ملك الأرض بعد فرعون يوسف فيقابوس مائة و خمسون سنة و بنى مدينة سمّاها قيقدون و هو الذى كانت الشياطين معه قبل سليمان بن داود عليهما السّلام.

فلما حضرت ببرز عليه السّلام الوفاة أوحى الله إليه ان يستودع نور الله و حكمته و ما فى يديه ابنه أحرِب فدعاه و أوصى إليه بمثل ما كان يوسف (صلّى الله عليه) أوصى به ففعل ذلك.

و قام أحرِب بن ببرز بن لاوى عليهم السّلام بأمر الله عزّ و جل

و اتبعه المؤمنون و جرى على منهاج آبائه حتى إذا حضرته الوفاة أوحى إليه أن يجعل الوصيّة إلى ابنه ميتاح فأحضره و أوصى إليه و سلّم موارث الأنبياء و ما فى يديه إليه و مضى (صلّى الله عليه).

و قام ميتاح بن أحرِب عليهما السّلام بأمر الله جل ذكره

و اتبعه المؤمنون و هم الأقلون عددا فى ذلك الزمان المستخفون من الجبار المتوقعون الفرج.

فلما حضرت ميتاح الوفاة أوحى الله إليه أن يوصى إلى ابنه عاق فأحضره و أوصى إليه.

و قام عاق بن ميتاح عليه السّلام بأمر الله جل و علا

و اتبعه المؤمنون على سبيل من تقدّمه من آبائه فلما حضرته الوفاة أوحى الله تعالى إليه أن يوصى إلى ابنه خيام فأحضره و أوصى إليه و مضى (صلّى الله عليه).

و قام خيام بن عاق عليه السّلام بأمر الله جل و تعالى

و نوره حكمته إلى أن حضرته الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته ابنه مادوم فاتبعه المؤمنون مدّة زمانه على

ص: ٥١

خوف و استخفاء و أودع نور الله و حكمته ابنه مادوم.

و قام مادوم بن خيام عليه السّلام بأمر الله جل و علا

و نوره حكمته الى ان حضرته الوفاة فأوحى الله إليه أن يوصى إلى شعيب فأحضره و أوصى إليه و مضى عليه السّلام و كان شعيب من ولد نابت بن إبراهيم (صلّى الله عليه) لم يكن من ولد اسماعيل و اسحاق صلوات الله عليهم.

فقام شعيب بالأمر بعد مادوم

فعند ذلك ظهر ملك فرعون ذو الأوتاد و هو فرعون موسى عليه السّلام و اسمه الوليد بن ريان بن مصعب و كان ملكه أربعمئة سنة و فى سنة من ملكه بعث الله أيوب صاحب البلاء صلّى الله عليه و كانت امرأته رحمة بنت يوسف عليه السّلام و هو أيوب بن أموص بن العيص بن اسحاق بن يعقوب و كان من قصّة شعيب عليه السّلام ان الله بعثه الى قوم نبيا حين كبرت سنّه فدعاهم إلى التوحيد و الإقرار و الطاعة فلم يجيبوه فغاب عنهم ما شاء الله ثم عاد إليهم شابا فدعاهم فقالوا ما صدقناك شيئا فكيف نصدقك شابا (فروى) ان أمير المؤمنين عليه السّلام كان يعيد ذكر هذا الحديث و يكرّره و يتمثّل به كثيرا و كان سبب نبوّة شعيب ان قومه اتخذوا ميكائيل و موازين مختلفة يأخذون بالأوفر و يعطون بالأنقص. و فى الحديث طول.

و بلغ فرعون قرب أمر موسى بن عمران عليه السّلام و ان زوال ملكه و هلاكه على يديه و فى أيامه فوكل القوابل بالنساء الحوامل فلم يكن يولد غلام إلّا ذبح و إذا ولدت المرأة جارية استحيت و تركت فغلظ الأمر على بنى إسرائيل من فرعون و اجتمعوا الى فقيهه كان لهم عالم فقالوا: لا نقرب النساء حتى لا يذبح الأطفال من أولادنا فقال عمران عليه السّلام و كان عالما مؤمنا تقيا من أولاد المؤمنين: و الله لا تركت ما أمر الله به فان أمره عز و جل واقع و لو كره المشركون اللهم من حرم ذلك فأنى لا أحرّمه و من تركه فأنى لا أتركه.

و روى ان أصحاب فرعون شكوا قلّة النسل من بنى إسرائيل لأنّهم كانوا يستعبدونهم

ص: ٥٢

و يستخدمونهم فأمر فرعون بأن تستحيى الذكور سنة و يقتلون سنة فولد هارون بن عمران فى سنة الاستحياء و ولد موسى فى سنة القتل حتى يرى الله عز و جل قدرته.

و روى ان أم موسى لما حملت فطن بها و وضع عليها قابلة تلزمها فأوقع الله على القابلة محبة قبل ولادته و كذلك حجج الله على من خلقه.

فكانت أم موسى عليه السّلام تضر و تذوب، فقالت لها القابلة: يا بنية أراك تذويين و تحزينين.

قالت لها: كيف لا أذوب و أحزن و إذا ولدت أخذ ولدى و ذبح؟

قالت لها: لا تحزنى فأنى سوف أكنم عليك ولادة موسى بن عمران عليه السّلام.

فلما ولد موسى عليه السّلام قالت القابلة لامّه: ادخليه المخدع.

و خرجت القابلة الى الحرس و كان مع كلّ قابلة حرسا يقتل من يولد من الذكور فقالت له و لمن معه: انصرفوا فقد كفينا إنمّا خرج دم متقطّع.

فانصرفوا و رضعته أمه و خافت على الصوت فأوحى الله إليها ان اعملى تابوتا فإذا خفت عليه فاجعليه فيه و ألقيه فى أليم بالليل فى نيل مصر، ففعلت و طرحته و جعل يرجع إليها و جعلت تدفعه فى غمر الماء ثم ان الريح ضربته بالأمواج فانطلقت بالتابوت فلما رآته قد ذهب به الماء جزعت و أيست و همّت أن تصيح فربط الله على قلبها.

و كانت المرأة الصالحة آسية امرأة فرعون على دين بنى إسرائيل تكتم ايمانها. قالت لفرعون: هذه أيام الربيع فاخرجنى و تقدّم أن يضرب لى قبة على شاطئ النيل حتى اتفرّج فى هذه الأيام بالنظر الى الخضرة و الرياض. ففعل و كان يقعد معها، فأقبل التابوت نحوهما حتى صار بين أيديهما فقالت: هل ترون ما أرى؟ قالوا: بلى أنا لنرى شيئا.

فلما دنا التابوت بادرت الى الماء فجذبته إليها و كاد الماء أن يغمرها فأخرجته و وضعته فى حجرها و وقعت عليها له محبة و قالت: هذا ابنى و لم يكن لها و لا للملك ولد.

و قال فرعون: نقتله فأنا نتخوّف أن يكون من بنى إسرائيل.

فلم تزل ترفق به حتى أمسك عن قتله و رضى و وهبه لها.

و طلبت آسية من ترضعه فلم يبق أحد إلّا وجّه بامرأته لترضعه فامتنع من رضاع كلّ واحدة منهنّ و أبى تناول ثديهن.

ص: ٥٣

و روى ان فى قول الله عز و جل «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا» قال: فارغا من كلّ شيء إلّا من ذكر ولدها موسى و الفكرة فيه. فقالت لاخته: انظرى هل ترين أو تسمعين له خبرا أو اثرا.

فانطلقت فوجدت من يطلب الدايات فرجعت إلى أمّها فعرفتها الخبر.

فانطلقت حتى أتت باب الملك فقالت: ان هنا امرأة صالحة تكفله لك.

فأدخلت فقالت لها آسية امرأة فرعون: ممّن أنت؟ قالت: من بنى إسرائيل. فقالت لها:

اذهبى يا بنية فلا حاجة بنا إليك.

فقلن لها النساء: فانظرى يأخذ منها ثديها أم لا يأخذ.

فرفع موسى إليها فوضعه فى حجرها ثم ألقمته الثدي فأخذه و مصّه حتى روى فقامت آسية إلى فرعون فأخبرته.

فقال لها: الغلام من بنى إسرائيل و الظنر من بنى إسرائيل؛ هذا ما لا يكون أبدا و لا يجوز أن نجمعهما.

فلم تزل ترفق به حتى رضى و أمسك.

فروى أنه لما وضعته أمه فى حجرها اشتد فرحها به فقالت: فديتك يا موسى. فسمع فرعون فاستشاط فأرسل الله جل و عز فنطق على لسانها فقالت: بلغنى أنكم مشتموه من الماء فقلت يا موسى بالعبرانية. فقال لها فرعون: صدقت، من الماء مشتماه و أنا نسَمِيَه موسى فعربت، فهو ميشا عليه السّلام فى دار فرعون.

و كتمت أمه و اخته و القابلة خبره. و ماتت القابلة فلم يعلم بخبره أحد من بنى إسرائيل.

و اشتد أمر الغيبة فى توقعه و انتظاره على بنى إسرائيل و كانوا يتجسّسون من خبره بالليل و النهار و غلظ عليهم سيرة فرعون و جنوده فخرجوا فى ليلة مقمرة الى فقيه لهم و كان الاجتماع عنده يتعذّر عليهم و يخافون فقالوا له: قد كنّا نستريح الى الأحاديث فحتى متى؟ فقال لهم: لا تزلون فى هذا أبدا حتى يأتى الله بموسى بن عمران و يظهر فى الأرض.

و أخذ يصف لهم وجهه و طوله و لحيته و علاماته إذ أقبل موسى عليه السّلام و قد كان خرج

ص: ٥٤

الى الصيد على بغلة له شهباء و عليه طيلسان خز فوقف عليهم فرفع العالم رأسه فنظر إليه فعرفه فوثب إليه ثم قال له: ما اسمك يرحمك الله؟

فقال له: موسى بن عمران فانكبّ على يده و رجله فقَبَلهما. و ثار القوم فقَبَلوا يده و رجله و قالوا له: الحمد لله الذى لم يمتنا حتى أراناك.

فلم يزد على أن قال: أرجو أن يعجل لكم الفرج فاتخذهم شيعة من ذلك اليوم.

ثم غاب بعد ذلك بضعة عشر سنة ثم خرج من الدار الى السفينة فوجد فيها رجلا من شيعته اولئك؛ يقاتله رجل من آل فرعون؛ و كان القبطه يحملون على بنى إسرائيل الماء و الحطب و الصخور و الحجارة «فروى» أنه كان طبّاخا لفرعون قد حمل على ذلك المؤمن حطبا فلم يطق حمله فجعل يضربه.

فلما رأى موسى المؤمن استغاث به على الطّبّاخ القبطى فوكزه موسى فقضى عليه و دخل الدار. و انتشر الخبر فى المدينة و بلغ الملك و قد كان أعلم ان موسى إذا خرج يقتل طبّاخا له فبذل الرغائب لمن يأتى به.

و خرج موسى بعد ذلك إلى المدينة «فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ» على رجل آخر من القبط.

فقال له موسى «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ» بالأمس رجل و اليوم رجل. ثم دنا من القبطى فتخلّص الرجل منه، فظن القبطى أنه قاتله و ظن المؤمن أنه دنا منه ليعاقبه لقوله «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ» فقال له: يا موسى أ تريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس.

و بصر به أهل المدينة، فخرج منها خائفاً يترقب، بغير ظهر يركبه و لا خادم يخدمه حتى انتهى الى أرض (مدين) و هى مسيرة بضعة عشر يوماً فروى أنه صار إليها فى ليلة واحدة و بعض يوم فأنتهى الى أصل شجرة تحتها بئر يستقى منها الماء فوجد عندها أمة من الناس يسقون فكان قصته مع شعيب و ابنته ما قص الله به.

فلما قضى موسى الأجل و أراد أن يودّع شعيباً قال له: ادخل الى البيت فاخرج من تلك العصى واحدة و كان شيعة شعيب و أصحابه حوله فدخل فأخرج العصا فقام شعيب فردّها و جعلها تحت العصى و أمره أن يدخل فيخرج غيرها فدخل فوجدها فوق

ص: ٥٥

العصى فأخرجها ثلاث مرّات.

فقال له شعيب: انى أرى أنك المتكلم على الطور. فكانت تلك إشارة من شعيب بحضرة شيعته، و كانت العصا قضيب آس لرأسها شاختان. فأخذها و سار بأهله يريد الأرض المقدسة فغلط فى الطريق و جنّه الليل فأخذ الزناد ليقده به فلم ينقدح فلما طال عليه كلمته الحديدية و قالت له يا سيدى لا تتعبن فأنى مأمورة. فالتفت فرأى نارا فأقبل إليها فلما دنا منها طفرت فصارت من خلفه فالتفت إليها فصارت عن يمينه فالتفت إليها فصارت عن يساره ثم صارت على الشجرة و سمع الكلام فقال: يا رب هذا الذى اسمعه كلامك؟ قال: نعم. فنودى: ان يا موسى انى أنا الله رب العالمين و أن ألق عصاك، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً.

و اذا حيّة مثل الجذع و لأسنانها صرير يخرج من فيها كالنار.

سئل العالم عليه السلام عن قوله تعالى: «تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا». فقال: كانت كالجذع العظيم و حركتها حركة الجان الصغير.

فأمر بالرجوع فرجع و هو خائف فأمر بأخذها فوضع رجله على ذنبها ثم تناول لحيتها فاذا يده فى شعبة العصا قد عادت كما كانت و قالت له: اخلع نعليك.

و ارسله الله تعالى الى فرعون و العصا بيده و أمر بتبليغ رسالته و تحذيره و انذاره و أوصاه بما يقوله له و كان فيما ناجاه به قال له: يا موسى أ تدرى لم اصطفيتك على الناس بوحيى و كلامى؟

قال: لا يا رب.

قال: انى قلبت عبادى ظهرا لبطن فلم أر منهم أذلّ نفسا لى منك.

قال: و كان موسى إذا صلى لا يفتل من صلاته حتى يضع خدّه الأيمن و الأيسر على التراب.

فسأل الله عز و جل أن يجعل معه أخاه هارون عليهما السلام وزيرا و قصّ الله من شأنه ما قص فأجابه الله عز و جل إلى ذلك و قال لهما: نجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما و من اتبعكما الغالبون.

ص: ٥٦

و روى أنه انما عنى بقوله اخلع نعليك: أردد صفورا على شعيب. فرجع فردّها و خرج الى مصر بعد غيبته بضع عشرة سنة و قد كان طال على الشيعة الانتظار بعد أن رأوا موسى عليه السلام فاجتمعوا إلى فقيهمهم و عالمهم فسألوه الخروج معهم إلى موضع يحدثهم فيه فخرج بهم الى الصحراء و قعد يحدثهم و قال لهم ان الله جل و علا أوحى إلى أن يفرّج عنكم بعد أربعة أشهر.

فقالوا: ما شاء الله.

فقال لهم: ان الله أوحى إلى أن يفرّج عنكم بقولكم ما شاء الله ثلاثة أشهر.

فقالوا: كلّ نعمة من الله.

فقال لهم: ان الله تعالى أوحى إلى أن يفرّج عنكم بقولكم كلّ نعمة من الله شهرين.

فقالوا: لا يأتي بالخير إلّا الله.

فقال لهم: ان الله جل جلاله أوحى إلى أن يفرّج عنكم بما قلتم بعد شهر.

فقالوا: لا يصرف السوء إلّا الله.

فقال لهم: فان الله قد أوحى إلى أنّه يفرّج عنكم إلى جمعة بما قلتم فقالوا حسبنا الله و نعم الوكيل.

فقال لهم: ان الله قد أوحى إلى أن يفرّج عنكم هذا اليوم فانتظروا.

فقالوا: الحمد لله ربّ العالمين.

و جلسوا ينتظرون إذ أقبل موسى عليه السلام و بيده العصا و عليه مدرعة صوف و هو راكب حمارا فقام إليه العالم و سلّم عليه ثم قال له: يا سيدى بما ذا جئت.

قال له: جئت بالرسالة إلى فرعون و ملئه.

و أمرهم بما أراد و دخل مصر بالليل مستخفيا فجاء الى دار والدته و اخته فروى أنّه قد وقف على الباب وقفه فسمع أمه تقول لاخته: ترى ما فعل الشريد الطريد الغائب.

فدق الباب و دخل فلما رآته أمه سقطت مغشيا عليها ثم أفاقت فحمدت الله و سلمت عليه.

و أمر بإحضار أخيه هارون و كان أحد خواص فرعون (و روى) أنه كان يسقيه الخمر

ص: ٥٧

و كان يلبس الجواهر و المزداد المذهبة فاحضر و خبره بالخبر و أمره بما احتاج إليه و ردّه الى دار فرعون.

و روى فى خبر آخر ان الله عز و جل أوحى إلى هارون فى رؤيا الليل ان اخرج الى باب المدينة حتى تلقى أخاك. فخرج و أقبل موسى فلم يعرفه للنور الذى كان قد علا وجهه و لبسه حتى ناداه موسى فقال هارون مرحبا بسيدى و أخى ثم قصّ عليه القصص.

و روى ان هارون كان أخاه لامّه و أبيه و كان أسنّ منه بثلاث سنين و كان موسى أكبر جسما و خلقا و كان الوحي ينزل على موسى عليه السّلام و يوحى الى هارون.

و غدا موسى عليه السّلام الى باب فرعون و عليه مدرعتان من شعر فاستأذن فحجب فضرب الباب بعصاه فاصطفقت الأبواب كلّها بينه و بين فرعون و تفتّحت.

و كان لفرعون فى عمران داره أسد فأمر فرعون بتخليتها فى طريقه فخلت و دخل موسى عليه السّلام فأقبلت الأسد تبصص و تضرب بأذنانها بين يديه و تحت رجله.

فقال فرعون لجلسائه: أ رأيتم مثل هذا قط؟

قالوا: لا.

فلما وصل إليه و أدى رسالة ربّه إليه و سأل ان يرسل معه بنى إسرائيل و لا يعذبهم فعرفه فرعون و قال له: «أ لَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» الى قول الله «فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ» فلم يبق أحد إلّا هرب.

و فتحت الحيّة فاهها فأهوت الى قبة فرعون ان تبتلعها فنادى: يا موسى انشذك الله و الرضاع الا امتنعت.

فأخذ موسى العصا و رجعت الى فرعون نفسه، و همّ بتصديقه، فقام إليه هامان فمنعه من ذلك و قال له: بينما أنت إله تعبد تصير تابعا لعبد انما هو أمر السماء و أمر الأرض فاما أمر السّماء فانى ابنى لك بناء تقاوم به ملك السماء و اما أمر الأرض فالسحرة يقاومون موسى؛ فصده عن الايمان و التصديق لموسى.

ف «قالَ لِلْمَلِكِ حَوْلُهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ».

ص: ٥٨

ثم قال له: من يشهد لك بالرسالة؟

فقال: هذا الواقف على رأسك يعنى أخاه هارون

فالتفت الى هارون فقال له: ما تقول؟

قال له: صدق هو رسول الله

فأمر فرعون فنزعت عنه ثياب الملك و الحلل التى كانت عليه

فبادر موسى فنزع إحدى المدرعتين فألبسها هارون فلما وقعت على جلده بكى عليه السلام ثم كان من قصة موسى و السحرة ما قص الله به الى قوله «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى» (فروى) أنه لم يخف على نفسه و انما خاف على شيعته الفتنة.

و ألقى عصاه فتلقفت جميع ما عملوه من الحبال و العصى و كان فيما روى حمل مائتى بعير.

فلما رأى السحرة ذلك قالوا: ليس هذا سحرا، هذا أمر الله و إلا فأين أحمال مائتى بعير حملناها؟

قال: و سجدوا و آمنوا فقال لهم فرعون: آمنتتم به قبل ان آذن لكم؟

فقالوا له: اقض ما أنت قاض.

و رجع فرعون و أصحابه مغلوبين و اشتدت المحنة على بنى اسرائيل بعد ظهور موسى عليه السلام و كانوا يضربون و يحمل عليهم الحجارة و الماء و الحطب فصاروا إلى موسى صلى الله عليه فقالوا له: كُنَّا نَتَوَقَّعُ الْفَرَجَ فَلَمَّا فَرَّجَ عَنَّا بَكَ غَلِظَتْ الْمَحْنَةُ عَلَيْنَا.

فناجى موسى ربه فى ذلك.

فأوحى الله إليه: عَرَّفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي مَهْلِكُ فِرْعَوْنَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

فأخبرهم بذلك فقالوا: ما شاء الله كان.

فأوحى الله إليه: عَرَّفَهُمْ أَنِّي قَدْ نَقَصْتُ مِنْ مَدَّةِ فِرْعَوْنَ بِقَوْلِهِمْ «مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ» عَشْرَ سِنِينَ و أَنِّي أَهْلِكُهُ بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

فقالوا: كلَّ نعمة من الله.

فأوحى الله إلى موسى: فأنى قد نقصت من أيامه لقولهم «كلّ نعمة من الله» عشر سنين

ص: ٥٩

و أنى مهلكه بعد عشرين سنة.

فقالوا: لا يأتى بالخير إلّا الله.

فأوحى الله إليه: قد نقصت من أيامه بقولهم «لا يأتى بالخير إلّا الله» عشر سنين و أنى مهلكه بعد عشر سنين.

فقالوا: لا يصرف السوء إلّا الله.

فأوحى الله إليه: انى قد بترت عمره و محقت أيامه بقولهم «لا يصرف السوء إلّا الله»

فأخرج بنى إسرائيل من مصر فعذب موسى عليه السلام فرعون قبل أن يخرج من مصر يوما بالقمل و يوما بالجراد و يوما بالضفاد و يوما بالدم و يوما بالريح الصفراء و يوما بالريح السوداء

ثم خرج موسى ببني إسرائيل نحو الأرض المقدسة و اتبعه فرعون فى جميع جنوده و جيشه و كان فى خيله سبعون فرسا أبلق.

و كان من شيعة موسى قوم قد تبعوا فرعون طلبا لدنياه و هم من بنى اسرائيل و قالوا:

هذا الذى قد كنّا نرجوه، رجعنا و صرنا مع موسى.

فلما خرج موسى عليه السلام من مصر اتبعوه و اسرعوا فى السير فأرسل الله إليهم ملائكة يضربون وجوههم و دوابهم حتى ردوهم الى عسكر فرعون فهلكوا فيمن هلك و نودوا:

حقّا على الله أن يصيركم مع من عشتم فى دولته.

فلما قرب موسى عليه السلام من البحر لحقه فرعون و جنوده فاشتد خوف بنى إسرائيل و شكوا ذلك الى يوشع بن نون فصار الى موسى عليه السلام فقال له: يا سيدى قد أدركنا فرعون فأى شىء تأمر؟

فقال له: البحر يا يوشع.

فبادر الى البحر فاقتنحه بفرسه حتى كاد أن يغرق.

فلما رأى الماء قد غمره رجع الى موسى فقال له: أى شىء تأمر؟

فقال له: البحر يا يوشع.

فاقتحمه ثلاث مرّات كان أن يغرق فيه.

ص: ٦٠

فقال موسى: وإله بنى إسرائيل ما كذبت ولا كذبت.

فأوحى الله الى موسى «أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ» فضربه «فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» و تقدّم يوشع و كان فرسه يخطو على جدد الأرض الصلبة.

و روى أنّه كان تحته برزون أشهب فأنجى الله بعظمته و قدرته موسى و من معه و غرق فرعون و جنوده و آل فرعون.

فلما خرج قوم موسى من البحر مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة.

قال: أنكم قوم تجهلون.

فلما انتهى بهم الى الأرض المقدّسة قال لهم: يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم.

قالوا: ان فيها قوما جبارين و انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها- يعنون العمالقة.

فحرّمها الله عليهم و رجعوا نحو مصر فتأهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة فنزل عليهم المن و السلوى فهلكوا جميعا فيها إلّا يوشع بن نون و ابن عمه كالب بن يوحنا و هما اللذان قال الله في حقّهما: قال رجلان من الذين أنعم الله عليهما.

و كان معهم في التيه حجر يحمله أحدهم على كتفه و روى أنّه كان يحمل على حمار فاذا وضعه «انبعجت منه اثنتا عشرة عَيْنًا» فيشربون فاذا أرادوا الرحيل بلع الماء و غاض و حمل الحجر معهم و إذا ولد لهم ولد انزل له القميص فطرح عليه فاذا اتسخ طرح في النار فيتنظف و لم يحترق. و كلّما طال المولود طال القميص معه.

و لما مضى موسى لميعاده و هو ثلاثون يوما عرفّ موسى أصحابه ذلك.

فلما انقضت و تممها الله له بعشر، صنعوا في عشرة أيام ما صنعوا من أمر العجل.

و كان أصل ذلك السامري كاهنا يتنجم فرأى في نجومه ان بنى إسرائيل يقطعون البحر فدخل معهم و لم يكن منهم و كان من قرية من أرض مدينة الموصل من قوم يعبدون البقر فنظر الى جبرئيل عليه السّلام لا يضع حافر فرسه على شيء من الدواب الميئة و لا شجر قد سقط و مات و نخر إلا عاش. فلما رأى ذلك و هو لا يعلم أنّه جبرئيل قبض قبضة من

ص: ٦١

من تحت حوافر الفرس فصرّها فى صرّة. فلما ابطأ موسى على قومه قال لهم هارون:

انّكم كنتم قد استعرتم حليا من آل فرعون و أخرجتموها معكم فاخرجوه و ارموا به و توبوا منه و تطهروا.

ففعلوا ما أمرهم به و رموا بالحلى فأخذه السامرى و كان صائغا فصاغ منه عجلا جسدا ثم ادخل الصرّة التى أخذها من تحت الحوافر فى فم العجل فاذا هو يخور و قال لهم: هذا «إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَى» فعكفوا عليه.

فقام هارون خطيبا فيهم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال لهم «يا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِى وَ أَطِيعُوا أَمْرِى. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى».

فلما رجع موسى و خبر بالخبر قال له هارون ما قاله و أجابه بما قص الله به، فأخذ موسى العجل فوضع عليه المبارد حتى برد كلّه و ذراه فى البحر فبادر بنو اسرائيل الى البحر ليطرحوا أنفسهم فيه ندامة على ما فعلوه و رجوعا و توبة فمنعهم.

و أمرهم أن لا يشربوا من النهر و كان خليجا من البحر.

فشربوا منه إلّا قليلا منهم فصار حول شفاههم من ذهب فعرف المخالفين منهم ثم قام موسى عليه السّلام خطيبا و ذكرهم بأيام الله و جميل بلائه فأخذ بقلوب بنى إسرائيل فقالوا له: يا نبي الله هل بقى نبي أعلم منك؟ فقال: لا.

فأوحى الله إليه: يا موسى هَلَّا وكلت العباد إلى علمى حين سألوک.

فروى أنّه كان تحت المنبر فى ذلك اليوم ألف نبي مرسل ثم جاءه جبرئيل عليه السّلام فأمره عن الله عز ذكره بطلب العلم و قال له: هو فى مكان كذا و كذا.

فسأل موسى أن يعرفه مكانه فأعطى مكتلا فيه حوت مملوح و قيل له هذا زادک و هو يدلّک على المكان.

فخرج هو و فتاه يوشع فسارا حتى انتهيا الى عين فأخرج يوشع الحوت ليغسله فى الماء فاضطرب فى يده، و كان من العين نفق الى البحر و نسى الحوت فلما جاعا دعا موسى بالطعام فذكر الفتى يعنى يوشع ما صنع الحوت.

ص: ٦٢

فقال له موسى: ذلك ما كنّا نبتغيه.

فارتدا على آثارهما قصصا، أى على آثار أقدامهما، فأخذا فى جزيرة فى البحر فاذا رجل عليه ثياب صوف قائم يصلّى فسلمّ عليه موسى و جلس فلما انصرف من صلاته ردّ عليه السلام و قال له: من أنت يا عبد الله؟

قال: أنا موسى بن عمران صاحب بنى اسرائيل.

و قال: انى سألت ربى أن اتبعك فأعلم من علمك.

قال له: يا موسى انى وكلت بأمر لا تطيقه.

ثم قص عليه العالم عليه السّلام ما كان و ما يكون حتى ذكر سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم ذكر له ما يصيبهم من المحن و ذكر القائم من ولده فى آخر الزمان و ما يجرى على يده من الخيرات و البركات.

و أقبل طائر «روى» أنّه الجندب و أنّه أصغر من العصفور و أنّه الخطاف حتى وقع بالبحر فأخذ بمنقاره من ماء البحر فقال العالم لموسى عليه السّلام: هل رأيت الطائر و ما صنع؟

قال: نعم.

قال له: ما علمى و علمك فى علم محمّد و آل محمّد عليهم السّلام إلّا بمقدار ما أخذه هذا الطائر بمنقاره من البحر فهل تراه نقص من ماء البحر بما أخذه بمنقاره.

ثم كان بينهما من قصّة السفينة و الغلام و الجدار ما قص الله به.

و انزل الله - جلّ و عز - على موسى التوراة فى شهر رمضان لست ليال مضين منه و أمره أن يأمر بنى اسرائيل بالصوم و الإمساك عن جميع ما يؤكل و يشرب فى يوم الجمعة. فتركوا الجمعة فأمسكوا يوم السبت. فحرّم الله عليهم فيه الصيد و قتل الله فيه عوج بن عناق على يدى موسى عليه السّلام و كان ولد فى زمن آدم عليه السّلام.

فعند ذلك ملك كيخسرو خمسين سنة و قتل من بنى اسرائيل ثمانية و عشرين ألف نبى و اختلف بنو اسرائيل فاختر منهم موسى سبعين رجلا و قد كانوا طالבוه و قالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة. فماتوا.

و روى ان موسى مات بموتهم، فلذلك روى عن العالم عليه السّلام أنّه قال: لا تجالسوا

ص: ٦٣

المفتونين فينزل عليهم العذاب فيصيبكم معهم.

ثم أحيا الله موسى قبلهم فلما رأهم صرعى اغتم و قال: يا رب أصحابى أصحابى.

فأوحى الله إليه: انى ابدلك بهم من هم خير لك منهم.

قال: يا رب انى قد عرفتهم و عرفونى و وجدت ريحهم.

فبعثهم الله عز و جل له أنبياء.

ثم أخذ موسى بيد هارون و مضيا الى جبل طور سيناء فاذا هم ببیت على بابه شجرة فتدلت من الشجرة على موسى حلتان فأخذهما موسى و قال لهارون: انزع ثيابك و ادخل هذا البيت و البس هاتين الحلتين و نم على السرير الذى فى البيت.

ففعّل هارون ذلك فلما نام على السرير قبضه الله عز و جل إليه و ارتفع البيت المعمور و الشجرة و رجع موسى صلى الله عليه الى بنى اسرائيل فأخبرهم بذلك فكذبوه و قالوا بل أنت قتلتهم.

فشكا ذلك إلى الله جلّ و تعالى فأمر الله الملائكة فنزلت بهارون على سرير بين السماء و الأرض حتى رأوه و علموا أنه مات و رفع.

و أمر الله موسى أن يستودع علم الله و نوره و جميع ما فى يديه ابن عمه يوشع بن نون فاحضره و أوصى إليه و سلّم إليه التابوت و العلم و عرف بنى اسرائيل أنه هو القائم مقامه و ان عليهم فرض طاعته.

و مكث عليه السلام ما شاء الله ثم مر برجل و هو يحفر قبراً فقال له أ لا أعينك على حفر هذا القبر.

فقال له الرجل: بلى.

فأعانه حتى حفر فأراد الحفار أن يضطجع فى اللحد لينظر كيف هو فقال له موسى:

أنا أضطجع فيه.

فاضطجع فرأى مكانه من الجنة فقال: ربّ اقبضنى إليك.

فقبض و دفن فى ذلك القبر. و كان الذى يحفر القبر جبرئيل عليه السلام فى صورة آدمى.

فذلك قبر موسى و لا يعرف به أحد. و كان موته آخر يوم من أيام التيه.

ص: ٦٤

و روى أنه سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم عن قبر موسى فقال: عند الطريق الأعظم عند الكثيب الأحمر.

و عاش موسى مائة و ستا و عشرين سنة و عاش هارون نحواً من ذلك و كان بين ابراهيم و بين موسى عليهما السلام أربعمائة و ثمان و ستون سنة.

يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السّلام

و خرج يوشع عليه السّلام و جمع أولاد بني إسرائيل الذين ولدوا في التيه معه و هم لا يعرفون الجبارين و لا العمالقة و لا يمتنعون من قتالهم فقاتل بهم العمالقة و فتح بيت المقدس و جميع مدائن الشام حتى انتهى الى البلقاء لأنّه قاتل فيها رجلا يقال له بالق فجعلوا يخرجون و يقاتلون و لا يقتل منهم أحد فسأله يوشع عن ذلك فقيل له ان في مدينته امرأة كاهنة تدعى أنّها منجمة تستقبل الشمس بفرجها ثم تحسب و تعرض عليها الخيل و الرجال و لا يخرج يومئذ الى الحرب رجل قد حضر أجله.

قال: فصلّى يوشع بن نون عليه السّلام ركعتين و دعا ربّه أن يحبس الشمس عنهم ساعة فأجابته و اخرت الشمس، فخرجت فاختلط عليها حسابها فقالت لبالق: انظر ما يعرض عليك يوشع و يلتمسه فاعطه فان حسابي قد اختلط علىّ.

فقال لها: أنّه لا يكون صالح إلّا بقتال.

فقاتل يوشع فقتل أصحاب «بالق» قتلا ذريعا كثيرا لم يقتل مثله قبل. فسأل الصلح فأبى يوشع بن نون أن يفعل حتى يسلم إليه المرأة.

فقالت: ادفعني إليه.

فدفعها فقالت: هل تجد فيما أوحى الى صاحبك موسى عليه السّلام قتل النساء؟.

قال: لا.

قالت: أليس إنّما تدعوني الى دينك؟.

قال: بلى.

قالت: فاني قد دخلت فيه.

ص: ٦٥

فتركها ثم انتهى الى مدينة اخرى فأرسل صاحب المدينة الى (بلعم) و كان يقال ان (بلعم) قد أوتى الاسم الأعظم و هو الذي قال الله جل و عز عنه: «آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا».

نسأل الله الثبات و ان يجعل ما أعطانا مستقرا و لا يجعله مستعارا مستودعا و ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا و أن يهب لنا من لدنه رحمة أنّه هو الوهاب.

قال: فركب (بلعم) حمارته ثم توجه الى صاحب المدينة ليعين على (يوشع) فعثرت حمارته فقال لها: لم عثرت و لم تكونى تعثرين؟ قالت: و لم لا أعثر و هذا جبرئيل بيده الحربة ينهاك أن تدعو على أصحاب (يوشع).

فدخل (بلعم) على أصحاب المدينة و صاحبها و قال له: ادع الله عليهم.

فقال: ليس الى ذلك سبيل و لكن أشير عليك أن تزين النساء و تأمرهن أن يأتين عسكر (يوشع) فيتعرضن للرجال فإن الزنا لم يظهر فى قوم قط إلا بعث الله عليهم الموت، ففعل، فلما دخلت النساء العسكر وقع الرجال عليهن، فوجد ابنا هارون ريح الخطيئة فخرجا فوجدا رجلا من بنى اسرائيل قد وقع على امرأة قطعنه أحدهما بالرمح، فقوى الله - عز ذكره - الرمح و ذراع الفتى حتى شكهما جميعا فيه و شالهما عليه، فصارت المرأة فوق الرجل على الرمح، فأخرجهما الى بنى اسرائيل؛ حتى نظروا إليهما.

و أوحى الله الى (يوشع بن نون) ان شئت سلطت عليهم عدوهم، و ان شئت أهلكتهم بالسنين، و ان شئت فموت حثيث.

فقال يوشع: أنهم بنو اسرائيل و لا أحب أن تسلط عليهم عدوهم و لا أن تهلكهم بالسنين، و لكن بموت حثيث.

فمات فى ثلاث ساعات سبعون ألفا بالطاعون.

و قد روى فى «بلعم» أحاديث توجب أنه لم يخرج عن شيء من دينه و هو من ولد (لوط) عليه السلام.

ثم خرجت «صفورا» بنت شعيب امرأة موسى على «يوشع» و ركبت الزرافة و كان ظهر الزرافة كالسرج فلما حاربت حجة الله و ظفر بها و من عليها صير الله ظهر الزرافة

ص: ٦٦

كالزرافة و حماء فكانت الحرب لها أول النهار الى قبل زوال الشمس ثم صارت له الى آخر النهار فظفر بها و أشار عليه بعض من معه بقتلها، فقال لهم: قد عرفنى موسى أمرها و خروجها و أمرنى أن أحفظه فيها و أحسن صونها فوكل بها نساء متلثمات أركبهن الخيل فى زى الرجال و وجهه بهن. فلما صارت هناك جمعت النساء و الرجال و قالت: ان (يوشع ابن نون) أسرنى و بعث بى مع رجال ليس فيهم محرم الى هذا المكان.

فكشف النساء اللثام حتى نظر بنو اسرائيل إليهن و كذبنها.

فلما حضرت يوشع الوفاة أوحى الله إليه ان يستودع ما فى يده ابنه (فينحاس) فأحضره و سلم إليه علوم التبيين و مواريتهم و مضى صلى الله عليه.

فقام فينحاس ابنه (صلى الله عليه) بأمر الله جل و علا

و اتبعه المؤمنون من بنى اسرائيل على قلة عددهم الى أن حضرت وفاته فأوحى الله إليه ان يستودع ما فى يده ابنه بشيرا فأحضره وأوصى إليه و سلمه ما فى يده و مضى صلى الله عليه.

فقام بشير بن فينحاس عليه السلام بأمر الله جل و عز مقام آبائه عليهم السلام

الى أن حضرته الوفاة فأوحى الله إليه ان يوصى الى ابنه (جبرئيل) فأوصى و سلم ما فى يده إليه و مضى.

فقام جبرئيل بن بشير عليه السلام بأمر الله جل و عز

مع من اتبعه من المؤمنين مقام آبائه عليهم السلام الى أن حضرته وفاته، فأوحى الله تعالى إليه أن يجعل الوصية فى ابنه «ابلث» فأوصى و سلم جميع ما فى يده الى «ابلث» ابنه و مضى صلى الله عليه.

و قام ابلث بن جبرئيل بن بشير عليه السلام بأمر الله عز و جل على سبيل آبائه

الى أن حضرته الوفاة، و أوحى الله تعالى إليه الى ابنه «أحمر» فأحضره و سلم إليه ما فى يده و مضى عليه السلام.

ص: ٦٧

فقام أحمر بن ابلث مقام أبيه

و من تقدّمه من آبائه عليهم السلام بأمر الله جل جلاله، حتى اذا حضرت وفاته أوحى الله إليه أن يستودع الاسم الأعظم و النور ابنه «محتان» فأحضره و سلم إليه الوصية و مواريث الأنبياء و مضى عليه السلام.

و قام محتان بن أحمر عليه السلام بأمر الله جل و تعالى مقام أبيه

الى أن حضرت وفاته فأوحى الله إليه أن يستودع ما فى يده و يوصى الى ابنه «عوق» ففعل و مضى عليه السلام.

و قام عوق (صلى الله عليه) بأمر الله عز و جل مقام آبائه

و اتبعه المؤمنون، و ملك الأرض حينئذ (بهراسب) مائة و عشرين سنة، و كان فى ملكه العدل و الأمن. و فى ملكه رجعت اليهود إلى الأرض المقدسة فأقاموا فيها آمنين و كان يدبر أمر الله عز و جل يومئذ (عوق) من ولد (يوشع) و المؤمنون متبعون له و لمن تقدّمه من آبائه عليهم السلام.

و لما حضرت الوفاة (عوق) أوحى الله إليه أن يستودع الاسم الأعظم و جميع مواريث الأنبياء (طالوت) فأحضره و سلم إليه الوصية و جميع ذلك.

و قام طالوت عليه السلام بأمر الله جل و علا

و أظهر أمر الله فى أيام نبوته و كان من ولد «بنيامين» بن يعقوب و كان راعيا فآتاه الملك و الحكمة و العلم و خالف عليه بنو إسرائيل و هو قول الله جل جلاله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْبَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

و كان الملك فى ذلك الزمان هو الذى يسير الجيوش، و النبى يقيم أمر الله و ينبئه بالخير من عند الله.

فلما قالوا ذلك لنبيهم، قال لهم: أ ليس عندكم ذمة و لا وفاء و لا رغبة فى الجهاد؟

قالوا: بلى قد أخرجنا من ديارنا و ابنائنا و لا بد لنا من قتال عدونا و طاعة ربنا.

قال لهم: فان الله قد بعث لكم (طالوت) ملكا.

قالت عظماء بنى اسرائيل: (طالوت) من سبط (بنيامين بن يعقوب)، و الملك و النبوة

ص: ٦٨

فى أولاد (يهودا) و (لاوى) ابنى يعقوب، فكيف يكون له الملك علينا و نحن أحق بالملك منه.

قال لهم: ان الله قد اصطفاه عليكم و زاده بسطة فى العلم و الجسم، و الملك لله عز و جل يضعه حيث يشاء و ليس لكم ان تتجبروا على الله جل و عز فى أمره و ملكه و سلطانه، و ان آية ملكه أن يأتىكم التابوت من قبل الله تحمله الملائكة، و هو الذى كنتم تهزمون به من لقيتم من أعدائكم. قالوا: ان جاءنا بالتابوت رضينا فسلمنا، فروى ان التابوت كان على صورة البقرة و ان السكينة على صورة الإنسان، فجاء بالتابوت تحمله الملائكة فسلموا حينئذ فقام بأمر الله، و جيش الجيوش لقتال الجبار (جالوت) و كان أبو داود عليه السلام شيخا كبيرا و له أربعة أولاد فوجه الشيخ مع (طالوت) بأولاده كلهم سوى داود فإنه خلفه فى الغنم و فصل طالوت لقتال الجبار (جالوت) فقال الشيخ أبو داود لداود اذهب بسلاح قد صنعته الى اخوتك ليقوموا به على عدوهم، و كان داود عليه السلام قصيرا أزرق قليل الشعر فمضى الى اخوته فنزل فى خيمتهم (و روى) أنه فى طريقه مر بحجر فناداه الحجر يا داود خذنى فاقتل بى جالوت فانى انما خلقت لقتله فأخذه فوضعه فى مخلاته فلما دخل العسكر سمع الناس يعظمون أمر جالوت و جنوده فقال لخالوته و للناس: ما تعظيمكم أمره؟ لئن عاينته لأقتلنه! فتحدث الناس بهذا الحديث و ارتفع الخبر به الى طالوت فأمر بإحضاره ثم قال له ما بلغ من قوتك؟ فقال له داود قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمى فأدركه فأخذ برأسه فأفكّ لحية عنها و أخذها من فيه، و كان الوحى قد نزل على طالوت عليه السلام أنه لا يقتل جالوت إلا من لبس درعك فملأها، و كان طالوت يلبس الدرع رجلا رجلا من أصحابه فيضطرب عليه. فدعا اخوة داود فسألهم عنه ثم قال لهم كيف صدقه، قالوا ما جربنا عليه كذبا قط، قال لهم فكيف عقله، قالوا أحسن عقل و أوفره، قال فكيف منزلته عند أبيه، قالوا هو آثرنا عنده، فدعا طالوت بالدرع فألبسها داود فانتفض فيها ففضلت عليه فقال له: يا داود أنت الذى يقتل بإذن الله جالوت.

فلما التقى الجمعان قال داود عليه السّلام أروني جالوت فأروه إيّاه فأخذ الحجر فجعله في مقلاع معه فرماه به فصك به بين عينيه فخر على وجهه صريعا. و كان طويلا جسيما فسقط ميتا و بادر إليه فحز

ص: ٦٩

رأسه و وضعه في مخلاته، فروى ان طالوت استخلفه في مجلس القضاء و الفقه فكان يحكم بين الناس فلما حضرت طالوت الوفاة أوحى الله إليه أن يسلم ما في يده من الموارث و العلوم الى (الياس) و داود عليهما السّلام و روى أنّه أمر بتسليم ذلك إلى داود عليه السّلام فسلم طالوت نور الله و حكمته و جميع ما في يديه الى داود عليه السّلام.

فقام داود صلى الله عليه بأمر الله بعد طالوت

و اجتمعت بنو اسرائيل على داود، و أنزل الله جل ذكره عليه الزبور، و علّمه صنعة الحديد، و لّين الحديد في يديه، و أمر الجبال و الطير أن يسبحن معه و أعطى صوتا لم يعطه أحد من الأنبياء قبله، و أعطى النور و الحكمة و التوراة و زاده الله الزبور و أقام في بنى اسرائيل مستخفيا و أعطى القوة في العبادة ثم أنّه سأل ربّه أن يجعله رابع أربعة من ولد اسرائيل يدعى بآله كما كان يدعى ابراهيم و اسحاق و يعقوب حتى يقال و إلهه داود فأوحى الله إليه ان أولئك ابتليتهم فصبروا.

فقال: يا رب ابتلني. فأوحى الله عز و جل إليه اني مبتليك في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا في ساعة كذا. فلما كان في ذلك اليوم تخلى داود في محرابه و كان يدعو على الخاطئين و كان أمره ما قصّ الله به من حديث الطائر و المرأة و الملكين فأثاه جبرئيل فقال له: ان أردت أن يتوب الله عليك فاسأله بحق محمد و آل محمد فبذلك سأل آدم ربّه و بذلك سأل ابراهيم حين ألقى في النار و بذلك سأل الأنبياء ربّهم. فقال: اللهم بحق محمد و آل محمد. فأجابه و تاب عليه فكان بعد ذلك يبتدئ بالدعاء للخطئين (و روى) أنّه كان في محرابه إذ مرّت به دودة تدبّ حتى انتهت الى موضع سجوده فنظر إليها فوجد في نفسه، ثم قال: يا ربّ لم خلقت هذه؟ فأوحى الله إليها أن تكلمه، فقالت له: أنا على صغرى و تهاونك بى أكثر لذكر الله منك يا داود. هل سمعت حسى أو تبينت أثرى؟ فقال لها: لا. قالت: فان الله ليسمع ديبى و نفسى و حسّى و يرى شخصى فاخفض من صوتك.

و كان داود يكثر من الدعاء بأن يلهمه الله القضاء بين الناس بما هو عنده الحق فأوحى الله إليه ان الناس لا يحملون ذلك. فعاود في الدعاء فأوحى الله إليه اني سأفعل. فارتفع إليه رجلان استعدى أحدهما على الآخر فأمر المستعدى عليه أن يقوم الى المستعدى فيضرب

ص: ٧٠

عقه، ففعل، فعظم ذلك على بنى اسرائيل، و قالوا: رجل جاء يتظلم من رجل ظلمه.

فأمر الظالم أن يضرب عنق المظلوم. فقال: يا رب انقذنى من هذه الورطة فانى بأمرك أمرت.

فأوحى الله إليه سألتني أن ألهمك القضاء بين عبادي بالحق، فاعلم ان هذا المستعدى الذى هو عند الناس مظلوم قتل أبا من استعدى عليه سرّاً و هو عندهم ظالم له. فألهمتك القود منه فهو المدفون فى حائط كذا و كذا تحت شجرة. ناده باسمه فأنه يخبرك بقصته.

ففرّج عن داود و قال ذلك لبنى اسرائيل و مضى الى الموضع فنادى القتييل: يا فلان.

فقال له: لبيك يا نبيّ الله.

قال: من قتلك؟.

فقال: فلان الفلاني قتلني.

و كانت بنو اسرائيل بعد ذلك يقولون لداود يا نبيّ الله و انما كانوا يقولون له يا خليفة الله.

ثم أوحى الله الى داود أن الناس لا يحتلمون إلّا الظاهر دون الباطن فاسأل المدعى البينة و أضف المدعى عليه الى اسمى يعنى اليمين بالله جل و عز.

قال: و صار إليه صاحب الحرث و الزرع فتحاكما إليه فحكم داود بما حكمت به الأنبياء قبله و هو ان لصاحب الحرث رقاب الغنم بما أفسدت عليه من زرعه، و كان كرماً قد أينع، فألهم الله (سليمان) فى تلك الحال لما شاء أن يظهر من أمره و يدلّ الناس عليه أن قال أى غنم نفشت فى زرع فليس لصاحب الزرع إلّا ما يخرج من بطون الغنم فى تلك السنة فجرت السنة بعد سليمان بذلك فحكم كل واحد منهما بحكم الله. و كانت هذه إشارة فى سليمان عليه السلام.

و روى ان الله تبارك و تعالى أوحى إلى داود ان أردت أن أعطف عليك بقلوب عبادى فاحتجز الايمان بينى و بينك و تخلق للناس بأخلاقهم (و روى) ان الله عز و جل أوحى الى داود ان لى و للجن و الانس يوم القيامة نبأ عظيماً، أخلقهم و يعبدون غيرى، و أرزقهم و يعبدون سوى.

ص: ٧١

و روى أنّه أوحى الله إليه يا داود كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتى على من دخل فيها و كما لا يضر الطير من يطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطهرون و كما ان أقرب الناس من الله يوم القيامة المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون.

و روى أنّه أوحى الله إليه يا داود مالى أراك منتبذا؟.

قال: أعيتنى الخليفة فيك.

قال: فما ذا تحبّ؟.

قال: محبتك.

قال: من محبتي التجاوز عن عبادي فإذا رأيت لي مریدا فكن له خادما.

و ولد (سليمان) فلما ترعرع أوحى الله إلى داود أنه القيم بالأمر بعدك.

فصعد داود المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: ان الله جل جلاله أمرني أن استخلف سليمان عليكم بعدى.

فضجّت رؤساء أسباط بني اسرائيل و قالوا: غلام حدث يستخلف علينا و فينا من هو أعلم منه و نحن كبراء بني اسرائيل.

فبلغ ذلك داود فجمعهم و قال لهم: احضروا لى عصيّكم فأية عصا أورقت و أثمرت فصاحبها ولى الأمر بعدى.

فسروا بذلك و قالوا: قد رضينا.

و أحضروا العصي و كتب عليها أسماء أصحابها و أدخلها بيتا، و غلق الباب، و أجلس رؤساء الأسباط على الباب يحرسون عصيهم فلما أصبح صلى بهم الغداة، ثم فتح الباب فأخرج عصيهم و قد أورقت عصا سليمان و أثمرت.

و روى أنه حمل سليمان فطاف به فى بني اسرائيل ينادى هذا خليفتي من بعدى.

و مات داود عليه السلام و عقدوا الأمر لبعض أولاده غير سليمان، و اعتزلهم سليمان فاتصل الخبر بنبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له (أرميا) و كان متخليا فى بعض الجبال فنزل و صار الى سليمان فقال له: يا نبي الله ان بني إسرائيل قد عقدوا الأمر لغيرك.

ص: ٧٢

فأمسك عنه سليمان عليه السلام فلم يزل (أرميا) يسأله الى ان اقامه و أخرجه و أركبه بغلة داود و ألبسه عمامته و وضع على رأسه شبيها بالقرن كان إذا وضع على رأس الامام يسمع له صوت كصوت خرير الماء ثم شدّ (أرميا) وسطه بشريط و أخذ بزمام بغلة سليمان عليه السلام و طاف به مناديا فى بني اسرائيل: هذا حجّة الله عليكم.

فانفضّ الناس عن الرجل الذى كانوا نصبوه و عادوا الى سليمان و كان الرجل المنصوب أحد أولاد داود و كان بنوا اسرائيل يميلون إليه لأن أمه كانت منهم و لم تكن أم سليمان منهم.

و روى ان داود عليه السلام أول من صنع بناء بيت المقدس فبنى بعضه و تممه سليمان و نصب فيه المحاربين.

فقام سليمان (صلوات الله عليه) بأمر الله جل ذكره

و نوره و حكمته و جميع مواريث الأنبياء.

ثم أنه لما استوى له الأمر قام خطيباً فذكر الله و أثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس «عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» و سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجَنِّ وَ الْإِنْسَ وَ الطَّيْرَ وَ الْهُوَامَ وَ السَّبَاعَ وَ كَانَ لَا يَسْمَعُ بِمَلِكٍ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَّا آتَاهُ يَذَلُّهُ وَ يَدْخُلُهُ فِي الْإِسْلَامِ.

و روى ان القحط اشتد في زمانه فشكا الناس إليه ذلك و سأله أن يستسقى لهم فخرج معهم فلما صار في بعض الطريق إذا هو بنملة رافعة يديها الى السماء واضعة رجليها في الأرض و هي تقول اللهم أنا خلق من خلقك و لا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم.

فقال سليمان لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم.

فسقوا في ذلك العام ما لم يسقوا مثله.

و روى ان الهدهد كان يدل أصحاب سليمان عليه السلام فلم يلبث أن أتى سليمان «فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ».

ص: ٧٣

فكتب معه بما قصَّ الله جل و عز به و استعجله فقال له: كيف تستعجلني يا نبي الله و أنا أخاف سباع الطير يعنى الجوارح تأكلني.

فأرسل معه الصقر - و روى العقاب - و أمره بحفظه و لذلك صار العقاب رئيس الجوارح.

فمضى الهدهد حتى ألقى الكتاب الى ملكة سبأ و هي على سرير الملك فجمعت أهل مملكتها و قالت «أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ». و روى أنه مختوم و ان أوله «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ثم قالت لهم: ما ذا تأمرون؟.

قالوا: نحن أولو قوة و أولو بأس شديد و الأمر إليك فانظري ما ذا تأمرين؟.

و قالت لهم ما قص الله به جل و تعالى ثم اهدت إليه من الوصائف و العبيد و الخيل و ساير الأصناف ما له مقدار جليل عظيم.

فقال سليمان عليه السلام للرسول: «أُتِمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ».

فرجع الرسول إليها فقالوا لها: ما هذا ملكا و مالنا به طاقة.

فبعثت إليه: انى قادمة عليك بملوك قومی حتى أمتثل أمرک.

ثم أمرت بسریر ملکها و كان من ذهب مرصعا بالياقوت و الزبرجد و اللؤلؤ و جعلته فى سبعة أبیات بعضها فى جوف بعض و غلقت الأبواب كلها و كانت تخدمها ستمائة جارية فقالت لمن خلفت على سلطانها احتفظوا بسریرى لا یصل إلیه أحد حتى أرجع.

ثم خرجت نحو سليمان عليه السلام و كان ملکها باليمن فشخصت فى اثنى عشر فیلا من أفيال اليمن و الفیل الملك و جعل الجن يأتون سليمان بخبرها حتى اذا قربت «قال ... أَيْكُمُ يَأْتِينِي بَعْرُشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ».

و كان من قصة العفريت ما قص الله به فقال آصف بن برخيا عليه السلام «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ».

و كان آصف كاتب سليمان عليه السلام فى تلك الحال و ابن عمه و وصيه و زوج ابنته فروى ان الأرض طويت حتى تناول السرير فى أسرع وقت من طرف العين و أمر سليمان أن

ص: ٧٤

ينكر لها عرشها فنكر فلما قدمت و كان من أمرها ما قص الله به «قِيلَ لَهَا أَ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ».

ثم أمر سليمان عليه السلام بالصرح و قد عملته الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته و وضع سريره فيه و جلس «و قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ» و أراد بذلك أن يريها ملكا أعظم من ملكها.

فلما رأتة حسبته لجة و كشفت عن ساقبها و جعلت تسأله حتى سألته عن الربّ جلّ جلاله و أخبرها ثم دعاها الى عبادة الله و نهاها عن عبادة الشيطان من دون الله و ذكرها بأيام الله عز و جل فقالت عند ذلك «إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و حسن اسلامها.

فلما فرغ من أمرها قال لها: اختارى لنفسك رجلا من قومك أزوّجك به.

فزوجها (ذا تبع) ملك همدان باختيارها و ردّها الى اليمن، فلم يزل ذو تبع ملكا باليمن الى أن قبض سليمان عليه السلام.

قال و جلس سليمان يعرض الخيل لبعض الغزوات و كانت تعجبه فتشاغل بعرضها عن التسبيح حتى غابت الشمس و كان عددها أربعة عشر رأسا فلما أمسى ندم على ما صنع و قال: شغلتنى الخيل عن ذكر ربى فأمر بها فعوقبت و ضربت أعناقها.

فروى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام أنه قال قتل الخيل عند الله أعظم عن ترك التسبيح.

قال: فسقط خاتمه من اصبعه و كان حلقة من ياقوت أحمر من الجنة عليها صورة كرسى فأعاده إلى اصبعه فسقط ثلاث مرّات فقال له آصف: أنّه لن يتماسك الخاتم فى يدك أربعة عشر يوما بعدد الخيل التى قتلتها فادفع إلى الخاتم حتى أقوم مقامك و أهرب الى الله عز و جل و آخذ بالاستغفار و التوبة. و كانت هذه اشارة من آصف عن نفسه.

و قال له: انى أسير فى رعيتك و أهل بيوتك بسيرتك الى ان ترجع.

فدفع سليمان الخاتم الى (آصف) فلما جعله فى اصبعه ثبت. فأقام فى ملك سليمان يعمل عمله، و ألقى الله عليه شبه سليمان عليه السلام فلم يفقد سليمان أحد من الناس إلّا حرمه.

ص: ٧٥

ثم رفع سليمان إلى مجلسه، فلما بصر به قام على رجليه و تنحى له من مجلسه حتى جلس فيه فأخذ الخاتم و وضعه فى يده فثبت.

و حدثه آصف بما عمل فى تلك الأيام التى غاب فيها فدعا سليمان ربّه و ناجاه و قال يا ربّ أتخوّف ان يعلم بنو اسرائيل بما كان منى فتتقص منزلتى عندهم «ف هبّ لى مُلكاً لا يَنْبَغى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»، فاعطى زيادة فى ملكه و سخرّ الله له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم أوحى إليه فى تلك الحال «هذا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثم أثنى الله عليه عند أهل مملكته و عالمه ان له عندنا لزلفى و حسن مآب، و كان إذا أراد الركوب أمر بجمع العسكر و ضربت له الخشب ثم جعل عليه الناس و الدواب و آلة الحرب كلّها حتى اذا حمل على ذلك الخشب كلّ ما يريد أمر الريح فدخلت تحت الخشب و حملته حتى ينتهى به الى حيث يريد.

و روى أنّه خرج فى وقت من الأوقات من بيت المقدس على هذه السبيل عن يمينه ثلاثمائة كرسى عليها الانس و عن يساره ثلاثمائة ألف كرسى عليها الجن و أمر الطير فأظلتهم و الريح تحملهم حتى ورد (المدائن) من يومه ثم رجع فبات ب (اصطخر) ثم غدا فانتهى الى (جزيرة كاوان) ثم أمر الريح أن تحفظهم حتى كادت أقدامهم تلحق الماء فقال بعضهم لبعض هل رأيتم ملكا أعظم من هذا؟.

فروى أنّه مر برجل حراث من بنى اسرائيل فلما رأى الرجل ذلك الملك قال: الحمد لله لقد أوتى آل داود ملكا عظيما.

فألقت الريح الكلام فى اذن سليمان فمال إليه فلما رآه فزع فقال له: سليمان أى شىء قلت؟

فجحد ما قاله. فلم يزل به الى أن قال: قلت: الحمد لله أكثر ممّا أوتى داود آل داود.

و كان لسليمان ثلاثمائة زوجة مهيرة و سبعمائة سرية و ملك مشارق الأرض و مغاربها و ملك سبعمائة سنة و ست عشرة سنة و ستة أشهر و لم يزل يدبر أمر الله جل و عز فلما حضرت وفاته أوحى الله إليه ان يجعل وصيّه و المواريث و النور و الحكمة الى (آصف بن برخيا) فأوصى و سلّم إليه ذلك و مضى عليه السلام و كان فى قبة زجاج فكان من قصته ما نبأنا

ص: ٧٦

اللّٰه من أمر منسأته الى قوله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ.

و قام آصف بن برخيا بأمر اللّٰه

و أعطاه اللّٰه عز و جل من الاسم الأعظم حرفا و كان يرى المعجزات.

و فى أيامه ملك «كشتاسب» مائة و ستا و عشرين سنة، و فى أربعة و ثلاثين سنة من ملكه ظهر أمر «الهرابذة» و بنى مدينة بفارس سمّاها «نشا» و تسلّط اليهود على نسل داود فقتلوا منهم مائة و عشرين نبيا و قتلوا من شيعة الأنبياء خلقا كثيرا فعند ذلك لعنهم اللّٰه باللعة التى لعن بها ابليس و مسخهم قردة و خنازير و أنواعا شتى من المسوخ فى البر و البحر و منهم الجرى و المارماهى و الزمار على حسب ذنوبهم و كفرهم مسخ كلّ صنف و كان أمر اللّٰه مفعولا.

و لما حضرت «آصف» الوفاة أوحى اللّٰه إليه أن يستودع نور اللّٰه و حكمته و جميع ما فى يديه ابنه «صفورا» فدعاه و سلّم إليه التابوت و الوصيّة و مضى.

و قام صفورا بن آصف عليهما السّلام بأمر اللّٰه جل و عز

فاتبعه المؤمنون من بنى اسرائيل فلما حضرته الوفاة أوحى اللّٰه إليه ان استودع الاسم الأعظم و التابوت و الحكمة و النبوة الى ابنك «مبنة» و أحضره و أوصاه و سلّم إليه و مضى.

و قام مبنة بن صفورا عليهما السّلام بأمر اللّٰه جل و علا

فعند ذلك و فى أيامه ملك أردشير بن اسفنديار مائة و اثنتى عشرة سنة.

و فى خمس سنين من ملكه بنى مدينة بفارس و سماها «اصطخر» و سيكون فيها ملحمة عظيمة فى آخر الزمان على ما روى عن عالم أهل البيت عليهم السّلام.

و لما حضرت مبنة الوفاة أوحى اللّٰه إليه ان يستودع و يوصى «هندوا» فأحضره و أوصى إليه و سلّمه ما فى يديه و مضى.

ص: ٧٧

و قام هندو بن مبنة عليه السّلام بأمر اللّٰه جل و عز

فلما حضرت وفاته أوحى اللّٰه إليه ان استودع مواريث الأنبياء ابنك «اسفر بن هندوا» فأحضره و سلّم إليه و مضى عليه السّلام.

فقام أسفرا بن هندوا بأمر الله جل و تعالى

و تبعه المؤمنون فعند ذلك ملكت حماء بنت شهرزان ثلاثين سنة و كان فى ملكها تخفيف الخراج و صلاح أمر الناس و لم يخرج عليها أحد إلّا ظهرت عليه، و كانت امرأة بغية، و كانت لها امرأة تخدمها تطلب لها كل ليلة رجلا شابا جميلا تدخله إليها فيبيت عندها ليلتها فاذا أصبح أمرت به فقتل لثلا يشنع عليها و يذيع خبرها.

فعند ذلك - قال عالم أهل البيت عليهم السلام - لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما أعطى ملكها امرأة بغية.

فلما حضرت «اسفر» الوفاة أوحى الله إليه ان استودع النور و الحكمة و المواريث ابنك «رامن» فأحضره و أوصى إليه و سلمه ما فى يده و مضى عليه السلام.

فقام رامين بن اسفر عليه السلام بأمر الله عز و جل

و تبعه المؤمنون و قد كانوا قلوبا و فنوا و بقى منهم عدد يسير الى ان حضرت وفاته فأوحى الله إليه ان يستودع ما فى يده «اسحاق» فأحضره و أوصى إليه و سلمه جميع المواريث و النور و الحكمة و الاسم الأعظم و مضى.

و قام اسحاق بن رامين بأمر الله جل جلاله مقام آبائه عليهم السلام

فلما حضرته الوفاة أوحى الله إليه ان استودع الاسم الأعظم ابنك «أيم» فأحضره و أوصى إليه و سلم ما فى يديه و مضى صلى الله عليه.

و قام ايم بن اسحاق بأمر الله جل و عز مقام آبائه عليهم السلام

فلما حضرته الوفاة أوحى الله إليه ان يستودع الاسم الأعظم و يوصى الى ابنه «زكريا» روى ان اسمه «زمرت» فأحضره و أوصى إليه و مضى صلوات الله عليه.

ص: ٧٨

فقام زكريا عليه السلام بأمر الله

و هو «زكريا بن ايم» و يروى ابن (اردن) و اتبعه المؤمنون من ولد داود من سبط يهودا.

و كان زكريا متزوجا (ايساع) اخت (حنة) (أم مريم أم عيسى).

و روى ان زكريا عليه السّلام لم يزل خائفا من اليهود مستخفيا، ثم هرب منهم فالتجأ الى شجرة فنشرت لحاها ثم نادته «يا زكريا ادخلنى» فدخلها فانضم عليه اللحاء فلم يوجد فاتاهم ابليس فدلهم عليه فاتوا الشجرة فنشروها و نشروه عليه السّلام معها فروى ان الله عز و جل قبض روحه قبل وصول المنشار إليه، و رفع عنه الألم.

و كان الله أوحى إليه قبل ذلك أن يسلم مواريث الأنبياء و ما فى يديه الى عيسى عليه السّلام و روى فى خبر آخر ان الله أوحى الى زكريا أن يستودع النبوة و مواريث الأنبياء و ما فى يديه الى نبي من بنى اسرائيل يقال له (اليسابغ).

فقام اليسابغ عليه السّلام بما أوصاه به زكريا عليه السّلام من أمر الله جل و علا

و أعطاه ثلاث آيات متظاهرات بينات ليربها بنى اسرائيل فأبى أكثرهم إلّا طغيانا و كفرا.

فعند ذلك ملك (دارا بن شهزادان) اثنتى عشرة سنة و هو أول من صنع السكك و أعد لنفسه الأموال و الخزائن فلما أراد الله أن يقبض (اليسابغ) أوحى إليه أن يستودع النور و الحكمة و الاسم الأعظم ابنه «روبييل».

و قام روبيل بن اليسابغ بأمر الله جل و عز و تدبير ما استودعه

و ملك فى أيامه (دارا بن شهزادان) أربع عشرة سنة و بعد سنة من ملكه بنى مدينة و سمّاها «داراجرد» ثم ملك بعده (الاسكندر) أربع عشرة سنة و ذلك كلّ فى وقت إمارة (روبييل).

و قتل «الاسكندر» (دارا بن دارا) و هدم بيوت النيران و قتل (الهرابذة) و كان فى زمانه العدل و الإنصاف فلما مات (الاسكندر) و كان أصحابه يعبدون الحجارة فحملوه فى

ص: ٧٩

تابوت من ذهب الى بلاد الروم و كان بنى بعد سنتين من ملكه مدينة باصيهان سمّاها «جى» فأسرف كفر بنى اسرائيل فى قتل المؤمنين و تعذيبهم فدعوا الله أن يخرجهم من بينهم و يبعد بين أقطارهم فبعث الله إليهم ملائكة فسيرهم على الماء و معهم الكتاب المنزل على موسى عليه السّلام.

و ملك عند ذلك (أشبح بن اشبحان) مائتى سنة و ستين سنة، و فى احدى و خمسين سنة من ملكه

بعث الله عز و جل المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام

فقال العالم عليه السّلام: ان امرأة عمران لما نذرت ما فى بطنها محررا، و المحرر للمسجد و خدمة العلماء و قال فى خبر آخر ان الله أوحى الى عمران انى أهب لك ابنا يبرى الاكمه و الأبرص و يحيى الموتى باذننى.

فلما ولدت امرأته بنتا و هى مريم قالت اننى وضعتها انثى و ليس الذكر كالانثى - تريد أن الانثى لا تكون نبيا مرسلا.

و انما كان الوعد لعمران بعيسى عليه السلام من ابنته مريم فنشأت مريم أحسن نشوء و لزمت العبادة و الصلاة فى الكنائس و البيع مع العلماء و أحصنت .. لم ترغب فى أحد من الرجال و كان زكريا قد كفها فى حياته فكان إذا دخل إليها و هى فى المحراب وجد عندها رزقا.

قال: يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله.

قال: كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء و فاكهة الشتاء فى الصيف و روى أنه كان الرزق علما من العلوم و روى أنه حمل مريم كان ثلاث ساعات و روى سبع ساعات من النهار و روى تسعة أيام و ان جبرئيل عليه السلام أتاها بسبع تمرات من العجوة و هى الصرفان فأكلتها فحملت بعيسى و روى ان جبرئيل عليه السلام نفخ فى جيبها و قد دخلت الى المغتسل للتطهير فخرجت و قد انتفخ بطنها فخافت من حالتها و من زكريا فخرجت هاربة على وجهها و ان نساء بنى اسرائيل و من كان يتعبد معها رأوا بطنها فشتمنها و نتفن شعرها و خمشن وجهها فأنطق الله المسيح عليه السلام فى بطنها فقال و حق النبى المبعوث بعدى فى آخر الزمان لئن أخرجنى الله من بطن أمى مريم لأقيمن عليكن الحد.

و مضت مريم على وجهها حتى أتت قرية فى غربى الكوفة يقال لها «بشوشا»

ص: ٨٠

و يروى (باتقيا) و هى اليوم تعرف بالنخيلة. و فيها عظام هود و شعيب و صالح و عدّة من الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام فاشتد بها الطلق فاستندت الى جذع نخلة نخرة قد سقط رأسها فولدته فاخضرت النخلة من وقتها و أثمرت و أينعت و سقط منها على مريم رطب جنى، و كان فيما روى فى كانون من زمان الشتاء فلذلك تطعم النفساء التمر و الرطب.

و اشتد خوفها من زكريا و من خالتها و كانت امها حنة قد ماتت و كفلتها ايساع حتى قالت يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا مُنْسِيًّا و روى أنها قالت يا ليتنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل ما قد رأيت من الافتتان بسبى و باتهامهم لى إشفافا منهم فنادها عيسى عليه السلام أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا يعنى نفسه و «هَزَيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا» ثم ضرب برجله فانبعث من تحت رجله عين ماء جار فقال لها «كُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» أى صمتا «فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا».

فطابت نفسها و أكلت و شربت ثم حملته و رجعت الى الشام و كان مجيئها من الشام الى الكوفة و رجوعها فى ثلاثة أيام فلقبها زكريا عليه السلام و معه خالتها فكلماها فأشارت إليه ان كلمها فانطقه الله حتى «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» الى قوله «وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» فطابت نفس زكريا و ايساع خالتها و ظهرت حجّتهم عند أهل بيتهم و عند الناس.

فأقبلت الى منزلها و قد حملت عيسى عليه السلام على صدرها فخرج من عواتق القرية سبعون عاتقا فقلن لها قد «جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا» ... الآية، فأشارت إليه، فقال عيسى عليه السلام لهن:

يا ويلكن ا تفترين على أمى، انى عبد الله ... الى قوله «ما دُمْتُ حَيًّا».

و تكلم بالحكمة ثم صمت بعد ذلك الى أن أذن الله له بالكلام و روى أنه بعد ذلك بسبع سنين و روى بعد أربع سنين فأوتى الحكمة فأخبرهم بما يأكلون و ما يدخرون فى بيوتهم.

و روى أن إبليس مضى فى طلبه فى وقت ولادته فلما وجدته وجد الملائكة قد حفّت به فذهب ليدنو فصاحت به فقال: من أبوه؟ فقالوا له: مثله كمثل آدم. فقال: و الله لأضلن به أربعة أخماس الخلق.

ص: ٨١

ثم نشأ و أرسله الله عز و جل و كان مربوع الخلق الى الحمرة و البياض سبط الشعر كان رأسه يقطر من غير ماء يصيبه و كانت شريعته التوحيد شريعة نوح و إبراهيم و موسى فأنزل الله عليه الإنجيل و أخذ عليه ميثاق الأنبياء بتحليل الحلال و تحریم الحرام و الأمر و النهى و الإنجيل مواعظ و أمثال ليس فيه قصص و لا حدود و لا فرائض و لا موارد و أنزل الله عليه تخفيفا ممّا كان فى التوراة و هو قوله «وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» فآمن به المؤمنون بالحجج و كذّبه بنو اسرائيل فافترقوا فيه فرقا يختلفون فيه حتى قال بعضهم أنه إله و قال بعضهم أنه ابن الله جلّ الله و تعالى فاقشعرت الأرض و تشوكت الشجر من ذلك الزمان.

ثم أحيأ الموتى و أبرأ الاكمه و الأبرص باذن الله.

و روى أنه لم يحيى إلّا ميتا واحدا و أنه قام خطيبا فى بنى اسرائيل فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا بنى اسرائيل لا تأكلوا حتى تجوعوا فاذا جعتم فكلوا و لا تشبعوا فانكم إذا شبعتم غلظت رقابكم سمت جنوبكم و نسيتم ربكم. انى أصبحت فيكم اداى الجوع و طعامى ما تنبت الأرض للوحوش و البهائم، و سراجى القمر، و فراشى التراب، و وسادى الحجر، ليس لى بيت يخرب و لا مال يتلف، و لا ولد يموت، و لا امرأة تحزن، و كان صلى الله عليه قد بعث بالسياحة و التقشف فمر و هو يسبح فى الأرض يقوم بيبكون فقال من أى شىء يبكى هؤلاء القوم؟ قالوا له على ذنوبهم فقال عليه السلام يتركونها يغفر الله لهم.

و اتبعه الحواريون و كانوا اثنى عشر رجلا و هم التلاميذ و وجّه الى البلدان بالرسل و دعاهم الى التوحيد فاتصل به ان ملكا فى بعض البلدان يأكل الناس هو و أهل مملكته و أنهم يسمنون الناس و يغذونهم بأغذية تزول بها أفهامهم حتى يسمنوا ثم يأكلونهم فأمر المسيح عليه السلام أحد خواصّه أن يرسل ببعض ثقاته إليهم ينذرهم و يحذّرهم فوجّه إليهم و كان بينه و بينهم مسيرة ثلاثة أشهر فلما دخل الى مدينتهم اتاهم إبليس فأغراهم به حتى أخذوه فحبسوه فى الموضع الذى يسمنون فيه الناس و سقوه ما كانوا يسقونهم فمكث على عادته و كانت العادة أن يخرجوا الرجل بعد شهر من محبسه فيذبّحوه فلما مضى للرجل سبعة و عشرون يوما قال المسيح للمرسل به ادرك أخاك فأنه لم يبق من أيامه إلّا

ص: ٨٢

ثلاثة أيام فخرج الرجل مبادرا حتى صار الى شاطئ البحر فوجد مركبا صغيرا فجلس فيه فقال له الملاحون - و كان فى المركب ثلاثة نفر - أين تريد؟.

فلم يخبرهم فلما ألحوا عليه عرفهم الموضع الذى يريده فجعلوا يتضاحكون به و صاحب السكان من بينهم يهزأ منه و يقول كيف تبلغ مسيرة ثلاثة أشهر فى يوم واحد.

فاغتم و أوقع الله عليه السبات فانتبه و هو على باب المدينة فخرج من المركب فلما دنا من باب المدينة وجد المسيح عليه السلام يطلع من السور فكلمه و سألته من خبره فقال له الرجل أرى أنك كنت صاحب السكان فى المركب ثم دخل الى المدينة و صار الى الملك فزجره و وعظه فأتاه ابليس فأغراه به فأخذه و أدخلوه الى المجلس الذى يسمنون فيه فلما رآه صاحبه وثب إليه فسأله عن خبره فأمره بالخروج فقال له أين أخرج و انما أردت إذا خرجت أن أصير إليك. فقال: تنتظرنى على باب المدينة.

فخرج و الحرس جلاس فلم يره منهم أحد.

و أغرى ابليس بالرجل و قال لهم هذا و أمثاله آفة الملوك و الوجه أن يعذب حتى يرتدع به غيره و أشار أن يرحم بالحجارة و يسحب على الحصباء لوجهه و ساير جسده حتى يترضض فيألم جسده، ففعل به ذلك و غلظ عليه الأمر، فشكا الى الله عز و جل و قال يا رب ان كان أجلى قد قرب فاقبضنى إليك و إلّا ففرج عنى فلم يبق فى موضع للصبر فأوحى الله إليه أن لك عندى منزلة لم تبلغها إلّا بالصبر على أغلظ المحن و قد فرجت عنك و أمرت كل ما فى المدينة بطاعتك فاخرج فخرج الى صنم لهم من حجارة فأمره أن ينبعث من سائر الماء فنبع الماء من عينيه و أنفه و أذنه و فمه و ساير أعضائه فغرق خلق من أهل المدينة، و علم الباقيون السبب فى غرقهم فصاروا إليه خاضعين طالبيين، و آمنوا و نزلوا على حكمه و اتبعوه فأمر الصنم ان يبتلع الماء فابتلعه و بقى من مات بذلك العذاب مطروحا فأحياهم باذن الله جميعا فأمن به جميع أهل المدينة.

و كان المسيح صلى الله عليه يبشّر الحواريين بالنبيّ محمد صلى الله عليه و آله فيقولون هو منّا و نحن شيعته فكان فى الانجيل لا يلى أمر الامة رجل و فيهم من هو أعلم منه إلّا كان أمرهم إلى سفال.

ص: ٨٣

و روى أن الدنيا تمثّلت للمسيح فى أحسن صورة، و روى فى خبر آخر أنّها تمثّلت فى صورة امرأة زرقاء شمطاء عجوز فقال لها: هل تزوجت؟ فقالت: كثيرا. فقال لها: فكلّ طلقك؟ فقالت: بل كلّ قتلته. فقال لها: فويح لأزواجك الباقيين كيف لم يعتبروا بالماضين.

و روى عنه عليه السلام أنّه قال: أوحى الله الى الدنيا: من خدمك فاستعبديه، و من خدمنى فأخدميه.

و روى أنّه عليه السلام دعا الحواريين فى يوم من الأيام ثم قام يخدمهم حتى يفعلوا مثله ثم يعلمونه الناس.

و مكث عليه السلام فى الأرض ثلاث و ثلاثين سنة و كان فيما أمر به الحواريين قوله: ارضوا بذى الدنيا مع سلامة دينكم كما رضى أهل الدنيا بذى الدين مع سلامة دينهم، و تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصى و البعد منهم.

فقالوا: و من نجالس يا روح اللّٰه؟.

فقال: من يذكركم اللّٰه رؤيته، و يزيد فى علمكم منطقہ، و يرغبكم فى الآخرة عمله.

ثم نزلت المائدة عليهم فأمر بتغطيتها و أن لا يأكل رجل منها شيئا حتى يأذن لهم، و مضى فى بعض شأنه، فأكل منها رجل منهم فقال بعض الحواريين: يا روح اللّٰه قد أكل منهم رجل.

فقال له عيسى: أكلت منها؟.

فقال الرجل: لا.

فقال الحواريون: بلى يا روح اللّٰه لقد أكل منها.

فقال عليه السّلام للحواريين: صدق أخاك و كذب بصرك.

و روى فى المائدة أخبار كثيرة يطول شرحها.

قال: و اشتد طلب اليهود له حتى هرب منهم ثم جمع أصحابه و أوصى الى شمعون و أمرهم بطاعته و سلّم إليه الاسم الأعظم و تابوت ثم قال للحواريين فى تلك الليلة و قد جمعهم فى بيت، أيكم يكون رفيقى غدا فى الجنّة على أن يتشبّه للقوم غدا فى صورتى فيقتلوه؟.

ص: ٨٤

فقال له شاب منهم: أنا يا روح اللّٰه.

فأمره بالجلوس فى مجلسه الذى كان يجلس فيه فامتثل أمره و طرح عليه شبهه فدخل إليه اليهود فقتلوه و صلبوه فروى أن بعض الحواريين مر بشمعون عليه السّلام و هو تحت الخشبة يجمع ما يسقط من جلده و أعضائه فقال له: يا نبي اللّٰه إذا رآك الناس تفعل هذا افتتنوا.

فقال له: انى رأيت اللّٰه عز و جل قد أضلّ قوما و أحببت أن أزيدهم.

و كان فيما قاله المسيح عليه السّلام: اما أنكم ستفترقون بعدى ثلاث فرق، فرقتين تفتري على اللّٰه الكذب و هى فى النار و فرقة مع شمعون صادقة على اللّٰه و هى فى الجنّة.

و رفع الله جل و عز المسيح إليه من ساعته ثم صارت مريم عليها السلام الى ملك اليهود فسألته أن يهب لها المصلوب ففعل فدفتته فخرجت هي و اختها لزيارة قبره فاذا المسيح جالس عند القبر فقالت لاختها: ما ترين الرجل الذى عند القبر؟ قالت: لا. فأمرتها أن ترجع و مضت الى المسيح عليه السلام فأخبرها ان الله عز و جل قد رفعه إليه و أوصى بما أراد.

فرجعت قرية العين.

ثم افترقت امته ثلاث فرق، فرقة قالوا ان الله عز و جل فينا فارتفع، و فرقة قالوا كان ابن الله فينا فرفعه الله. و فرقة مؤمنة مع شمعون.

و روى أن الله عز و جل أظهر دعوة المسيح عليه السلام و هو ابن ثمان و عشرين سنة و عمره ثلاث و ثلاثون سنة.

و قام شمعون عليه السلام بأمر الله جل و عز

و كان يفعل فعل المسيح يبرئ الاكمه و الأبرص و يحيى الموتى باذن الله و معه الشيعة الصديقون فمن آمن به كان مؤمنا و من جحده كان كافرا و من شك فيه كان ضالاً.

و وجّه (شمعون) عليه السلام بالحواريين الى البلدان يدعون الناس و كان المسيح عليه السلام و شمعون لا يبعثان الى الروم بأحد إلّا قتل. فقال شمعون لرجلين من أصحابه: اذهبا في وقت كذا و كذا الى بلد الروم فعجلا فذهبا قبل الوقت فأخذهما الملك و حبسهما فلما

ص: ٨٥

حضر الوقت مضى شمعون في صورة متطرب فكان لا يعالج أحدا إلّا أبرأه و غلب على الملك.

ثم ان الملك رأى رؤيا فقصّها على شمعون فقال شمعون: لعلّ في حبسك قوما مظلومين، فأمره بالنظر في أمور جميع الناس. فجلس الملك و جلس معه شمعون و أخذ ينظر في أمورهم حتى انتهى الى الرجلين فسألهما عن قصتهما فعرفاه أنّهما رسل المسيح و أنّهما يبرئان الاكمه و الأبرص فقال: احضر رجلا أعمى فأحضر من لم يبصر قط فوضع شمعون يده على عينيه ثم قال لهما أنا أبرئه قبلكما و نحى شمعون يده فأبصر الرجل ثم لم يزل يرى الملك و أصحابه آية بعد آية و معجزة بعد معجزة الى أن أحبى ابنا كان للملك قد مات منذ سبع سنين فأمن الملك و جميع أهل مملكته و به عظموا أمر المسيح و قالوا فيه ما قالوا.

فلما حضرت شمعون الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و الحكمة و جميع موارث الأنبياء يحيى بن زكريا ففعل و أوصى و سلم إليه و مضى.

و قام يحيى بن زكريا عليه السلام بأمر الله جل و تعالى

و كان من حديثه أن زكريا عليه السلام دعا ربه فقال «إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي» و أعنى بنى العمومة «وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا» «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا».

و حملت به امه فلما ولد عليه السلام غذى بانهار الجنة حتى فطم ثم انزل به الى أبويه فكان يضيء البيت لنوره ثم نشأ و بعثه الله عز و جل بالحكمة و اتاه زيادة على ما سلم إليه شمعون خمس كلمات و أمره يضربهن مثلاً لقومه فقال يحيى بن زكريا لقومه الكلمات و انما هي:

١- مثل الشرك بالله مثل رجل كان له عبد و لم يكن له مال غيره يملكه فاضطرب العبد في الأرض فأصاب مالا كثيرا فانطلق فجعل سعيه و خيره لغيره فذلك مثل الشرك بالله.

ص: ٨٦

٢- و مثل الصلاة مثل رجل صار الى باب سلطان مهيب فظن ان لا يمكنه الكلام فأمكنه حتى تكلم بحاجته فان شاء أعطاه و إن شاء حرمه.

٣- و مثل الصدقة مثل رجل كان له أعداء فأرادوا قتله فقال ما ينفعكم قتلى كاتبوني و نجموا علىّ نجوما فكلما أدت نجما حللتهم عنى عقدة.

٤- و مثل الصوم مثل رجل أخذ من السلاح ما أطاق حتى رأى أنه لا يصل إليه شيء من السلاح فذلك الصوم جنة.

٥- و مثل القرآن مثل قوم في حصن و لهم قوم يطلبون غرتهم فكلما جاءوهم وجدوهم حذرين في حصنهم فذلك صاحب القرآن.

فعند ذلك ملك (أردشير بن بابكان) أربع عشرة سنة و عدة شهور، و في ثمانى سنين من ملكه قتل يحيى بن زكريا عليه السلام، و كان سبب قتله ان امرأة بغية كانت تختلف الى الملك و كانت إذا مرت بيحيى عليه السلام تقول فلا يكفى فلانا من عنده، فامتنعت من المصير الى الملك إلّا أن يقتل يحيى فبعث الملك الى يحيى فقتله و أتى برأسه، و كان عند الملك في ذلك اليوم رقاص ملهى، فقال له: ادفعه إلىّ فإنه كان يؤذيني. فدفعه إليه فذهب به الى منزله فانبعث الدم منه و أخذ يفور فكان ممّا رآه ان أفلت من الدم فلم يغرق فيه و طرحه في ناحية و جعل الناس يلقون عليه التراب و الكناسة، و الدم يفور و يغلى حتى صار الموضع مثل الجبل العظيم. فلم يزل يفور حتى قتل يحيى سبعون ألفا ثم سكن.

و كان الذى تولى قتله ولد الزنا، و كذلك روى فيمن تولى قتل الحسين بن على عليه السلام من ابن مرجانة و غيره كانوا أولاد زنا.

و روى أن يحيى عليه السلام كان عمره ثلاث و ثلاثين سنة فلما أراد الله عز و جل أن يقبضه إليه أوحى إليه أن يجعل الامامة فى ولد شمعون فأحضر ولد شمعون و الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام و أمرهم باتباع (منذر بن شمعون) و التصديق لما يأتى به.

و قام منذر بن شمعون بأمر الله جل

و عز فعند الله ذلك ملك (سابور بن أردشير) ثلاثين سنة. و فى ثلاث عشر سنة من ملكه جاهد صاحب الزنادقة و قتله. و خرج (بخت

ص: ٨٧

النصر بن ملتصر بن بخت نصر الأكبر) و ملك سبعا و ثمانين سنة. و فى ثلاثة عشر سنة من ملكه سلطه الله على من فى بيت المقدس من اليهود فقتل سبعين ألفا على دم يحيى ابن زكريا عليه السلام و أخرب بيت المقدس و تفرق اليهود فى البلدان. و فى سبع و أربعين سنة من ملكه بعث الله العزيز و خرج قوم من المؤمنين هاربين من القتال فنزلوا بالقرب من جوار (العزيز) فلما رآهم و سمع منهم كلام الايمان اجتباهم ثم غاب عنهم يوما أو بعض يوم و رجع إليهم فوجدهم كلهم موتى صرعى لم ينجهم فرارهم من الموت فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فعند ذلك ألحقه الله بهم ميتا فلبث فيهم مائة عام ثم أحياه الله قبلهم و أحياهم بحضرته فكان ينظر الى العظام و المفاصل كيف تضاف و تجتمع كل مفصل الى صاحبه ثم كسيت لحما فقال (العزيز) عند ذلك اعلم ان الله على كل شىء قدير.

ثم ان الله جل جلاله أمر الوصى (منذر بن شمعون) أن يستودع النور و ميراث الأنبياء (دانيال) عليه السلام.

و قام دانيال عليه السلام بالأمر بعده

و مضى بخت نصر، و ملك ابنه (فهر) - و كان كافرا خبيثا - ست عشر سنة و أياما فأمر أن يتخذ له اخدود ثم جاء بدانيال و أصحابه الصديقين فطرحهم فى النار فلم تقربهم و لم تحرق منهم شيئا.

فلما رأى ذلك لا يضرهم استودعهم الجبّ و فيه سبع ضارية فلما رأتهم السباع لاذت بهم و بصصت حولهم.

فلما رأى ذلك عذبهم بأنواع العذاب فخلصهم الله منه و أدخلهم جنة و ضرب لهم مثلا فى كتابه «أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ» وَ مَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ».

و كان أوحى الله إلى دانيال أن يوصى الى مكيفا و يستودعه الحكمة و كان ابنه ففعل، و قد روى فى خبر آخر ان (العزيز و دانيال كانا قبل المسيح و يحيى بن زكريا عليه السلام) و روى أن يحيى مضى فى آخر أيام المسيح و بعده. و دفن دانيال بتستر و قد روى بالسوس.

ص: ٨٨

و قام مكيفا ابن دانيال بأمر الله

و اتبعه المؤمنون من بنى إسرائيل و ملك «بهرام بن هرمز» ثلاث سنين و ثلاثة أشهر و أربعة أيام و كان زمانه زمان أمن و عدل و الإمامة مكتومة. ثم ملك (بهرام بن بهرام) اثنين و عشرين سنة، ثم ملك بعده «نرسی بن بهرام بن بهرام» و لما حضرت «مكيخا» الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع الحكمة ابنه (انشوا) فأحضره و أوصى إليه.

فقام انشوا بن مكيفا بأمر الله تعالى

و اتبعه المؤمنون سرّاً و ملك «هرمز بن نرسی» سبع سنين ثم ملك بعده ابنه «سابور» و هو أول من عقد التاج على رأسه و بنى «السوس» و «جنديسابور» ثم حكم بعده «أردشير» أخوه سنتين.

و فى ذلك الزمان بعث الله الفتية المؤمنين (أصحاب الكهف و الرقيم) الذين آمنوا برّبهم و زادهم الله هدى، و كان من قصتهم أنّهم أصابوا كتاباً من كتب المسيح عليه السلام فأقاموا عليه بأرض الروم مستخفين و هو الرقيم الذى ذكر الله جل و عز به و كان من شأنهم فى بعثهم بالورق الى المدينة ليأتيتهم بطعام يأكلونه ما قصّ الله جل و عز به و كان المرسل بالورق يسمّى (مكيخا) فروى أنّهم كانوا يخفون الايمان و يظهرون الكفر و يصلّون فى البيع مع النصارى و يشربون الخمر و يشدون فى أوساطهم بالزنانير فاتاهم الله أجّهم مرتين على إظهارهم الكفر و إسرارهم الايمان.

و حضرت «نشوا» الوفاة فأوحى الله إليه أن يوصى الى ابنه «رشيخا» فأحضره و أوصى إليه و سلّمه ما فى يديه فتسلّمه و مضى صلى الله عليه.

و قام رشيخا بن انشوا بأمر الله جل و علا

و اتبعه المؤمنون فى ذلك الزمان و ملك (بهرام جورسابور) فملك سنتين و ملك بعده (يزدجرد بن سابو) احدى و عشرين سنة و كان منزله و دار ملكه «كرمان».

فلما أراد الله أن يقبض (رشيخا) أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته و الاسم الأعظم «نسطورس» فأحضره و أوصى إليه و سلّم إليه مواريث الأنبياء.

ص: ٨٩

و قام نسطورس بن رشيخا بأمر الله جل و تعالى

فاتبعه المؤمنون فى ذلك الزمان و ملك (بهرام جور) ستاً و عشرين سنة و ثلاثة أشهر و أياماً و هو من ولد سام بن لاوى ثم ملك بعده (يزدجرد بن بهرام) ابنه ثمان عشر سنة و ثلاثة أشهر و أياماً و ملك بعده ابنه «فيروز» سبع عشرة سنة.

فلما حضرت «نسطورس» الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع النور «مرعيد» ابنه ففعل.

وقام مرعيد بن نسطورس بأمر الله جل و عز

واتبعه المؤمنون و صار الملك الى «كسرى بن هرمز» فملك ثمانى و ثلاثين سنة فلما حضرت «مرعيد» الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته «بحيرا» فأحضره و أوصى إليه.

وقام بحيرا عليه السلام بأمر الله جل و علا

و اتبعه المؤمنون. و ملكت فى ذلك الزمان «بوران بنت كسرى» ثم ملك بعدها «يزدجرد بن كسرى» أخوها و قوى أمر الكفر فى الأرض و درس اسم الايمان ما استوجبوا العمى و نسيت الصلاة و تحيرت الجماعة و اختلفت الكلمة فعند ذلك استخلص الله تبارك و تعالى الشجرة الطيبة الطاهرة المخزونة و الصفوة الخالصة و النور الزاهر سيّد الأولين و الآخرين محمداً صلى الله عليه و آله الطاهرين.

و روى فى خبر آخر أن الله جل و عز لما أراد أن يقبض يحيى بن زكريا أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته ما بطن منها و ما ظهر «منذر بن شمعون» فأحضره و أوصى إليه.

فقام منذر بن شمعون بأمر الله

و اتبعه المؤمنون الى أن حضرته الوفاة و أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته ابنه «سلمه بن منذر» فأحضره و أوصى إليه و سلم إليه.

وقام سلمة بن منذر عليه السلام بأمر الله جل و عز

و اتبعه المؤمنون الى أن حضرته الوفاة فأوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته ابنه «برزة» فأحضره و أوصى إليه.

ص: ٩٠

وقام برزة بن سلمة عليه السلام بأمر الله جل و عز

و اتبعه المؤمنون الى أن حضرته الوفاة فأوحى الله إليه أن يستودع و يوصى الى «أبى بن برزة» و يستودعه النور و الحكمة ففعل.

وقام أبى بن برزة عليه السلام بأمر الله جل و تقدّس

و تبعه المؤمنون الى أن حضرته الوفاة فأوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته ابنه «دوس» فأحضره و سلم إليه.

و قام دوس بن أبى عليه السّلام بأمر الله جل و علا

و تبعه المؤمنون الى أن حضرته الوفاة و أوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته «أسيد» فأحضره و أوصى إليه.

و قام أسيد بن دوس عليه السّلام بأمر الله جل و عزّ

و تبعه المؤمنون الى أن حضرته الوفاة فأوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته «هوف» فأحضره و أوصى إليه.

و قام هوف عليه السّلام بأمر الله جل و عز

و تبعه المؤمنون فلما حضرته الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع ما فى يديه ابنه «يحيى بن هوف» فأحضره و أوصى إليه و سلّم إليه.

و قام يحيى بن هوف - عليه

و على من تقدّمه السلام من النّبیین و الأوصياء و الأئمة أجمعين - بأمر الله جل جلاله الى أن حضرته الوفاة فأوحى الله إليه أن يستودع نور الله و حكمته و موارث الأنبياء (و أنا) و هو سيّدنا محمد صلّى الله عليه و آله و أسماءه بالعبرانية و السريانية فى التوراة و الإنجيل و الزبور و أسماء وصيّّه معروفة مشهورة لا يجحدها إلّا كافر ضال غوى شقى معاند مفتتن.

انتهى هذا القسم و يتلوه سيرة سيّدنا محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم و نشأته و مهاجرته و فتوحه و مغازيه و محتنته بقومه و عشائره من قريش ليقضى الله أمرا كان مفعولا حسبنا الله و نعم الوكيل.

ص: ٩١

القسم الثانى اتصال الحجج و الاوصياء من سيدنا محمد [ص] حتى ولادة المهدي

ص: ٩٣

مولد سيّدنا محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم

روى الخاصة و العامة ان الله جل و علا لما أراد أن يخلق سيّدنا محمد أمر جبرئيل عليه السّلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الأرض و نورها فهبط جبرئيل عليه السّلام فى ملائكة الفرديس عليه و عليهم السلام فقبض قبضة من موضع قبره و هى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم و زعزت حتى جعلت كالدرّة البيضاء ثم غمست فى جميع أنهار الجنّة و طيف بها فى السموات و الأرض و البحار و عرفت الملائكة محمّدا صلّى الله عليه و آله و فضله قبل أن تعرف آدم عليه السّلام.

و لما خلق الله تعالى آدم عليه السّلام سمع من تخطيط أثناء جبهته نشيشا كنشيش الذرّ فقال سبحانك ربى ما هذا؟.

قال الله عز وجل: هذا تسبيح خاتم النبيين و سيد المرسلين من ولدك و لولاه ما خلقتك و لا خلقت سماء و لا أرضا و لا جنة و لا نارا فخذ بهدى و ميثاقى على ان لا تودعه إلّا فى الأصلاب الطاهرة.

قال آدم عليه السلام: نعم الهى و سيدى قد أخذته بعهدك و ميثاقك على أن لا أودعه إلّا فى المطهرين من الرجال و المحصنات من النساء. و روى أن المحصنات هن الصالحات العفاف.

ص: ٩٤

قال: و كان نور رسول الله صلى الله عليه و آله يرى فى دايرة غرة جبين آدم عليه السلام كالشمس فى دوران فلکها و كالبدر فى ديجور ليله فكان آدم عليه السلام كلما أراد أن يتغشى حوا يتطهر و يتطيب و يأمرها أن تفعل ذلك و يقول يا حوا تطهري فلعل الله أن يستودع هذا النور المستودع ظهري عن قليل طهارة بطنك.

قال: فلم تزل حوا كذلك حتى بشرها الله عز و جل بشيث أبى الأنبياء و رأس المرسلين، و فتح لآدم و حوا نهر من الجنة و بسط الله عليهما الرحمة و اجتمعا فى ذلك اليوم فحملت بشيث عليه السلام.

و كان أبا الأنبياء عليهم السلام فأصبح آدم عليه السلام و ذلك النور مفقود من وجهه و نظر إليه فى جبهة حوا فسر بذلك و كانت حوا تزدد فى كل يوم حسنا و كانت طير الأرض و سباع الآجام إليها يشيرون و الى نورها يشتاقون.

و بقى آدم لا يقربها لطهارتها و طهارة ما فى بطنها و قابلتها الملائكة كل يوم بالتحيات من عند رب العالمين و تؤتى كل يوم بماء التسنيم من الجنة تشربه حتى خلق الله عز و جل لنور محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

فلم تزل كذلك حتى وضعت شيئا فنظرت الى نور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد صار بين عينيه و ضرب الله بينهما و بين الملعون إبليس حجابا من النور فى غلظ خمسمائة عام فلم يزل إبليس محبوسا فى قرار محبسه حتى بلغ شيث سبع سنين و عمود النور بين السماء و الأرض ثم لم يزل ذلك النور فى الأرض ممدودا حتى أدرك شيث.

فلما أيقن آدم عليه السلام بالموت أخذ بيد شيث و قال له يا بنى ان الله أمرنى أن آخذ عليك العهد و الميثاق من أجل هذا النور المستودع وجهك ان لا تضعه إلّا فى أظھر نساء العالمين و اعلم ان ربى جل و عز أخذ علىّ فيه قبلك عهدا غليظا.

ثم قال آدم عليه السلام: ربى و سيدى أنك أمرتنى أن آخذ على شيث من بين ولدى جميعا عهدا من أجل هذا النور الذى فى وجهه فأسألك أن تبعث إلى ملائكة يكونون شهودا عليه.

فما استتم عليه السلام الدعوة حتى نزل جبرئيل عليه السلام فى سبعين ألف ملك معهم حريرة بيضاء

ص: ٩٥

و قلم من أقلام الجنة فسلم عليه و قال له ان الله يقرأ عليك السلام و يقول لك قد آن لحبيبي محمد أن ينتقل إلى الأضلاب و الأرحام الطاهرة و هذه حريرة بيضاء و قلم لك من الجنة تشهد لك بغير كتاب فكتب على ابنك شيث كتابا بالعهد و الامانة بشهادة هؤلاء الملائكة.

و طوى الحريرة طيًا شديدا و ختمها بخاتم جبرئيل عليه السلام و كسا (شيثا) حلتين حمراوين أضوا من نور الشمس و فى رقة لجج الماء و زوجه الله قبل أن تزول الملائكة بحوراء اهبطها له من الجنة تسمى (نزله) فحملت ب (أنوش) فلما حملت به سمعت الأصوات من كل مكان «هنيئا هنيئا لك ابشرى فقد أودعك الله نور محمد المصطفى»، و ضرب لها حجابا من النور عن أعين الناس و مكاييد الشيطان (لعنه الله).

و كان إبليس لا يتوجه فى وجهه من الأرض إلّا نظر الى ذلك الحجاب مضروبا عليه فلم يزل كذلك حتى وضعت (أنوش) فلما وضعته نظرت الحوراء «نزله» الى نور رسول الله صلى الله عليه و آله بين عينيه فلما ترعرع دعاه أبوه شيث فقال له: يا أبتى أمرنى ربى أن أتخذ عليك عهدا و ميثاقا، أ لا تتزوج إلّا بأطهر نساء العالمين.

فحمد الله و قبل وصيته.

و أوصى انوش الى ابنه «قينان» بمثل ذلك من وصية آبائه عليهم السلام.

و أوصى قينان الى ابنه «مهائيل» و أوصى مهائيل ابنه «بردا» فتزوج بردا امرأة يقال لها «برة» فحملت ب «أخنوخ» و هو إدريس، فلما ولد إدريس نظر أبوه الى النور يلوح بين عينيه فقال: يا بنى أوصيك بهذا النور كل الوصاية، فقبل وصيته و تزوج امرأة يقال لها «بزرعا» فولدت له «متوشلخ».

و ولد لمتوشلخ لمك، كان لمك رجلا أشقر قد أعطى قوة و بطشا فتزوج امرأة يقال لها «قنسوس» بنت «تركاسل» فولدت له نوحا و تحول إليه نور رسول الله صلى الله عليه و آله فلما نظر الى النور فى وجهه قال: يا بنى ان هذا النور هو النور الذى تنوارته الأنبياء عليهم السلام و هو نور المصطفى محمد صلى الله عليه و آله ينتقل بالعهد و المواعيق الى يوم خروجه و انى آخذ عليك عهدا و ميثاقا أ لا تتزوج إلّا بأطهر نساء العالمين.

ص: ٩٦

فقبل نوح وصية أبيه فتزوج امرأة يقال لها (عمودة) و كانت من المؤمنات فولدت (ساما) و فيه نور محمد صلى الله عليه و آله فلما نظر نوح الى النور فى وجهه سام سلم إليه تابوت آدم عليه السلام و كان التابوت من الياقوت و يقال أنه من درة بيضاء له بابان مغلقان بسلسلة من ذهب أحمر ابريز و عروتان من الزمرد و فيه العهد و الديباجة و زوجه امرأة من بنات الملوك لم يكن لها فى الحسن شبه فولدت له «ارفخشدا» و سلم إليه التابوت فتزوج امرأة يقال لها «مرجانة» فحملت بغابر، و هو هود النبى صلى الله عليه. فلما وضعته سمعت نداء الأصوات من كل مكان «هذا نور محمد صلى الله عليه و آله تكسر به الأصنام كلها و يقتل به من طغى و كفر».

فخرج أجمل نوره جمالا و أشده زهرا فزوّج امرأة يقال لها (منساحا) فولدت له (فالغا) و ولد لفالغ (شالغ) و ولد لشالغ (ارغو) و ولد لارغو (سروع) و ولد لسروع (ناحور) و ولد لناحور (تارخ) فتزوج امرأة يقال لها (أدنى بنت سمن) فولدت له (الخليل) إبراهيم صلى الله عليه، فلما ولد إبراهيم ضرب له علمان من نور، علم فى شرق الأرض و علم فى غربها فصارت الدنيا كلها نورا واحدا و ضرب له عمود من نور فى وسط الدنيا لا حق بأعنان السماء له اشراق و طنين تهتز الملائكة من حسن طنين ذلك العمود فقالت ربنا ما هذا؟ فنوديت: هذا نور محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

قال و رفع لإبراهيم صلى الله عليه كما رفع لآدم من قبل، فقال: ربى و سيدى ما رأيت لك خلقة أحسن من هذه الخليفة و لا امة من أمم الأنبياء هى أنور من هذه الامة فمن هذا؟ فنودى: هذا محمد حبيبى أجريت ذكره قبل أن أخلق سمائى و أرضى و جعلته نبيا و أبوك آدم مدرة بين الروح و الجسد و لقد لقيته أنت فى الذروة الأولى ثم أجريته فى صلبك الى صلب ابنك اسماعيل.

و كان إبراهيم قد خبر سارة بخبره ان الله عز و جل سيرزقها ولدا طيبا فطمعت فى نور محمد صلى الله عليه و آله و كان إبراهيم صلى الله عليه قد خبرها بعظيم نوره و بهائه فلم تزل متوقعة لذلك حتى حملت هاجر باسماعيل.

فلما حملت هاجر اغتمت سارة من ذلك غمّا شديدا فلم تزل فى أشد الغم و الكرب.

ص: ٩٧

فلما ولدت هاجر أدرك سارة الغيرة فأخذها ما يأخذ النساء فبكت و قالت: يا إبراهيم ما لى من بين الخلق حرمت الولد؟.

قال إبراهيم عليه السلام: ابشرى و قرى عينا فان الله منجز وعده أنه لا يخلف الميعاد.

فلم تزل سارة كذلك حتى رزقها الله اسحاق النبى صلى الله عليه، فلما نشأ و صار رجلا أدركت إبراهيم الوفاة و جمع أولاده و هم يومئذ ستة فلما نظر الى النور فى وجه اسماعيل قال له: بخ بخ هنيئا لك يا اسماعيل قد خصك الله بنور نبيه محمد و أنا آخذ عليك عهدا و ميثاقا.

فأخذ عليه السلام متمسكا بذلك العهد حتى تزوّج (هالة بنت الحارث) فواقعها فولدت (قيدار) و فيه نور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلما نظر اسماعيل الى النور فى وجه قيदार سلم التابوت إليه و أوصاه بدين الله و سنته و أمره أن لا يضع النور إلّا فى أطهر النساء.

و كان قيदार ملك قومه و سيدهم و كان قد أعطى سبع خصال لم يعطها من كان قبله:

القنص، و الرمى، و الفروسية، و الشدة، و البأس، و الصراع، و الجماع، و كان قد تزوّج مائتى امرأة من بنات اسحاق و أقام معهنّ مائتى سنة لا يحبلهن و لا يلدن. فبينما هو ذات يوم و قد جمع قنصه إذ تلقته الوحوش و السباع و الطير من كل مكان فناداته بلسان الآدميين:

يا قيذار قد مضى عمرك و انما همّتك اللهو و لذّة الدّنيا فما آن لك أن تهتم بنور محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم أين تضعه و لما ذا استودعته.

فرجع قيذار الى منزله مغموما مكروبا و حلف بإله إبراهيم أن لا يطعم طعاما و لا يقرب امرأة أبدا حتى يأتيه بيان ما سمع على لسان الوحش و الطير.

فلم يزل قاعدا على فلاة من الأرض إذ بعث الله إليه ملك الهواء فى صورة رجل من أهل الأرض، لم ير قيذار أحسن وجهها منه و زيا و خلقا فهبط عليه السّلام فسلمّ فرد عليه السلام و قعد مع قيذار و قال: يا قيذار أنّك قد زيّنت بالقوّة و البأس و ملكت البلاد و نقل إليك نور محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنّه كايّن لك ولد من غير نسل اسحاق عليه السّلام فلو أنّك نذرت نذورا و قربت لإله إبراهيم قربانا و سألته أن يبيّن لك من أين لك ذلك التزويج لكان خيرا من التواني.

ثم تركه الملك و قد عرج الى مقامه فقام قيذار من مقامه و ساعته و كانت له رحمة

ص: ٩٨

و جمال و بهاء و كمال، و قرب يومئذ سبعمائة كبش أقرن من الكباش التى ورثها من إبراهيم عليه السّلام و كان كلّما ذبح كبشا جاءت نار من السماء حمراء لا دخان لها فى سلاسل بيض فتأخذ ذلك القربان فتصعد به الى السماء.

فلم يزل قيذار يذبح و يقرب حتى نادى مناد: حسبك يا قيذار قد استجاب الله منك دعوتك و قبل قربانك انطلق الآن من فورك هذا الى شجرة الوعد فقم فى أصلها و انتبه الى ما تؤمر به فى المنام فافعله.

فأقبل قيذار حتى أتى الشجرة فقام فى أصلها فأتاه آت فى المنام فقال له: قيذار ان هذا النور الذى فى ظهرك هو النور الذى فتح الله به الأبواب كلّها و خلق الدّنيا طرا من أجله و اعلم ان الله جلّ اسمه لم يكن ليخزنه إلّا فى الفتيات العربيات فابتغ لنفسك امرأة طاهرة من العرب و ليكن اسمها (غاضرة).

فوثب قيذار فرحا فرجع الى منزله و بعث رسلا يطلبون له امرأة من العرب اسمها الغاضرة و لم يرض برسله حتى ركب جواده و أخذ السيف معه شاهرا له و جعل يستقرئ أحياء العرب و ينزل على قوم و يرحل الى آخرين حتى وقع على ملك الحرمين و كان من ولد ذهل بن عامر بن يعرب بن قحطان و له بنت يقال لها الغاضرة و كانت من أجمل نساء العالمين فتزوّجها و حملها الى أرضه فواقعها فحملت بابنه (حمل). و اصبح قيذار و النور مفقود من وجهه و نظر إليه فى وجه الغاضرة فسر بذلك سرورا شديدا.

و كان عنده تابوت آدم عليه السّلام و كان ولد اسحاق ينازعونه فى التابوت ليأخذوه و كانوا يقولون ان النبوة قد انتقلت عنكم فليس لكم إلّا هذا النور الواحد فاعطنا التابوت.

فكان يتمتع قيذار عليهم و يقول أنّه وصيّة أبى اسماعيل و لا أعطيه أحدا من العالمين.

فذهب قيدير ذات يوم ليفتح التابوت فعسر فتحه عليه و ناداه مناد من الهواء: مهلا يا قيدير و ليس لك الى فتح التابوت سبيل.
أنك وصى نبي و لا يفتح هذا التابوت إلّا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب إسرائيل الله.

فلما سمع ذلك أقبل الى أهله و هى الغاضرة فقال لها انظري ان أنت ولدت غلاما فسميّه حملا فأنى أرجو أن يكون نسمة طيبة.

ص: ٩٩

و حمل قيدير التابوت على عاتقه و خرج يريد ارض كنعان و كان يعقوب عليه السلام بها فأقبل يسير حتى قرب من البلاد فصر
التابوت صريرا سمعه يعقوب فقال لبنيه أقسم بالله حقّا لقد جاءكم قيدير فقوموا نحوه.

فقام يعقوب و أولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيدير استعبر باكيا و قال ما لى أرى لونك متغيّرا و قوتك ناقصة؟ أرهقك
عدو أم أتيت معصية؟.

قال: ما أرهقنى عدوّ و لا أتيت معصية و لكن نقل من ظهري نور محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم فلذلك تغيّر لوني و ضعف
ركنى.

فقال: بخ بخ شرفا لك بمحمد صلى الله عليه و آله و سلّم لم يكن الله عز و جل ليخزنه إلّا فى العريبات الطاهرات يا قيدير
فأنى مبشرك ببشارة.

قال: و ما هى؟.

قال: اعلم ان الغاضرة قد ولدت فى هذه الليلة الماضية غلاما.

قال قيدير: ما علمك يا ابن عمى و أنت بأرض الشام و هى بأرض الحرم من تهامة.

قال يعقوب: لأنى رأيت أبواب السماء قد فتحت و رأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء و الأرض و رأيت الملائكة ينزلون من
السماء بالبركات و الرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمّد صلى الله عليه و آله.

قال: فسلم قيدير التابوت الى يعقوب عليه السلام و رجع الى أهله فوجدها قد وضعت حملا فلما ترعرع أخذ بيده و انطلق به
يريد مكّة و المقام و موضع البيت الحرام.

فلما صار الى جبل (ثبير) تلقاه ملك الموت (صلى الله عليه) فى صورة آدمى فقال له:

الى أين يا قيدير؟.

قال: انطلق بابنى هذا فأريه مكّة و المقام و موضع البيت الحرام.

قال: وفَقَّك الله و لكن عندى ضحية فادن الى.

فدنا منه ليساره فقبض روحه من اذنه فخر ميتا بين يدى ابنه حمل.

قال: فغضب حمل من ذلك غضبا شديدا و قال: يا عبد الله فتكت بأبى.

قال له ملك الموت عليه السلام: انظر الى أبيك أميت هو أم حى؟

ص: ١٠٠

قال: فانكبَّ حمل على أبيه ليعرف حاله فوجده ميتا، و عرج ملك الموت الى السماء فرفع حمل رأسه فلم ير ديارا و لا مجيبا فعلم أنه كان ملكا، فقع عند رأسه يبكى فقيض الله له قوما من ولد اسحاق فغسلوه و كفّنوه و حنطوه و دفن فى جبل ثبير.

و بقى حمل وحيدا فكلاه الله عز و جل حتى بلغ ذكره فى العزّ و الشرف فتزوَّج امرأة من قومه يقال لها (حريزة) فحملت بابنه (نبت) عليه السلام و ولد لنبت ولد هو «سلامان» و ولد لسلامان «الهميسع» و ولد للهميسع «اليسع» و ولد لليسع «أدد» و انما سمى أدد لأنه كان ماد الصوت طويل العزّ و الشرف.

و ولد لأدد (أد)، و ولد لأد عدنان و إنما سمى عدنان لأن أعين الأحياء كلّها كانت تنظر إليه و قالوا ان تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرّك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس كلّهم أجمعين، فأرادوا قتله فوكلّ الله تعالى به من يحفظه فلم يقدروا على حيلة فيه فنشأ أحسن أهل زمانه خلقا و خلقا فولد له (معد) و إنما سمى معدا لأنه كان صاحب حروب و غارات على يهود بنى إسرائيل و لم يواقع أحدا إلّا رجع منصورا مظفرا فجمع من المال ما لم يجمعه أحد فى زمانه و ولد له (نزار)، سمى نزارا لأن معدا نظر الى نور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فى وجهه فقرب له قربانا عظيما و قال «لقد استقلت هذا القربان» فمن أجل ذلك سمى نزارا.

فتزوج امرأة من قومه يقال لها (سعيدة) فولدت له (مضر) و إنما سمى مضر لأنه أخذ بالقلوب فلم يره أحد إلّا أحبه و كان صاحب قنص و صيد و كان كلّ رجل منهم يأخذ على ابنه كتاب عهد إلّا أظهر النساء فى زمانه و كانت الكتب باليهود تعلق فى البيت الحرام فلم تزل معلقة من لدن اسماعيل (صلى الله عليه) الى أيام الفيل. و كان أول من بدلها و غيرها و زاد فيها و نقص منها عمر بن اللحي صاحب استخراج الأصنام من الكعبة فلم يزل ذلك حتى تزوّج امرأة من قومه يقال لها (خزيمة) و تدعى أم حكيم فأولدها (الياس) و إنما سمى الياس لأنه جاء على يأس و انقطاع و كان يدعى كريم قومه و سيدهم و يسمع من ظهره أحيانا دوى نور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فلم يزل كذلك حتى تزوّج امرأة يقال لها «فرعة» فولدت له «مدركة» و ولد لمدركة «خزيمة» و إنما سمى خزيمة

ص: ١٠١

لأنه خزم نور آبائه فلم يزل كذلك حتى تزوج «بنت طابخة» فأولدها «كنانة».

فتزوَّج كنانة بامرأة يقال لها «الحافة» فأولدها «النضر» و إنما سَمَّى النضر لأن الله سبحانه و تعالى اختاره و ألبسه نضرة و سَمَّى النضر قريشا فكلَّ من ولده النضر قرشي و هو الذي قال رأيت كأنما خرجت من ظهري شجرة خضراء حتى بلغت عنان السماء و أن أغصانها نور في نور فلما انتهت أتيت الكعبة و أخبرت من فيها بذلك فقالوا ان صدقت رؤياك صرف إليك العز و الكرم و خصصت بالحسب و السؤدد.

فأعطاه الله ذلك و نظر الله تبارك و تعالى نظرة الى الأرض فقال للملائكة: انظروا من أكرم أهل الأرض اليوم عندي و أنا أعلم و أحكم؟.

فقال الملائكة: ربنا و سيّدنا ما نرى أحدا يذكر بالوحدانية مخلصا إلّا نورا واحدا في ظهر رجل من ولد اسماعيل.

قال: فقال الله: اشهدوا اني قد اخترته لنطفة حبيبي محمد صلى الله عليه و آله.

قال: فانبسط له بالعز و الشرف حتى ولد له «مالك» و إنما سَمَّى مالكا لأنّه ملك العرب فأوصى الى ابنه «فهر» و أوصى فهر الى ابنه «غالب» و أوصى غالب الى ابنه «لؤى» و أوصى لؤى الى ابنه «كعب» و أوصى كعب الى «مرة» و أوصى مرة الى «كلاب» و أوصى كلاب الى «قصي» و أوصى قصي الى «عبد مناف» لأنّه أناف علا الناس و علا فضرِب الى الركبان من أطراف الأرض فأول ولد له هاشم، و إنما سَمَّى هاشما لأنّه أول من هشم الثريد لقومه و كان الناس في جذب شديد و محل من الزمان و كانت مائدته منصوبة و كان يحمل ابناء السبيل و يؤمن الخائفين و كانت صفته و حليته على حلية اسماعيل عليه السّلام.

فلما خصّ الله عز و جل هاشما بالنور و اصطفاه على العرب و فضّله على ساير قريش قال للملائكة اشهدوا اني قد طهرت عبدى هذا من دنس الآدميين و أحدثت نطفة محمد في ظهره.

و كان يرى على وجهه كالهلال و الكوكب الذى يتوقّد شعاعه، لا يمر بشيء إلّا سجد له، و لا يمر بأحد من الناس إلّا أقبل نحوه، تفد إليه قبائل العرب و ملوك الروم و وفود

ص: ١٠٢

الدّنيا من الأحياء، و يحملون إليه بناتهم يعرضونهن عليه، و كان يأبى و يقول: لا و الذى فضّلنى على أهل زمانى لا تزوجت إلّا بأطهر نساء العالمين.

قال: فلم يزل كذلك حتى رأى فى المنام أن يتزوَّج بسلمى بنت زيد بن عمرو بن لبيد ابن خراش بن عدنان فتزوجها و كانت كخديجة بنت خويلد فى زمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و كان لها عقل و يسار و حلم فواقعها فولدت له عبد المطلب و كان هاشم خطب خطبته المعروفة بالمنذرة.

روى هارون عن زكريا الهجرى عن أبى جميل البحرانى باسناد له رفعه الى على بن جعفر الصادق عليه السلام قال سمعت أخى موسى - عليه السلام و على آباءه - يقول: رأى اعرابى رؤيا لهاشم بن عبد مناف فقصّها عليه، فقال له هاشم: سل اعطك.

قال: تجيد حلّتى و تسدّ خلّتى و تحمل و جلّتى.

قال: فأمر له بناقّة حمراء دريّة يتبعها من نتاجها خمسة أبطن كلّها منتج فأمر له بمائة نعجة شحمة حلوب و كساه من حلل صنعاء و عدن و قال له: لئن أخرجنى الله الى كون لأجعلنك سيّد العرب.

فلما كان الليل رأى هاشم فى منامه كأنّه رفع إليه لواء فركزه على باب داره و كأنّ شهاب نار خرج من ظهره أضاءت له الدّنيا و لم يبق شيء من الجن و الانس و الطير و الوحوش إلّا صار تحت ذلك اللواء حتى نظحت الشاة الذئب و نبج الكلب الأسد و ورد ذلك الجمع كلّ شربا واحدا و سمع هاتفا يقول: يا أبا نضلة هذا بيت شعر يكتب بسطر منفرد:

على رغم آناف الذين تحزّبوا
سيظهر محمود و ينصر ناصره.

فلما أصبح هاشم أمر مناديا فنادى فى شعاب مكّة: يا معشر أولاد النضر بن كنانة و من سكن بمكّة من قبائل مكّة لا يتخلفن أحد عن ندائى.

فلما اجتمع الناس و أوفت الركبان من كل مكان خرج عليهم و قد نصب له منبره المركز فجلس عليه ساكتا لا يتكلّم فقالت قريش يا أبا نضلة لأمر كان نداؤك فانبه فلقد ضاقت منه الصدور.

ص: ١٠٣

فقال: و الله هيه عن قريب أضيق، اذا حضرت القروم تنفخ شقّا شقا، و خنس كل حادل يحك عجب الذنب فكيف بكم اذا صرتم كدوحة القاع أحاط بها الراعى بغنم المرعى فهى تحصد هشيم أغصانها، فعندها تصبح تلك الأعلام سهلة محبتها، لحافر العير و ظلف المعزى و يتواضع كلّ شموخ عالى الذروة صعب المرتقى فاذا كان ذلك قرع النبع بالنبع و أرثت الزناد بجناتها و ساد ذليل القوم عشيرته، و اتبع المتبوع تابعه، و اضطربت أمواج العرب. و اصطكت جنادل قريش، فثم تنكر قريش أمرها.

فقالت قريش: يا أبا نضلة ان سحابك ليرعد بغرق العشيرة فأبن القول نعلمه، و اشرح الأمر نفهمه.

قال: أنّه لأمر عجيب و كائن عمّا قريب يعزّ تابعه و يذلّ دافعه، فاذا أنار بدره، و شدّ أزره، و قاتل فظفر، و غزا فنصر، فليست مكّة لقريش، و لتلقيه رجالات قريش تمنعها أواصر الألفة من اتباعه، كالابل حول قليب السقى، و الله و الله ليكونن ما أقول و لو أدركته اذا و الله حاميت عنه محاماة الأسد عن عرينه، و ضاربت دونه مضاربة الجمل الهايج عن النوق الضبع، فثم ترزأ

الحاضن بيضها و تتكل المفردة وحيدها و يبكم خطيب العشيرة، و يقدم كسير القطيع، و الله ليكونن و ليظهرن و ان رغمت منه أنف رجال، حين يهتف بى فلا أجيب.

قال: و خرج فمات بغزة. فرآه أبوه يوما فى الحجر مكحولا مدهونا قد كسى حلة من حلل الجنة فبقى متحيرا لا يدري من فعل به ذلك. فأخذ بيده و انطلق به الى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا اعلم يا أبا نضلة ان إله السماء قد أذن لهذا الغلام بالتزويج.

قال: فزوجه (قبلة بنت عمرو بن عائشة) فولدت له الحارث فماتت، فزوجه بعدها هند بنت عمرو، و حضرت هاشم الوفاة فدعا بعدد المطلب و قال له: يا بنى اجمع إلى بنى النضر كلها عبد شمسها و مخزومها و فهرها و لؤيها و غالبها و هاشمها.

فجمعهم عبد المطلب و هو يومئذ غلام ابن خمس و عشرين سنة أطول قريش باعا و أشدهم قوة تفوح منه روايح المسك و يسطع من دائرة جبينه النور.

قال: فلما أبصر هاشم ذلك النور قال: معاشر قريش، أنتم مح أولاد اسماعيل

ص: ١٠٤

و أولادى و قد اختاركم الله جل و عز لنفسه، فجعلكم سكان حرمه و بيته، و أنا ربيكم و سيدكم، فهذا لواء نزار، و قوس اسماعيل، و سقاية الحاج و مفاتيح الكعبة، قد سلمتها الى ابنى عبد المطلب فاسمعوا له و أطيعوا أمره.

قال: فوثبت قريش فقبلت رأس عبد المطلب و نثروا عليه ورقا و عينا و قالوا سمعنا و أطعنا.

فكان لواء نزار و قوس اسماعيل و سقاية الحاج و مفاتيح الكعبة كل ذلك يجرى على يديه و كانت ملوك الأطراف و الأكناف جميعا تكاتبه و تهاديه و تعرف له فضله ما خلا كسرى صاحب المدائن فإنه كان معاندا مكاشفا.

و كانت قريش إذا أصابها محل أو شدة يأخذون بيد عبد المطلب و يخرجونه الى جبل تبير فيتقربون الى الله عز و جل به و يستسقون، فكان الله عز و جل يسقيهم بنور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الغيث.

و لقد روى من نور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عجب يوم قدوم ابرهة بن الصباح الملك الذى قدم لهدم الكعبة و بيت الله الحرام فقال عبد المطلب: يا معشر قريش أنه لا يصل الى هدم هذا البيت لأن له ربا يحفظه.

و جاء ابرهة الملك فنزل بفناء مكة فاستاق ابلا و غنما لقريش و أربعمائة ناقة حمراء لعبد المطلب فقام فركب فى نفر من قومه فلما صار على جبل تبير استدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على جبين عبد المطلب كالهلال و زهر شعاعها على البيت الحرام كالسراج اذا وقع على الجدار ضوء.

فلما نظر عبد المطلب الى ذلك من نفسه قال: معاشر قريش ارجعوا فقد كفيتم فو الله ما استدار هذا النور منى قط إلا كان الظفر.

ثم قصد الملك و قال الملك و قد سأله عبد المطلب فى الابل و الغنم: جئت لأخرب بيته و شرفه و هو يسألنى فى الإبل.

فأخبر الترجمان عبد المطلب بذلك عنه؛ قال: سألت فيما هو لى و لقومى؛ و البيت لمن يحميه و لا يدع أحدا يصل إليه، و متى تهيأ له الوصول الى البيت و اخراجه فليقتلنى فيه.

ص: ١٠٥

فاشتد ذلك على (ابرهة) و قيل ان ابرهة عند ما حاصر مكة بعث إليها رجلا من قومه يقال له حنظلة الحميرى و كان شديد البأس فأقبل يسير حتى دخل مكة فسأل عن خير الناس ف قيل له عبد المطلب فلما ادخل عليه حنظلة حضر و تلجلج لسانه و خر مغشيا عليه يخور كما يخور الثور اذا جز.

فلما أفاق خر ساجدا له فقال: اشهد أنك سيد قريش حقا.

قال: و كان لا يدخل مكة أحد و ينظر الى وجه عبد المطلب إلا خر له ساجدا إكراما من الله جل و عز لنبيه محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم أذى رسالة ابرهة الملك الى عبد المطلب فركب فى نفر من قومه فلما توسط العسكر سبقه حنظلة و جعل يسعى سعيا حثيثا حتى دخل على الملك فقال له قد جاءك سيد قريش حقا.

قال: و كيف علمت.

قال: لأننى لم أر فى الآدميين أجمل منه وجهها، كان صفاء لونه اللؤلؤ المكنون. و اعلم أنه لم يمر بشيء إلا خر له ساجدا.

فأخذ ابرهة أحسن زينته و أذن له بالدخول فلما دخل عبد المطلب على ابرهة و هو على سرير ملكه فى قبة ديباج سلم عليه فرد ابرهة عليه السلام و قام قائما فأخذ بكلتا يديه فأقعدته معه.

فأقبل الملك ابرهة ينظر الى وجهه ثم قال له هل كان فى آبائك أحد له مثل هذا النور؟

قال: نعم كل آبائى كان لهم هذا النور.

قال ابرهة: فأنتم قوم قد فاخرتم الملوك شرفا و فخرا.

ثم التفت الى سايس الفيل الأبيض و كان عظيما أبيض له نابان مرصعان بالدرّ و الجواهر كان يباهى به جميع ملوك الأرض و كان من بين الفيلة لا يسجد لابرهة فقال له: اخرج.

فأخرجه و قد زَيْن فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برک كما يبرک البعير و خرّ ساجدا

ص: ١٠٦

و نادى بلسان عربىّ مبين: السلام على النور الذى فى ظهرک يا عبد المطلب سيّد قريش حزت العز و السناء و الشرف.

فلما سمع ابرهة مقال الفيل وقع عليه الإفک و هى الرعدة فظن ان ذلك سحره فبعث من ساعته فجمع له كلّ ساحر فى المملكة و قال لهم حدّثونى عن شأن هذا الفيل أنّه لا يسجد لى و قد سجد لعبد المطلب.

قالت له السحرة أيّها الملك ان هذا الفيل لم يسجد لعبد المطلب و إنّما سجد لنور يخرج من ظهره فى آخر الزمان يقال له محمّد يملك الأرض شرقا و غربا و برّا و بحرا و سهلا و جبلا و تذللّ له الملوك و يدين بدين صاحب هذا البيت إبراهيم، و ملكه أعظم من ملك أهل الدنيا فتأذن لنا أيّها الملك أن نقبل يديه و رجله، فأذن لهم ابرهة فى ذلك.

فقامت السحرة فقبلت يدى عبد المطلب و رجله و قام الملك متواضعا فقبل رأسه و أمر له بأجزل الجوائز و العطايا و رد عليه و على عشائره من قريش ما أخذ منهم.

و عاد عبد المطلب الى مكّة فتزوج هالة بنت الحارث فولدت أبا لهب و اسمه عبد العزى فخرج كافرا شيطانا و ماتت هالة فتزوج بعدها عدّة من النساء و ولد له عدّة أولاد.

ثم نام يوما فى الحجر قال فرأيت كأنّه قد خرج من ظهري سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف طرف منها بلغ مشارق الأرض و طرف بلغ مغاربها و طرف لحق أعنان السماء و طرف جاوز الثرى فبينما أنا أنظر إليها إذ صارت فى أسرع من طرف العين شجرة خضراء لم ير الرءون أنضر منها و لا أحسن فبينما أنا كذلك فإذا أنا بشخصين بهيين قد وقفا علىّ فقلت لأحدهما من أنت؟ فقال أ ما تعرفنى؟ قلت لا. قال: أنا أبوك نوح رسول ربّ العالمين.

و قلت للثانى من أنت؟ فقال: أنا أبوك إبراهيم خليل ربّ العالمين.

ثم انتهت.

فقيل له ان صدقت رؤياک ليخرجن من ظهرک من يؤمن به أهل السموات و الأرض و ليكونن فى الناس علما مبينا.

ص: ١٠٧

فرجع عبد المطلب و بقي زمانا لا يدري بمن يتزوج حتى رأى فى منامه بأن يتزوج بفاطمة بنت عمرو بن عامر المخزومى فتزوجها و أمهرها مائة ناقة حمراء و حملت منه فولدت أبا طالب ثم حملت فولد الزبير.

و أقام على ذلك زمانا لا يزول النور عن وجهه. فلما كان يوم من الأيام رجع من قنصه فى الظهرية و هو عطشان يلهث فرأى فى الحجر ماء معينا و شرب من ذلك الماء فوجد برده على قلبه ثم دخل تلك الساعة على فاطمة فواقعها فحملت بعبد الله بن عبد المطلب و هو أصغر ولده و أخو أبى طالب لأبيه و أمه فلما ولدته سر أبوه به سرورا شديدا فلم يبق أحد من احياء العرب و لا الشام إلا علم بمولده و ذلك أنه كانت عنده جبة صوف بيضاء مغموسة فى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام و كانوا يجدون فى الكتب (ان اذا رأيتم الجبة البيضاء و الدم يقطر فيها فاعلموا ان عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام قد ولد) فما زالوا يترقبون الجبة على مر السنين حتى اذا صار عبد الله غلاما مترعرا قدمت عليه الاحياء ليقتلوه فصرف الله كيدهم عنه فرجعوا خائبين لم يقدرُوا فى أمره على حيلة.

و كان تجارة قريش يومئذ بأرض الشام فكان لا يقدم على احبار يهود الشام أحد من أهل الحرم و تهامة إلا سألوه عن عبد الله بن عبد المطلب فيقول بنح بنح تركناه يزاد فى قريش تاللاً و حسنا و جمالا و كمالا فيقول الأخبار: معاشر قريش ان ذلك النور ليس لعبد الله بن عبد المطلب ... ذلك النور لمحمد نبي يخرج من ظهره فى آخر الزمان يغير عبادة الأصنام و يزيل عبادة اللات و العزى و يبطلها.

فكانت قريش إذا سمعت بذلك يغشى عليها فإذا رجعت عادت فى كفرها ثم تقول:

القول كما يقولون و ربّ الكعبة.

و عبد الله يومئذ أجمل أهل زمانه كلهم قد شغف به نساؤهم حتى لقي فى زمانه ما لقي يوسف الصديق عليه السلام من امرأة العزيز فى زمانه فقالت السحرة أنا إذا لم نغلب هذا الفتى على هذا النور الذى بين عينيه نخوفنا أن يسلب علمنا عن قليل و كهانتنا.

فكانت الكهنة تعرض أنفسها عليه مع المال الكثير فيأباهم و يقول: لا سبيل لى إلى كلامكم و كان يخبر أباه عبد المطلب بالعجائب. فقال له يوما: يا أبه انى خرجت من

ص: ١٠٨

مولد سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم

بطحاء مكة فخرج من ظهري نوران أحدهما يأخذ المشرق و الآخر المغرب و ان النورين استدارا فى ظهري كأسرع من طرف العين.

فقال له: ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك خير العالمين.

و بقى عبد الله على ذلك زمانا و دهرا ليس لنساء قريش تشوّق و لا همّة غيره.

و قدم عليه بعد ذلك سبعون حبرا من يهود الشام فتحالفوا أن لا يخرجوا أو يقتلوا عبد الله فجاءوا معهم بسبعين سيفا مسقاة سمّا فجعلوا يسيرون الليل و يكمنون النهار حتى نزلوا بفناء مكّة و أقاموا. فلما كان فى بعض الأيام خرج عبد الله الى الصيد وحيدا فأصاب الأحبار منه خلوة فأحدقوا به ليقتلوه فلما نظر الى ذلك وهب بن عبد مناف الزهرى و هو أبو آمنة أم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أدركته الحمية فقال: سبعون رجلا يحدقون برجل واحد من أهل مكّة لا ناصر له و لا معين أشهد لأنصرنه عليهم.

قال: فحمل من مكانه لنصرة عبد الله على اليهود فحانت منه التفاتة فنظر الى رجال لا يشبهون رجال الدّنيا ينزلون على الأرض من السماء فحملوا على اليهود فقطعوه إربا إربا.

فلما نظر وهب الى ذلك رجع إلى أهله مبادرا فخيرها بالخبر و قال انطلقى الى عبد المطلب فاعرضى عليه ابنتك لابنه عبد الله لعلّه يتزوّجها قبل أن يسبقنا إليه قوم آخرون فتكون الحسرة الكبرى و المصيبة العظمى.

فجاءت (برة) الى عبد المطلب فعرضت ابنتها عليه و هى (آمنة) فقال عبد المطلب: لقد عرضت امرأة لا يصلح لا بنى من النساء غيرها. فزوّجها إياه على مائة ناقة حمراء فلما ابنتى عبد الله (بآمنة) مرض نساء قريش و تلف خلق منهنّ و من غيرهن أسفا إذ لم يتزواجهن عبد الله.

و أعطى الله عز و جل آمنة بنت وهب من النور و الجمال و البهاء و الكمال ما كانت تدعى سيدة قومها.

و بقى عبد الله على ذلك سنين و نور محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم بين عينيه لا يخرج الى بطن زوجته حتى أذن الله عز و جل لذلك النور أن ينزل من ظهر عبد الله الى بطن آمنة فى ذى الحجة

ص: ١٠٩

عشيّة عرفة و ليلة جمعة و أمر الله تبارك و تعالى رضوان خازن الجنّة عليه السّلام أن يفتح أبواب الجنّة و تفتح أبواب السماء و الفراديس كلّها و بشرّت الأرض بأن النور المكنون منه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الليلة يستقر فى بطن آمنة أمّه.

و أصبحت يومئذ أصنام قريش و أصنام الدّنيا كلّها منكوسة مصفدة فيها شياطينها و أصبح عرش إبليس اللعين منكوسا أربعين يوما و أفلت محترقا هاربا حتى أتى جبل أبى قبيس فصاح صيحة اجتمع إليه كلّ شيطان يريد فقالوا لسيدهم ما ذا الحال؟.

فقال: ويلكم هلكتم بهذه المرّة هلاكا لم تهلكوا مثله قط.

قالوا: ما القصة؟.

قال: هذا محمد مبعوث بالسيف القاطع الذى لا حياة بعده. أمته امة هى التى ألعننى ربى من أجلها و جعلنى شيطانا رجيمًا،
يظهرون الوحداية و لا يشركون برّبهم شيئًا، و سيأتى من هذا النبى و من أمته ما يسخن عينى و قلبى فإلى أين المفر و الملجأ؟

فقلت له عفاريته: طب نفسا و قرّ عينا فان الله جل و عز خلق ذرية آدم على سبعة أطباق و لكل طبق منهم جزء مقسوم و قد
مضت ستة أطباق و كانوا أشدّ من هؤلاء و أكثر جمعا و أولادا و قد استوثقنا منهم و لا بد من أن نستوثق من فى الطبق السابع.

قال إبليس: فكيف تقدرون عليهم و فيهم الخصال الجميلة: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر؟.

قالت العفاريت: نأتى العالم من جهة علمه و الجاهل من جهة جهله و صاحب الدّنيا من جهة الدّنيا و نأتى الزاهد من جهة زهده
و صاحب الزنا من زنائه.

قال إبليس: أنهم يعتصمون بالله وحده.

قالت العفاريت: فان اعتصموا بالله ثبتنا فئة الأهواء الضالة المضلّة.

فضحك إبليس و قال: أقرتم عيني.

و كانت قريش فى جذب جديد من الزمان و محل و قحط فسمّيت السنة التى فيها حمل رسول الله صلّى الله عليه و آله سنة
الفتح و الاستبهاج و ذلك ان الأرض فى تلك السنة اخضرت و حملت الأشجار و وافهم الوفود من كل مكان فخصبت مكّة و
أكنافها خصبا

ص: ١١٠

عظيما.

و كان عبد المطلب إذ ذاك يستسقى به قبل أن ينتقل منه النور الى ابنه عبد الله.

ما روى من يعقوب بن جعفر بن سليمان الهاشمى عن جدّه قال حدّثنى أبى عن عبد الله عن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس
قال: قحطت بلاد قيس و أجذبت جدبا شديدا فلم يصبهم سماء يعقد الثرى و لا ينبت الكلّ فذهب اللحم و ذاب الشحم و
تهافتوا ضرا و هزلا فاجتمعت قيس للمشورة و اجالة الرأى و عزموا على الرحلة و انتجاع البلدان فقالت فرقة منهم: معشر قيس
عيلان أنكم أصبحتم فى أمر ليس بالهزل هذا أمر عظيم خطره، بعيد منظره و قد بلغنا ان عبد المطلب سيّد البطحاء استسقى
فسقى و دعا فأجيب و شفّع فشفع فأجعلوا قصدكم إليه و اتكالكم عليه و استشفّعوا به كما استشفّع به غيركم.

فقالوا: أصبت الرأى.

فأتوا عبد المطلب و قالوا: افلح الوجه أبا الحارث، نحن ذوو أرحامكم الواشجات أصابتنا سنون مجذبات أهزلن السمين و أفقرن المعين و قد بلغنا خبرك و بان لنا أترك فاشفع لنا إلى مشفعك.

فقال لهم: موعدكم جبل عرفات.

ثم خرج فى بنيه و بنى بنيه حتى أتى جبل عرفات فرفع عبد المطلب يديه ثم قال، اللهم ربّ الريح العاصف و البرق الخاطف، و الرعد القاصف، منشئ السحاب، و مالك الرقاب و خالق الخلق، و منزل الرزق و الحق، هذه مضر، خير البشر، تشكو شدة الحال، و كثرة الامحال، قد احدودبت ظهورها، و شعنت شعورها، و هزل سمينها و نصب معينها، و غارت عيونها، و قد خلفوا نشأ ظلعا، و بهائم رتعا، و أطفالا رضعًا، اللهم فاتح لهم ريحا خراة، و سحابة درارة، تضحك أرضهم و تذهب ضرهم.

قال: فما برحوا حتى نشأت سحابة دكناء فيها دوى شديد.

فقال عبد المطلب: ايه. هذا أوان خريرك فسحى.

ثم قال: ارجعوا معاشر قريش فقد سقيت أرضكم.

ص: ١١١

فرجعوا و قد فعل الله بهم ذلك، فأنشأ أبو طالب يقول شعرا:

أبونا شفيع الناس حين سقوا به	من الغيث رجاس العشير بكور
و نحن سنين المحل قام شفيعنا	بمكة يدعو و المياها تغور
فلم تبرح الأقدام حتى رأوا بها	سحابات مزن صوبهن درور
و قيس أتننا بعد أزم و شدة	و قد عضها دهر أكب عثور
فما برحوا حتى سقى الله أرضهم	بشيبة غينا فالنبات نضير

و كان صاحب أحكام قريش يخرج فى كل يوم فيطوف بالببيت و كان ينظر الى جمال شخص رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ممثلا بين عينيه كأنه قطعة نور فكان يقول: معاشر قريش انى إذا خرجت أطوف أنظر الى جمال شخص بين عيني كأنه النور.

فتقول قريش: و لكننا نحن لا نرى مثل ما يرى عبد المطلب.

قال ابن عباس: فكان من دلائل حمل محمد صلى الله عليه وآله ان كل دابة كانت لقرشى نطقت فى تلك الليلة بأن قالت: حملت بمحمد رب الكعبة وهو أمان الدنيا وصلاح أهلها.

و لم تبق كاهنة فى قريش إلّا حجب عنها صاحبها و انتزع علم الكهانة منها و مرت وحش المشرق الى وحش المغرب بالبشارات و كذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضا بحمله صلى الله عليه وآله.

و روى عن العالم عليه السلام أنه قال: لما أراد الله عز و جل أن يظهر سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله و سلم أنزل قطرة من تحت العرش فألقاها على ثمرة من ثمار الأرض فأكلها أبوه فلما واقع آمنة و صارت فى الموضع الذى خلقه الله جل و علا فيه و مضى لها أربعون يوما سمع الصوت فى بطن أمه فلما مضى له أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن «و تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فلما ظهر بأمر الله جل و عز رفع له فى كل بلدة عمود من نور ينظر به الى أعمال العباد.

و روى عن آمنة بنت وهب أنها قالت لما قربت ولادته صلى الله عليه وآله و سلم: رأيت جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى و كان قد دخلنى رعب فذهب الرعب عنى و أتيت بمشربة بيضاء كأنها لبن و كنت عطشى فناولنيها تناول فشربتها فأضاء منى نور عال ثم رأيت

ص: ١١٢

نسوة كأطول النخل يحدثننى فعجبت و جعلت أقول فى نفسى: من أين علم هؤلاء بموضعى. ثم اشتد بى الأمر و أنا أسمع الوجبة فى كل وقت حتى رأيت كالدجاج الأبيض قد ملأ ما بين السماء و الأرض و قائل يقول «خذوه من أعين الناس» ثم رأيت رجلا وقفا فى الهواء بأيديهم أباريق ثم كشف الله لى عن بصرى ساعتى تلك فرأيت مشارق الأرض و مغاربها و رأيت ثلاثة أعلام منصوبة علما فى المشرق و علما فى المغرب و علما على ظهر الكعبة ثم خرج صلى الله عليه وآله، فخر ساجدا لله جل ذكره و رفع أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل و رأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتى غشيتها و سمعت مناديا ينادى: طوفوا بمحمد صلى الله عليه وآله و سلم شرق الأرض و غربها و البحار ليعرفوه بصورته و اسمه و نعته.

ثم تجلّت عنه الغمامة و إذا أنا به فى ثوب أبيض أشدّ بياضا من اللبن و تحته حريرة خضراء و قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب و قائل يقول: قبض محمد صلى الله عليه وآله على مفاتيح الجنة و مفاتيح النصر و مفاتيح النبوة و مفاتيح الريح.

ثم أقبلت سحابة اخرى أنور من الاولى و سمعت مناديا ينادى: طوفوا بمحمد صلى الله عليه وآله و سلم المشرق و المغرب و اعرضوه على روحانى الانس و الجن و الطير و السباع و اعطوه صفاء آدم و رقة نوح و حلة إبراهيم و لسان اسماعيل و جمال يوسف و بشرى يعقوب و صوت داود و صبر أيوب و زهد يحيى و كرم عيسى.

ثم انكشف عنه فإذا أنا به و بيده حريرة خضراء قد طويت طيا شديدا و قد قبض عليها و قايل يقول: قد قبض محمد صلى الله عليه وآله و سلم على الدنيا كلها لم يبق شىء إلّا دخل فى قبضته.

ثم أتاني ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجوههم في يد أحدهم ابريق فضة رايحته كالمسك و في يد الثاني طشت من زمرد خضراء لها اربعة جوانب في كل جانب لؤلؤة بيضاء يقول: هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله.

فقبض على وسطها فقال قائل: قبض على الكعبة.

و رأيت في يد الثالث حرية بيضاء مطوية نشرها و أخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين فيه ثم حمل ابني فغسل بذلك الماء من الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه

ص: ١١٣

بالخاتم و لف في الحرية و ادخل بين أجنحتهم ساعة.

و روى عن العالم عليه السلام: ان الفاعل به ما فعل من الغسل (رضوان) عليه السلام ثم انصرف و جعل يلتفت إليه و يقول: ابشر يا عز الدنيا و شرف الآخرة.

و ولد صلى الله عليه و آله و سلم طاهرا مطهرا (و روى) ان الوصى الذى كان هو صاحب الزمان فى ذلك الوقت هو أبى فلما ولد صلى الله عليه و آله خبر ثقاته بأمره ثم صار بابا له عليه السلام و كان ذلك الوصى حجة له فى الظاهر و بابا فى الباطن لأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم تكن له حجة عليه قط و لا كان إلّا حجة فكان صلى الله عليه و آله و سلم منذ وقت ولادته الى ان نطق بالرسالة حجة على الوصى و على ثقات الوصى و ذلك الوصى حجة على الخلق فى الظاهر و باب السيد عليه السلام محبوب به فى الباطن.

و روى عن عبد المطلب أنه قال: كنت فى ليلة ولادة ابنى محمد صلى الله عليه و آله و سلم فى الكعبة أوم من البيت شيئا فلما انتصف الليل إذا أنا ببيت الله الحرام قد استمال بجوانبه الأربعة و خرّ ساجدا فى مقام إبراهيم عليه السلام ثم استوى كما كان. فسمعت منه تكبيرا عظيما الله أكبر الله أكبر ربّ محمد المصطفى الآن طهرنى الله ربّى من أنجاس المشركين و رجسات الجاهلية. ثم انتقض الأصنام كما تنتقض البيوت فكأنى أنظر الى الصنم الأعظم (هبل) و قد انكسف فلما رأيت البيت و فعلها لم أدر ما أقول و جعلت أحسر عن عيني و أقول أنى لنا ثم أقول كلا انى ليظنان ثم انطلقت الى بطحاء مكة و خرجت فإذا أنا بالصفاء تتناول و المروة ترتج و اذا أنا أنادى من كل جانب: يا سيد قريش ما لك كالخائف الوجل؟

أ مطلوب أنت؟.

و لا أخبر جوابا إنّما هممتى آمنة حتى أنظر الى ابنها محمد صلى الله عليه و آله و سلم و إذا أنا بطير الأرض حاشرة إليها و إذا أنا بجبال مكة مشرفة عليها و إذا أنا بسحابة بيضاء بازاء حجرتها فلما رأيت ذلك دنوت من الباب فاطلعت فإذا أنا بآمنة قد غلقت الباب على نفسها ليس بها أثر النفاس و الولادة فدققت الباب فأجابت بصوت خفى. فقلت: عجلى و افتحى الباب.

فأول شيء وقعت عيني عليه وجهها فلم أر موضع نور محمد صلى الله عليه و آله و سلم فقلت: أنا نائم يا آمنة أم يقظان؟.

قالت: بل يقظان. ما لك كالخائف الوجل؟ أ مطلوب أنت؟.

قلت: لا و لكنى منذ ليلتى فى كلّ دعر و خوف. و ما لى لا أرى النور الذى كنت أراه بين عينيك ساطعا؟.

قالت: قد وضعته.

قلت: و كيف و ليس بك أثر نفاس؟ و ما أنكر من أمرك شيئا.

قالت: بلى قد وضعته أتمّ الوضع و أطيبه و أسهله و هذه الطير التى تراها بإزائى تنازعنى أن أدفعه إليها فتحمله إلى أعشاشها، و هذه السحاب تسألنى مثل ذلك.

قال عبد المطلب: فهاتيه حتى أنظر إليه.

قالت آمنة: حيل بينك و بينه أن تراه لأنّه أتانى آت كأنّه قضيب فضة أو كالنخلة الباسقة فقال لى: انظرى يا آمنة لا تخرجيه الى خلق من ولد آدم حتى يأتى عليه منذ ولدته ثلاثة أيام.

فغضب عبد المطلب من قولها و قال: تخرجينه إلىّ أو لأقتلنّ نفسى.

فلما رأت الجدّ منه قالت: شأنك و إياه، هو فى ذلك البيت مدرج فى ثوب صوف أشدّ بياضا من اللبن تحته حريرة خضراء ..

قال عبد المطلب: فقصدت لألج الباب، فبدر الى من داخله رجل فقال لى: مكانك و ارجع فلا سبيل لأحد من ولد آدم إلى رؤيته ثلاثة أيام أو تنقضى زيارة الملائكة له.

قال: فارتعدت جوارحى و خرجت مبادرا لأخبر قريشا بذلك، فأخذ الله عز و جل بلسانى فلم أنطق بخبره سبعة أيام بلياليها.

و روى ان السيد محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم ولد مع طلوع الفجر من يوم الاثنين مطهّرا- و روى يوم الجمعة- لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى عام الفيل و هو عام الفتح- و هو أصحّ- فعظمت قريش فى العرب و سمّوا آل الله جلّ جلاله.

و دفعه عبد المطلب الى حليلة بنت أبى ذؤيب، و كان من حديثها فى ارضاعه ما رواه الناس و شرح فى كتاب الدلائل لنبوته صلّى الله عليه و آله و سلّم و دلايله فى نحو مائتى ورقة بروايات المشايخ الثقات.

و مات أبوه و أمه و هو صَلَّى الله عليه و آله صغير السن و كفله جدّه عبد المطلب مدّة قليلة ثم عمّه أبو طالب الى أن بعث و أمره الله تعالى بإظهار أمره و تبليغ رسالته.

فروى عن العالم عليه السّلام أنّه قال: ان الله جلّ و علا أيتم نبيّه صَلَّى الله عليه و آله لثلاث تكون عليه رئاسة لأحد من الناس.

ثم نشأ فكان من خبره مع عمّه أبي طالب ما قصّ به من حديثه و خدمة زوجته فاطمة بنت أسد له، و كان من قصّة اليهود و طلبهم إيّاه و من خبر خروج السيّد صَلَّى الله عليه و آله و سلّم مع عمّه أبي طالب و اجتيازه ببجيرا الراهب في طريق الشام و نزوله من صومعته لما رأى الغمامة قد أظلت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و ما ظهر من الدلالة في تلك الحال حتى أطعمهم الطعام و ما كان من خبر تزويجه بخديجة عليهما السّلام و هو ابن نيف و عشرين سنة و ما خطب به أبو طالب حيث زوجّه بها، الى غير ذلك ممّا ظهر من كلام الشجر و المدر و الحصى له و دعوتهم إيّاه بالرسالة في حال صغر سنّه صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و صلّاته و صيامه و حجّه على خلاف ما كانت قريش تعمله و انكارهم ذلك ما أتت به الأخبار و رواه الرواة من كافّة الناس.

الوحي

فلما أراد الله جلّ تعالى جلاله أن يتمّ نوره و يظهر برهانه و أتت له أربعون سنة - و قبل ذلك كان نبياً مستخفياً - أمر الله عز و جل جبرئيل عليه السّلام أن يهبط إليه صَلَّى الله عليه و آله و سلّم بإظهار الرسالة فقال له ميكائيل عليهما السّلام: أين تريد؟

فقال له: لقد بعث الله جلّ و علا نبيّ الرحمة فأمرني أن أهبط إليه بإظهار الرسالة.

فقال له ميكائيل: فأجىء معك؟

قال له: نعم.

فنزلا فوجدا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم نائماً بالأبطح، بين أمير المؤمنين على و بين جعفر ابني أبي طالب عليهما السّلام فجلس جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجله و لم ينبهاه إعظاما له و هيبة فقال ميكائيل له: إلى أيّهم بعثت؟

فقال: إلى الأوسط.

ص: ١١٦

فأراد أن ينبهه فمنعه جبرئيل عليه السّلام فانتبه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: تنبّه ابن عمّك؟

فنبهه فأدّى جبرئيل الرسالة إليه عن الله جلّ جلاله.

فلما نهض جبرئيل ليقوم، أخذ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم بثوبه و قال: ما اسمك؟

قال: جبرئيل.

فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلحق بغنمه، فلم يمر بشجرة ولا مدرة إلا سلمت عليه وهناكته بالرسالة.

وكان جبرئيل عليه السلام يأتيه فلا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه، فأتاه يوما وهو بأعلى مكة بناحية الوادي فغمز بعقبه فانفجرت عين فتوضأ جبرئيل عليه السلام وتطهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة ثم صلى وهي أول صلاة صلاها في الأرض فرضها الله جل وعز.

وصلى أمير المؤمنين عليه السلام تلك الصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه الى خديجة عليها السلام فأخبرها فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم، فكان أول من صلى من الرجال أمير المؤمنين عليه السلام ومن النساء خديجة.

وأعطى الله جل ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع ما أعطى الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين وعلمه جميع الكتب المنزلة والصحف على الأنبياء وأنزل عليه الكتاب والحكمة وآتاه ما لم يؤت أحدا من العالمين.

وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أعطيت ما أعطى النبيون والمرسلون جميعا وأعطيت خمسة عشر لم يعطها أحد: نصرت بالرعب، وجعل لي ظهر الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت جوامع الكلم، وفضلت بالغنيمة، وأعطيت الشفاعة في أمتي.

وأعطاه الله عز وجل كلما أعطى الأنبياء من المعجزات والآيات والعلامات وفضل بما لم يؤته أحدا منهم.

ص: ١١٧

حديث الدار

ثم أنزل الله جل وتعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» فجمع صلى الله عليه وآله بني هاشم وهم في ذلك الوقت أربعون رجلا من المشايخ الرؤساء، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام فاطبخ لهم رجل شاة وخبز لهم صاعا من طعام ثم ادخل إليهم منهم عشرة، فأكلوا حتى تصدروا ثم جعل يدخل إليهم عشرة بعد عشرة حتى أكلوا وشربوا جميعا وشبعوا، وإن فيهم من يأكل الجذعة ويشرب الزق.

وروى أنه أمر بشاة فذبحت لهم فأكلوا منها ثم أمر بجمع أهابها وعظامها ثم أحياها ثم أنذرهم ودعاهم الى نبوته وقال لهم: قد بعثني ربي جل وعز الى الإنس والجن والأبيض والأسود والأحمر.

وروى أنه قال لهم: إن الله جل وتعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الله حظا إلا أن تقولوا «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله».

فقال أبو لهب له: أ لهذا دعوتنا؟

ثم تفرّقوا عنه فأنزل الله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ» ...

السورة.

و روى أنه دعاهم ثانية فأطعمهم و سقاهم جميعا لبنا من عس واحد حتى تصدروا ثم قال لهم: يا بنى عبد المطلب أطيعوني تكونوا ملوك الأرض و حكامها. ان الله عز و جل لم يبعث نبيا قط إلّا جعل له وصيًا و أخا و وزيراً فأياكم يكون أخى و وصى و مؤازرى و قاضى دينى؟.

فأبوا قبول ذلك و قالوا: و من يطيق ما تطيقه أنت؟.

فقام إليه أمير المؤمنين عليه السّلام و هو أصغرهم سنّاً فقال له: أنا يا رسول الله صلّى الله عليه و آله.

فقال له: أنت لعمري تقبل ما قلت و تجيب دعوتى.

ص: ١١٨

و لذلك كان وصيّيه و أخاه و وارثه دونهم.

و فى رواية اخرى: أنه صلّى الله عليه و آله جمع عشيرته من بنى هاشم و هم خمسة و أربعون رجلاً فيهم عمّه أبو لهب فظنوا أنه يريد أن ينزع عمّا دعا إليه.

فقال له من بينهم أبو لهب: يا محمّد هؤلاء عمومتك و بنو عمومتك قد اجتمعوا فتكلّم بما تريد و اعلم أنه لا طاقة لقومك بالعرب.

فقام صلّى الله عليه و آله فيهم خطيباً فحمد الله و أثنى عليه كثيراً و ذكرهم بأيام الله جلّ ذكره و القرون الخالية من الأنبياء - صلّى الله عليهم - و الجبابرة و الفراعنة و وصف لهم الجنّة و النار ثم قال:

«ان الرايد لا يكذب أهله. و الله الذى لا إله إلّا هو، انى رسول الله إليكم حقّاً و إلى الناس كافة. و الله لثموتن كما تنامون و لتبعثن كما تستيقظون و لتحاسبن كما تعلمون و لتجزون سرمداً و انكم أول من أنذره».

و روى أنّهم اجتمعوا إليه صلّى الله عليه و آله فقالوا له: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله و الملائكة قبلاً أو يكون لك بيت من زخرف - يعنون من ذهب - أو ترقى فى السماء و لن نؤمن لرقيق، و الله لو فعلت ذلك ما كنّا ندرى أصدقت أم لا.

ثم آمن من بعد أمير المؤمنين عليه السّلام قوم من عشيرته، أولهم: جعفر بن أبى طالب و حمزة بن عبد المطلب.

تأمر قريش، و معجزاته [ص]

و اجتمعت قريش في دار أبي سفيان صخر بن حرب (و سميت دار الندوة للتدبير و المشاورة) و كتبوا بينهم صحيفة بخط معاوية و هو حدث أخذوا فيها الايمان الفاجرة الكافرة و حلفوا جميعا باللات و العزى ان لا يكلموا بنى هاشم و لا يبائعوهم أو يسلموا إليهم محمدا صلى الله عليه و آله فيقتلوه.

ثم أخرجوهم من بيوتهم حتى نزلوا شعب أبي طالب و وضعوا عليهم الحرس فمكثوا كذلك ثلاث سنين.

ثم بعث الله الارضة على الصحيفة فكان من حديثهم ما رواه الناس و كان من آيات رسول الله صلى الله عليه و آله ما بهر العقول من أمر الحصاة، و شق القمر، و دعاء الشجر، و كلام الوحش و البهائم و الطير، و اخبارهم بما يأكلون و ما يدخرون في بيوتهم، و نبع الماء من بين اصابعه، الى غير ذلك من آياته و معجزاته صلى الله عليه و آله مما قد روى.

المعراج

و أنزل الله القرآن في ليلة من ليالى شهر رمضان دفعة واحدة ثم أوحى الله إليه: و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه.

و أتاه جبرئيل عليه السلام ليلا - و هو بالأبطح - بالبراق، و هو أصغر من البغل و أكبر من الحمار فركبه صلى الله عليه و آله و أمسك جبرئيل عليه السلام بركابه و مضى يزفّه زفا الى بيت المقدس ثم الى السماء فتلقته الملائكة فسلمت عليه و تطايرت بين يديه حتى انتهى الى السماء السابعة، فروى ان الأنبياء بعثوا إليه و دفعوا له ذلك الموضع حتى صلى بهم و أمهم ثم أوحى الله إليه: ان كنت في شك مما أوحينا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك - يعنى الأنبياء.

فالتفت إليهم فقال: بما ذا تشهدون؟.

فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله و ان عليا ابن عمك وصيک أمير المؤمنين.

و روى في خبر آخر أنه قال: لا أشك يا ربّ و لا أسأل.

ثم روى: أنه عرج به الى السماء السابعة حتى كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى و ان الحجب رفعت له و مشى فنودي: يا محمد أنك لتمشى في مكان، ما مشى عليه بشر قبلك.

فكَلَّمَهُ اللَّهُ جَل و علا فقال: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» فقال النبي: نعم يا ربَّ «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

فقال الله جل و علا: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ».

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» ... الى آخر السورة.

فقال الله جل و عز له: قد فعلت.

ثم قال له: من لَأَمَّتْكَ من بعدك؟.

فقال: الله أعلم.

فقال: على بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام.

فكانت إمامته من الله مشافهة ..

و روى عن النبي صَلَّى الله عليه و آله أنه قال: ان الله جل و علا لما عرج بى إليه مثل لى امتى فى الطين من أولها إلى آخرها، فأنا أعرف بهم من أحكم بأخيه و علمنى الأسماء كلها.

و فرض على امته الصلاة فى تلك الليلة، و روى أنه كان بعد مبعثه بخمس سنين ففرضت خمسين ركعة ثم ردت الى سبع عشرة ركعة تخفيفا عن امته.

و روى احدى عشرة ركعة ففرض رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ست ركعات و أضافها الى تلك و هى التى تسقط فى السفر.

ص: ١٢١

و روى ان الله جل و عز فرض على امته بعد الصلاة الصيام ثم فرض زكاة الفطرة ثم زكاة الأموال ثم الحج بعد الفرائض ثم الجهاد ثم ختم جميع ذلك بالولاية.

ثم رجع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و كان فقدته فى تلك الليلة أبو طالب و لم يزل يطلبه و وجّه الى بنى هاشم ان البسوا السلاح فقد فقدت محمدا صَلَّى الله عليه و آله.

فخرج بنو هاشم سوى أبى لهب فأنه كان حليف بنى عبد شمس بن أمية و أشد الناس عداوة لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله و صاهر أبا سفيان باخته حمالة الحطب، و أبو طالب يقول:

يا لها من عظمة ان لم أر ابني رسول الله صلى الله عليه وآله.

فبينما هو كذلك إذ تلقاه السيد صلى الله عليه وآله و قد نزل من السماء على باب أم هانئ اخت أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال له أبو طالب: انطلق معي فادخل المسجد بين يدي.

فدخل و معه بنو هاشم فسل سيفه أبو طالب عند الحجر ثم قال: يا بني هاشم اظهروا ما معكم.

فاخرجوا السلاح ثم التفت الى بطون قريش فقال: والله لو لم أره لما بقي فيكم عين تطرف.

فقالت قريش: يا أبا طالب لقد كنت منا عظيما.

و اتقته قريش بعد ذلك اليوم أن تفكر في اغتياله.

و أصبح السيد صلى الله عليه وآله فصلّى بالناس و حدّثهم بحديث المعراج فقالوا: صف لنا بيت المقدس، فرفعه جبرئيل عليه السلام حتى جعله تجاهه و جعل يراه و يحدّثهم بصفته حتى حدّثهم بخبر عير أبي سفيان و الجمل الأحمر الذي يقدمها.

فكذّبوه و قالوا: هذا سحر مبين.

و أقام صلى الله عليه وآله بمكة يدعو الناس سرّاً و جهراً فأجاباه المؤمنون و جحده من حقت عليه كلمة العذاب.

ص: ١٢٢

الهجرة و المبيت

و اجتمعت قريش في دار الندوة يأتمرون في قتله، فاتاهم إبليس في صورة شيخ من مضر فاستقرت آراؤهم بمشورة اللعين أن يخرج كلّ بطن منهم رجلاً بأسيا فهم فيضربوه ضربة رجل واحد و ذلك في السنة التي توفي فيها أبو طالب و توفيت خديجة عليها السلام.

فأخبر الله رسوله بذلك و أمره بالخروج عن مكة الى المدينة و ان ينوم أمير المؤمنين عليه السلام على فراشه، ففعل.

و كان من قصته في خروجه و حديث الغار و هجرته الى المدينة ما رواه الناس، فروى ان الله جل و تعالى و اخي بين ملائكته المقربين، فواخي بين جبرئيل و ميكائيل ثم أوحى إليهما: ان كتبت على أحدكما نائبة أو محنة عظيمة هل فيكما من يقي أخاه بنفسه؟.

فقالا: نعم يا ربّ.

فأوحى الله إليهما: ان كتبت على أحدكما الموت قبل أخيه، هل فيكما من يبذل مهجته و يفدى أخاه بنفسه؟.

قالا: لا يا رب.

فأوحى الله إليهم: اهبطا الى الأرض فانظرا.

فهبطافوجدا أمير المؤمنين عليه السلام نائما على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله قد وقاه بنفسه من المشركين. فقالا: بخ! بخ! هذه المواساة بالنفس.

وكان من حديث هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة ما كان. و دخل مسجد قبا واجتمع إليه جمع من المسلمين ثم ركب راحلته عليه السلام متوجها الى المدينة فاستقبله الأنصار وقالوا:

هلم إلينا يا رسول الله الى العدة و العدد و النصر و المواساة.

وجعلوا يتعلقون بزمام ناقته فقال عليه السلام: خلّوا عنها فإنها مأمورة.

حتى انتهت الى اسطوانة الخلق فأمر باحضار الحجارة ثم نصبها في قبلة المسجد.

و روى ان هجرته كانت في شهر ربيع الأول.

ص: ١٢٣

الدعوة

و أمره الله جل و عز باشهار سيفه و اظهار الدعوة و الجهاد لأعداء الله و أعداء دينه، فكتب الى ملوك الطوائف و جميع النواحي يدعوهم الى توحيد الله عز و جل جلاله و الى نبوته.

ثم عبأ جيشه لغزاة بدر- و كان عدد المسلمين ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا- فغزاهم فأظهره الله على المشركين، فقتل منهم و سبى و أسر.

ثم لم يزل يفتح البلدان عنوة و صلحا، و كان عدد الغزوات تسعا و عشرين غزوة و عدد سراياه نحو ثمانين سرية الى أن فتح مكّة، و كان من حديثه ما رواه الناس.

حجة الوداع

ثم حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله في سنة عشر من الهجرة فاذن في الناس بالحجّ وكان خروجه لخمس ليال بقين من ذى القعدة. وأحرم (من ذى الحليفة). وقضى مناسكه صلى الله عليه وآله في ذى الحجة وانصرف ..

فلما صار بوادى خم نزل عليه الوحي في أمير المؤمنين عليه السلام آية العصمة من الناس وقد كان الأمر قبل ذلك يأتيه فيتوقف انتظارا لقول الله عز وجل «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» فلما نزلت قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه كثيرا ثم نصب أمير المؤمنين عليه السلام علما وقيما مقامه بعده. وكان من حديث غدير خم ما رواه الناس ثم انصرف في آخر ذى الحجة.

و روى ان الله عز وجل علم نبيه كل ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة ثم فوض إليه أمر الدين والشرايع فقال: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» وقال: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» وقال: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ».

ثم وصفه الله عز ذكره بما لم يصف به أحدا من أنبيائه وجميع خلقه فقال: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ».

ص: ١٢٤

و روى ان الاسم الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، أعطى الله آصف بن برخيا منه حرفا واحدا فكان من أمره في عرش بلقيس ما كان، وأعطى عيسى منه حرفين فعمل بهما ما قص الله به، وأعطى موسى أربعة أحرف، وأعطى إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطى نوح خمسة عشر حرفا، وأعطى محمدا صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفا واستأثر الله جل وتعالى بحرف واحد، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما علمه الأنبياء وما لم يعلموه.

الوصية

فلما قرب أمره صلى الله عليه وآله أنزل الله جل وعلا إليه من السماء كتابا مسجلا نزل به جبرئيل عليه السلام مع امناء الملائكة فقال جبرئيل: يا رسول الله مر من عندك بالخروج من مجلسك إلّا وصيک ليقبض منّا كتاب الوصية ويشهدنا عليه.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله من كان عنده في البيت بالخروج ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال جبرئيل: يا رسول الله ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: هذا كتاب بما كنت عهدت وشرطت عليك واشهدت عليك ملائكتي وكفى بي شهيدا.

فارتعدت مفاصل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله فقال: هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام، صدق الله، هات الكتاب.

فدفعه إليه، فدفعه من يده الى على وأمره بقراءته وقال: هذا عهد ربي إليّ وأمانته، وقد بلغت وأدبت.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأنا اشهد لك بأبي أنت وأمي بالتبليغ والنصيحة والصدق على ما قلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أخذت وصيتي و قبلتها مني و ضمنت لله تبارك و تعالى ولى الوفاء بها؟.

قال: نعم على ضمانها و على الله عز و جل عوني.

و كان فيما شرطه فيها على أمير المؤمنين عليه السلام: الموالاة لأولياء الله و المعادة لأعداء

ص: ١٢٥

الله و البراءة منهم، و الصبر على الظلم، و كظم الغيظ، و أخذ حقك منك و ذهاب خمسك و انتهاك حرمتك، و على أن تخضب لحيتك من رأسك بدم عبيط.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قبلت و رضيت و ان انتهكت الحرمة و عطلت السنن و مزق الكتاب و هدمت الكعبة و خضبت لحيتي من رأسي صابرا محتسبا.

فأشهد رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل و ميكائيل و الملائكة المقربين على أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فأعلمهم من الأمر مثل ما أعلمه أمير المؤمنين و شرح لهم ما شرحه له.

فقالوا مثل قوله و ختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تصبه النار و دفعت الى أمير المؤمنين عليه السلام.

و فى الوصية سنن الله جلّ و علا و سنن رسول الله صلى الله عليه وآله و خلاف من يخالف و يغير و يبدل و شيء من جميع الأمور و الحوادث بعده صلى الله عليه وآله و هو قول الله عز و جل «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ».

وفاة الرسول [ص]

ثم اعتل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله فجيش أكثر أصحابه مع اسامة بن زيد للغزاة فلم يتبعوه و تناقلوا و قعدوا عنه و خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله للخروج مع أميرهم.

فلما كان الوقت الذى قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله دعا أمير المؤمنين عليه السلام فوضع ازاره سترا على وجهه و لم يزل يناجيه بكل ما كان و ما هو كائن الى يوم القيامة ثم مضى صلى الله عليه وآله و قد سلم إليه جميع موارد الأنبياء و النور و الحكمة.

و روى أنه كان ممّا قال له فى تلك الحال: إذا أنا متّ فغسلنى و كفنى و حنطنى ثم اجلسنى فاسأل عمّا بدا لك و اكتب.

و روى: ان جبرئيل قال له: هذا الوقت يا محمد، هذا آخر نزولى الى الدنيا.

فسمعوا صوتا منه عليه السلام يقول: عليكم السلام أهل البيت و الرسالة. ان فى الله خلفا من

ص: ١٢٦

كلّ هالك و عزاء من كلّ مصيبة و دركا من كلّ فائت، ليس المصاب من أعقبه الثواب.

ثم سكنت حركة سيّدنا محمد صلى الله عليه و آله و ستر بشوب.

و تولّى أمير المؤمنين عليه السلام غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه فى البقعة التى قبض فيها صلى الله عليه و آله.

و روى ان سنه كانت ثلاثا و ستين سنة، و كانت ولادة آمنة بنت وهب بن عبد مناف أمّ السيّد صلى الله عليه و آله فى شهر ربيع الأول من عام الفيل، و كان ملك ذلك الزمان كسرى انوشيروان صاحب المدائن، و هو الذى يروى ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال فيه: ولدت فى زمن الملك الصالح، لو لحقنى لآمن بى. و ظهرت نبوّته بعد أربعين سنة.

و روى أنّه أقام بمكّة قبل الهجرة ثلاث عشر سنة و هاجر صلى الله عليه و آله فمكث بالمدينة مهاجرا عشر سنين و شهورا.

و روى أنّه قبض فى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة فكانت ثلاثا و ستين سنة صلى الله عليه و على آله الطاهرين.

ص: ١٢٧

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

و خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة فى انتقال سيّدنا رسول الله من آدم الى ان ولد صلى الله عليه و آله:

الحمد لله الذى توحد بصنع الأشياء و فطر أجناس البرايا على غير مثال سبقه فى انشائها، و لا أعانه معين على ابتداعها بل ابتدعها بلطف قدرته، فامتثلت لمشيئته خاضعة مستحدثة لأمره الواحد الأحد الدائم بغير حد و لا أمد و لا زوال و لا نفاذ و كذلك لم يزل و لا يزال لا تغيره الأزمنة، و لا تحيط به الأمكنة، و لا تبلغ مقامه الألسنة و لا تأخذه سنة و لا نوم، لم تره العيون فتخبر عنه برؤيته، و لم تهجم عليه العقول فيتوهم كنه صفته، و لم تدرك كيف هو إلّا بما أخبر عن نفسه، ليس لقضائه مرد و لا لقوله مكذب ابتدع الأشياء بغير تفكير و خلقها بلا ظهير و لا وزير فطرها بقدرته، و صيّرها بمشيئته، و صاغ أشباحها، و برأ أرواحها، و استنبط أجناسها، خلقا مبروءا مذروءا، فى أقطار السموات و الأرضين، لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتى عليه ليرى عباده آيات جلاله و آلائه، فسبحانه لا إله إلّا هو الواحد القهار، و صلى الله على محمد و آله و سلّم تسليمًا.

اللهم فمن جهل فضل محمد صلى الله عليه وآله فاني مقر بانك ما سطحت أرضا ولا برأت خلقا حتى أحكمت خلقه و أتقنته من نور سبقت به السلالة، و أنشأت آدم له جرما فأودعته منه قرارا مكيئا و مستودعا مأمونا و أعدته من الشيطان و حجبته عن الزيادة و النقصان و جعلت له الشرف الذي به يسامى عبادك، فأى بشر كان مثل آدم فيما سبقت الأخبار.

و عرفتنا كتبك فى عطايك، أسجدت له ملائكتك و عرفته ما حجبت عنهم من علمك إذ

ص: ١٢٨

تناهت به قدرتك و تمت فيه مشيتك دعاك بما أكننت فيه فأجبتة إجابة القبول، فلما أذنت اللهم فى انتقال محمد صلى الله عليه وآله و سلم من صلب آدم ألقت بينه و بين زوج خلقتها له سكنا و وصلت لهما به سببا.

فنقلته من بينهما الى (شيث) اختيارا له بعلمك، فأى بشر كان اختصاصه برسالتك، ثم نقلته الى (انوش) فكان خلف أبيه فى قبول كرامتك، و احتمال رسالتك، ثم قدرت نقل النور الى (قينان) و ألحقته فى الخطوة بالسابقين، و فى المنحة بالباقيين، ثم جعلت (مهلائيل) رابع اجرامه قدرة تودعها من خلقك فى من تضرب لهم بسهم النبوة، و شرف الابوة حتى تنهى تدبيرك الى (اخنوخ) فكان أول من جعلت من الأجرام ناقلا الرسالة و حاملا لأعباء النبوة، فتعاليت يا رب، لقد لطف علمك و جلّت قدرتك عن التفسير إلّا بما دعوت إليه من الإقرار بربوبيتك، و اشهد ان الأعين لا تدركك، و الأوهام لا تلحقك، و العقول لا تصفك، و المكان لا يسعك و كيف يسع المكان من خلقه و كان قبله أم كيف تدركه الأوهام و لا نهاية له و لا غاية و كيف يكون له نهاية و غاية، و هو الذى ابتدأ الغايات و النهايات أم كيف تدركه العقول و لم يجعل لها سبيلا الى إدراكه، و كيف يكون لها سبيل الى إدراكه و قد لطف بربوبيته عن المحاسة و المجاسة، و كيف لا يلطف عنهما من لا ينتقل عن حال الى حال، و قد جعل الانتقال نقضا و زوالا، فسبحانك ملأت كلّ شىء و باينت كلّ شىء فأنت الذى لا يفقدك شىء و أنت الفاعل لما تشاء، تبارك يا من كلّ مدرك من خلقه، و كلّ محدود من صنعه أنت الذى لا يستغنى عنك المكان و الزمان و لا نعرفك إلّا بانفرادك بالوحدانية و القدرة، و سبحانك ما أبين اصطفاك (لإدريس) على سائر خلقك من العالمين لقد جعلت له دليلا من كتابك إذ سمّيته صديقا نبيا، و رفعته مكانا عليا، و أنعمت عليه نعمة حرمتها على خلقك، إلّا من نقلت إليه نور الهاشميين و جعلته أول منذر من أنبيائك ثم أذنت فى انتقال نور محمد صلى الله عليه وآله و سلم من القابلين له (متوشلخ) و (لمك) المفيضين به الى نوح فأى آلائك يا ربّ لم توله، و أى خواص كرامتك لم تعطه، ثم أذنت فى ايداعه (سام) دون (حام) و (يافث) فضربت لهما بسهم فى الذلّة، و جعلت ما أخرجت بينهما لنسل سام خولا، ثم تتابع عليه القابلون من حامل الى حامل و مودّع الى مستودع

ص: ١٢٩

من عترته فى فترات الدهور حتى قبله (تارخ) أظهر الأجسام و أشرف الأجرام و نقلته منه الى «إبراهيم» فأسعدت بذلك جدّه، و أعظمت به مجده و قدّسته فى الأصفياء و سمّيته دون رسلك خليلا، ثم خصصت به اسماعيل دون ولد إبراهيم فأنطقت لسانه بالعربية التى فضّلها على سائر اللغات فلم تزل تنقله من أب الى أب حتى قبله (كنانة) عن «مدرکه» فأخذت له مجامع الكرامة، و مواطن السلامة، و أحللت له البلدة التى قضيت فيها مخرجه فسبحانك لا إله إلّا أنت أى صلب أسكنته فيه و لم ترفع ذكره، و

أى نبيٍّ بشرَّ به فلم يتقدّم فى الأسماء اسمه، و أى ساحة من الأرض سلكت به لم يظهر بها قدسه، حتى الكعبة التى جعلت منها مخرجه، غرست أساسها بياقوتة من جنّات عدن، و أمرت الملكين المطهرين جبرئيل و ميكائيل فتوسّطا بها أرضك و سمّيتها بيتك، و اتخذتها معبداً لنبيّك و حرّمت وحشها و شجرها، و قدّست حجرها، و مدرها و جعلتها مسلّكا لوحيك و منسكا لخلقك و مأمنا للمأكولات و حجابا للأكلات العاديات، تحرّم على أنفسها أذعار من أجرت ثم أذنت للنضر فى قبوله و ايداعه (مالكا) ثم من بعد مالك «فهر» ثم اختصت من ولد فهر «غالبا» و جعلت كلّ من تنقله إليه أمينا لحرمك، حتى اذا قبله لوى بن غالب آن له حركة تقديس فلم تودعه من بعده صلبا إلّا جلّته نورا تأنس به الأبصار و تطمئنّ إليه القلوب، فانا يا الهى و سيدى و مولاي المقرّ لك بأنك الفرد الذى لا ينازع و لا يغالب و لا يجادل، سبحانك سبحانك لا إله إلّا أنت ما لعقل مولود، و فهم معقود، مدحو من ظهر، مزيج بمحيض لحم و علق درء الى فضالة الحيض، و علالات الطعم، شاركته الأسقام و التحفت عليه الآلام، لا يمتنع من قيل و لا يقدر على فعل، ضعيف التركيب و البنية، ما له و الاقتحام على قدرتك. و الهجوم على إرادتك، و تفتش ما لا يعلمه غيرك سبحانك أىّ عين تصب نورك، و ترقى الى ضياء قدرتك، و أى فهم يفهم ما دون ذلك الا بصائر كشفت عنها الأغطية، و هتكت عنها الحجب العمية و فرّقت أرواحها الى أطراف أجنحة الأرواح فتأملوا أنوار بهائك و نظروا من مرتقى التربة الى مستوى كبريائك فسمّاهم أهل الملكوت زوارا دعاهم أهل الجبروت أغمارا فسبحانك يا من ليس فى البحار قطرات، و لا فى متون الأرض جنّات و لا فى رتاج الرياح حركات و لا فى قلوب العباد خطرات، و لا فى

ص: ١٣٠

الأبصار لمحات. و لا على متون السحاب نفحات، إلّا و هى فى قدرتك متحيرات، أما السماء فتخبر عن عجائبك، و أما الأرض فتدلّ على مدائحك، و أما الرياح فتتنشر فوائذك، و اما السحاب فتتهطل مواهبك، و كلّ ذلك يحدث بتحننك و يخبر العارفين بشفقتك و أنا المقرّ بما أنزلت عند اعتدال نفسه و فراغك من خلقه رفع وجهه فواجهه من عرشك رسم فيه لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فقال الهى من المقرون باسمك فقلت محمّد صلى الله عليه و آله خير من أخرجته من صلبك، و اصطفيته بعدك، من ولدك، و لولاه ما خلقتك، فسبحانك لك العلم النافذ و القدر الغالب، لم تزل الآباء تحمله، و الأصلاب تنقله، كلّما أنزلته ساحة صلب جعلت له فيها صنعا يحثّ العقول على طاعته، و يدعوها الى مقتته حتى نقلته الى (هاشم) خير آبائه بعد اسماعيل، فأى أب و جدّ، و والد اسرة، و مجتمع عترة، و مخرج طهر، و مرجع فخر، جعلت يا ربّ هاشما، لقد أقمته لدن بيتك، و جعلت له المشاعر و المتاجر، ثم نقلته من هاشم الى عبد المطلب فانهجته سبيل إبراهيم، و ألهمته رشدًا للتأويل، و تفصيل الحق، و وهبت له عبد الله و أبّا طالب و حمزة و فديت عبد الله بالقران و لقد بلغت يا الهى ببنى أبى طالب الدرجة التى رفعت إليها فضلهم فى الشرف الذى مددت به أعناقهم و الذكر الذى حلّيت به اسماءهم و جعلتهم معدن النور و جنته، و صفوة الدين و ذروته، و فريضة الوحي و سنّته، ثم أذنت لعبد الله فى نبذه عند ميقات تطهير أرضك من كفّار الامم الذين نسوا عبادتك، و جهلوا معرفتك، و اتخذوا اندادا، و جحدوا ربوبيتك، و أنكروا وحدانيتك، و جعلوا لك شركاء و أولادا، و صبوا الى عبادة الأوثان، و طاعة الشيطان، فدعاك نبينا صلوات الله عليه لنصرته فنصرته بى و بجعفر و حمزة فنحن الذين اخترتنا له و سمّيتنا فى دينك لدعوتك أنصارا لنبيّك، قائدنا الى الجنة خيرتك، و شاهدنا أنت ربّ السموات و الأرضين، جعلتنا ثلاثة ما نصب له عزيز إلّا أذلّته بنا و لا ملك إلّا طحطحته بنا أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا، و صفتنا يا ربنا بذلك و أنزلت فينا قرآنا جليّت به عن وجوهنا الظلم، و أرهبت بصولتنا الامم، اذا جاهد محمّد رسولك عدوا لدينك تلوذ به اسرته، و تحفّ به عترته كأنهم النجوم الزاهرة اذا توسطهم القمر المنير ليلة تمه، فصلواتك على محمّد عبدك و نبيّك و صفيك و خيرتك و آله

ص: ١٣١

الطاهرين، أى منيعة لم تهدمها دعوته، و أى فضيلة لم تنلها عترته جعلتهم خير أئمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و يجاهدون فى سبيلك.

و يتواصلون بدينك، طهرتهم بتحريم الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أهلّ و نسك به لغير الله، تشهد لهم و ملائكتك أنهم باعوك أنفسهم، و ابتذلوا من هيبتك ابدانهم، شحنة رءوسهم، تربة وجوههم، تكاد الأرض من طهارتهم أن تقبضهم إليها و من فضلهم أن تميد بمن عليها. رفعت شأنهم بتحريم أنجاس المطاعم و المشارب. فأى شرف يا ربّ جعلته فى محمد و عترته فو الله لأقولن قولاً لا يطيق أن يقوله أحد من خلقك، أنا علم الهدى، و كهف التقى و محلّ السخاء، و بحر الندى، و طود النهى، و معدن العلم، و النور فى ظلم الدجى و خير من أمر و اتقى و أكمل من تقمّص و ارتدى، و أفضل من شهد النجوى بعد النبىّ المصطفى، و ما أزكى نفسى و لكن أحدث بنعمة ربّى أنا صاحب القبلتين، و حامل الرايتين، فهل يوازى فىّ أحد؟ و أنا أبو السبطين فهل يساوى بى بشر؟ و أنا زوج خير النسوان فهل يفوقنى رجل؟ أنا القمر الزاهر بالعلم الذى علّمنى ربّى، و الفرات الزاخر، أشبهت من القمر نوره و بهاءه و من الفرات بذله و سخاءه، أيّها الناس بنا أنار الله السبل، و أقام الميل، و عبد الله فى أرضه، و تناهت إليه معرفة خلقه، و قدّس الله جل و تعالى بإبلاغنا الألسن، و ابتهلت بدعوتنا الأذهان، فتوفى الله محمّداً صلّى الله عليه و آله سعيداً شهيداً، هادياً مهدياً، قائماً بما استكفاه، حافظاً لما استرعاه، تمم به الدين، و أوضح به اليقين، و أقرّت العقول بدلالته و أبانت حجج أنبيائه، و اندمغ الباطل زاهقاً و وضح العدل ناطقاً، و عطل مظانّ الشيطان، و أوضح الحق و البرهان. اللهم فاجعل فواضل صلواتك و نوامى بركاتك و رأفتك و رحمتك على محمّد نبى الرحمة و على أهل بيته الطاهرين.

ص: ١٣٣

مولد الامام على عليه السّلام

قام أمير المؤمنين عليه السّلام، مقام رسول الله صلّى الله عليه و آله.

روى عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه قال: كنت أنا و على نورا فى جبهة آدم عليه السّلام فانقلنا من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام المطهرة الزاكية حتى صرنا فى صلب عبد المطلب فانقسم النور قسمين فصار قسم فى عبد الله و قسم فى أبى طالب فخرجت من عبد الله و خرج على من أبى طالب و هو قول الله جل و عز «الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا».

و روى ان فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين عليه السّلام كانت فى الليلة التى ولدت فيها آمنة بنت وهب أم رسول الله صلّى الله عليه و آله حاضرة عندها و انها رأت مثل الذى رآته آمنة، فلما كان الصبح انصرف أبو طالب من الطواف فاستقبلته فقالت له: لقد رأيت الليل عجباً، قال لها و ما رأيت؟ قالت: ولدت آمنة بنت وهب مولوداً أضاءت له الدّنيا بين السماء و الأرض

نورا حتى مددت عيني فرأيت سعات هجر، فقال لها أبو طالب انظري سبتا فستأتين بمثله. فولدت أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة و روى ان السبت ثلاثون سنة و روى أنه ثمان و عشرون سنة.

و روى ان فاطمة بنت أسد لما حملت بأمير المؤمنين عليه السلام كانت تطوف بالبيت فجاءها المخاض و هى فى الطواف فلما اشتد بها دخلت الكعبة فولدته فى جوف البيت على مثال ولادة آمنة النبی صلی الله عليه و آله ما ولد فى الكعبة قبله و لا بعده غيره.

ص: ١٣٤

ایمان على عليه السلام

و روى عبد الله بن محمد بن غياث عن أبي نصر رجاء بن سهل الصاغانى قال حدثنا وهب بن منبه القرشى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام أنه سئل عن بدو ایمان أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه و آله فقال أبو عبد الله جعفر عليه السلام: اذا ذكرت الفضائل و المناقب ففى شرح ایمان أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه و آله ما تنفتح الأذهان. و تكثر الرغائب لأن حبّ على عليه السلام فرض على المؤمنين، و غيظ على المنافقين، فمن أحبّ علياً فله رسول الله صلى الله عليه و آله أحبّ و من أسك عنه فقد عصى الله و نكب عن سبيل النجاة لأنه أول من آمن برسول الله صلى الله عليه و آله، و صلى معه، و صدّق بما جاء من الله و سارع الى مرضاة الله و مرضاة رسول الله صلى الله عليه و آله و صبر على البأساء و الضراء فى كلّ شدة و عسر، و كان أكثر أصحابه نصحا له، و أكثرهم و أشدهم مواساة بنفسه و ذات يده له، و كان ممّا منّ الله به على أمير المؤمنين عليه السلام فى دلائله، و اختصه بفضائله، و منحه من الكرامة، و الحياء و شرفه بسوابق الزلفى، أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه و آله قبل مبعثه، يغذوه بما يغذو به نفسه.

كفالة ابى طالب للنبي عليه السلام

و كان رسول الله صلى الله عليه و آله فى حجر أبى طالب يغذّيه و يحوطه، و ذلك أن أبا الحرث عبد المطلب بن هاشم كان يكفل الأرامل و الأيتام و يغيث الملهوف و يجير المظلوم و ينظر المعسر و يحمل الكلّ و يقرى الضيف، و يمنع من الضيم، و كان برسول الله صلى الله عليه و آله حفيّا فى السر و الاعلان يتفقده فى مطعمه و أغذيته، و يعدله قريشا، يخضع له الأشراف، و يذلّ له عظماء الملوك و يدين بدينه جميع أهل الملل و الأديان، و ترعد لهيبته فرائص الجبارين و يظهر على من خالفه و ناوأه حتى يقرنهم فى الأصفاة و يبيع ذراريهم فى الأسواق و يتخذ أبناءهم عبيدا، و شجعانهم جنودا، و تعيينه الملائكة على نصرته فطوبى لمن آمن به من عشيرته و طوبى لامّته.

فلما مرض مرضه الذى مات فيه وضع رسول الله صلى الله عليه و آله فى حجر أبى طالب عليه السلام

ص: ١٣٥

و وصّاه به، و قال له: يا بنى هذا فضل من الله عليك و منحة و هدية منى إليك الهمنيه فى أمرک و هو ابن أخیک لأبيک و أمک دون ساير اخوانک ثم اطلعه على مکنون سر علمه و دلائله و أخبره بما بشر به عن الأنبياء و المرسلين صلى الله عليهم، و ما رواه فيه أفاضل الأحبار، و عبّاد الرهبان، و أقبال العرب و کهان العجم.

و لم يكن لأبى طالب يومئذ ولد، و كان فردا وحيدا، امرأته فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف بنت عمه و كانت ممنوعة من الولد تنذر لذلك النذور، و تتقرّب الى الأصنام و تستشفع بالأزلام الى الرحمن و تعتر العتائر، و تضخ وجوه الأصنام، بذكى المسک و خالص العنبر، تطلب الولد. و كانت كلّما لقيت كاهنا أو حبرا عالما من السدنة بشرها انها تبتنى ولدا لم تلده و تربيّه و يأمرها إذا رزقته أن تضمّه و تكنفه و تحفظه و لا تبعده فتسألهم أن يسمّوه و يصفوه لها فيقولون ذاك نور منير بشير نذير مبارك فى صغره منبئ فى كبره، يوضح السبيل، و يختم الرسل، يبعث بالدين الفاضل و يزهق العمل الباطل، يظهر من أفعاله السداد و يتبين باتّباعه الرشاد، و ينهج الله له الهدى، و يبين به التقى.

فكانت فاطمة بنت أسد ترقب ذلك و تنتظره. فلما طال انتظارها، و ذهل اصطبارها، أنشأت تقول:

طال الترقّب للميعاد إذ عدمت	منى الحوائل ولدا من عناصيرى
لما أتيت الى الكهان بشرنى	عند السؤال عليم بالمخاير
فقال يوعدننى و الدمع مبتدر	يا فاطم انتظرى خير التباشير
نورا منيرا به الأنباء قد شهدت	و الكتب تنطق عن شرح المزامير
انى بذاک فقد طال الطلاع الى	وجه المبارك يزهو فى الدياجير

فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب رسول الله صلى الله عليه و آله بأحسن كفالة، و حن عليه، و دأب فى حياطته و تمسّك به و التحف عليه و عطف على جوانبه.

و كان أبو طالب محترما معظّما كشّافا للكروب غير هذر و لا مكثار و لا عاق بل بر وصول، جواد بما يملك، سمح بما يقدر، لا يثنيه عن مبادرة الخطاب وجل، و لا يدركه لدى الخصام ملل، فشغف برسول الله صلى الله عليه و آله شغفا شديدا. و ولّدت بحبه فاطمة بنت أسد

ص: ١٣٦

و ذهلت بمحبته و دلاله التى وعدت بها فكانت تقول: و إله السماء لقد قبل نذرى و شكر سعيى و أجبت دعوتى، لأنزلن محمّدا من قلبى منزلة صميم الاحشاء و لألهون برويته عن كلّ نظرائه، و من أولى بذلك ممّن أعطى مثله، و ليس هذا من أمر الخلق بل هو من عند الإله العظيم.

فكانت قد جعلته صلى الله عليه وآله نصب عينها ان غاب لحظة لم يغب عنها مثاله و لم يفقد شخصه و تذهل حتى تحضره فتشتغل بتغذيته و غسله و تنظيفه و تلبيسه و تدهينه و تعطيره و اصلاح شأنه و تعاهد ارضاعه بالنهار فإذا كان بالليل اشتغلت بفرشه و نومه و توسيده و تمهيده و تعوذه و تنيمه

قال: و كانت فى دار أبى طالب نخلة منوعة بكثرة الحمل موصوفة بالرفقة و عذوبة الطعم شهية المضغ يعقب طعمها رايحة طيبة عطرية كرائحة الزعفران المذاب بالعسل، كثيرة اللحا قليلة السحا، دقيقة النوى فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي إليها كل غداة مع أتراب له منهم أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه و أبو سلمة بن عبد الأسد و مشروح بن نويبة فيلتقطون ما يتساقط تحتها من ثمرها بهبوب الرياح و وقوع الطير و نقره.

و كانت فاطمة بنت أسد لا ترى رسول الله صلى الله عليه وآله يسابق اترابه على البسر و البلح و الرطب فى أوانه، و كان الغلظة يبادرون لذلك و هو- عليه السلام- يمشى بينهم و عليه السكينة و الوقار بتواضع و ابتسام و يتعجب من حرصهم و عجلتهم، فكان ان وجد شيئاً ساقطاً بعدهم أخذه و إلّا انصرف بوجه منبسط طلق و بشر حسن.

فكانت فاطمة تعجب من شدة حيائه و طيب شأنه و رقة قلبه و سرعة دمعته و كثرة رحمته، فربما جمعت له من تمر النخلة قبل مجيئهم فإذا أقبل صلى الله عليه وآله قدمته إليه، فيحب أن يأكله معهم.

قالت فاطمة: و دخل على أترابه يوماً و أنا مضطجعة و لم أره معهم فقلت: اين محمد؟.

قالوا: مع عمه أبى طالب وراءنا.

ص: ١٣٧

فسكنت نفسى قليلاً، و لقط الغلمان ما كان تحت النخلة. و جاء بعدهم محمد فلم ير تحتها شيئاً، فصار إليها و وقف تحتها، و كانت باسقة، فأوماً بيده إليها، فانتثت بعراجينها حتى كادت تلحق بشمارها الأرض، فلقط منها ما أراد ثم رفع يده و أوماً إليها، فرجعت، و حسبنى راقدة.

قالت: و كنت مضطجعة، فلما رأيت ذلك استطير فى روعى، و لم أملك نفسى فأتيت أبا طالب فخلوت به، فقلت له: كان من أمر محمد صلى الله عليه وآله كيت و كيت.

فقال: مهلا يا فاطمة لا تذكرى من هذا شيئاً فإنه حلم و أضغات.

فقلت: كلا و الله، بل هو حقّ يقين فى يقظة لا فى نوم، و رأى العين لا رؤيا، و انى لأرجو الله أن يحقّق ظنّى فيه و ان يكون الذى بشرت بتربيته و وعدت الفوز عند كفالته.

فكانت فاطمة لا تفارق رسول الله صلى الله عليه وآله في ليل ولا نهار، ولا تغفل عنه وعن خدمته وتفقد مطعمه فكان صلى الله عليه وآله يسميها أمي، وهجرت الأصنام، وقطعت القربان إليها من الذبائح في الأعياد تسأل الولد. وتسلت برسول الله صلى الله عليه وآله والتبني له وخدمته عن كل شيء. فلما قطعت عاداتها، وجد عليها السدنة من ذلك ومنعوها من الدخول على الصنم الأعظم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحضر قريشا في مشاهدتهم كلها غير السجود للأصنام، والذبائح للأنصاب، وفي حال شرب الخمر وصف الشعر، وقول الزور، فإنه كان يجتنبهم مذ كان طفلا حتى استكمل فدخل يوما على سادن من سدنة الأصنام، فقال له: لم تعتب على أمي فاطمة وتمنعها من زيارة هذه الأحجار المؤثرة فينا الاعتبار؟.

فقال له السادن: لأنها أتت بأمور متشابهة، وقطعت بر الآلهة، وهي لمن عبدها نافعة، ولمن جاء إليها شافعة، وستعلم ابنة أسد أنها لا ترزقها ولدا.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أأصنام ترزقكم الولدان، وتأتيكم بالغيث عند المحل في السنوات الشداد؟.

قال له السادن: نعم! أو ما علمت نحن نحمد ذلك عند الأصنام عاجلا في الفاقة وأجلا مدخرا.

ص: ١٣٨

والتفت الى السدنة فقال: هذا غلام مات أبوه وجدّه و أمّه وظنّره و هو طفل فكفله من لا يعبأ به و لا يدلّه على رشده- و هو عمّه و امرأة عمّه.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فأخبرني عن هذه الأصنام من خلقها ومن ابتدع الامم السالفة و رزقها؟.

قال السادن: الله فعل ذلك، وهو لجميع الخلق مالک.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فان أمي تجعل قربانها لله الحي القائم القديم فهو أحق من الأصنام.

ثم انطلق الى فاطمة من ساعته و حدّثها بما جرى بينه وبين السادن و قال لها: قربى إلى الله قربانك.

فاصطفت القربان و قالت: هذا لله خالصا .. جعلته ذخرا .. قبلته من محمد حبيبي.

فما أصبحت من ليلتها حتى اکتست حسنا الى حسننها و جمالا إلى جمالها.

فحملت فولدت عقيلًا ثم حملت فولدت طالبا ثم حملت فولدت جعفرا، وكان وجهها في كلّ يوم يزداد نورا و ضياء لما حملت بأزكاهم و أطهرهم و أبرهم و أرضاهم على، فولدته و نالها في ولادته بعض الصعوبة ثم جاءت به الى بيت أبيه حتى حنكه رسول الله صلى الله عليه وآله و وضعه في حجره و قمطه في حضنه قبل كلّ أحد من الناس.

ثم رزقت بعد على أم هانئ و اسمها فاختة و هي المباركة الطيبة اخت الطاهرين من ولد أبيها أبي طالب.

مولد على عليه السلام

و كانت فاطمة حملت بعلى عليه السلام فى عشر ذى الحجة و ولدته فى النصف من شهر رمضان، و حملت به أيام الموسم. و بعد حملها بخمسة أيام كانت جالسة و قد كسيت نورا و جمالا، و وجهها يزهر، و جبهتها تتلأأ بين الأكارم من الفواطم من قريش، منهن فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدّة رسول الله صلى الله عليه و آله لأبيه، و فاطمة بنت زائرة بن الأصم أم خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت عبد الله بن ورام، و فاطمة بنت الحرث بن عكرمة، و ممّن لم

ص: ١٣٩

يحضرن و يلحقن من الفواطم اللواتى يقربن من رسول الله صلى الله عليه و آله و من على عليه السلام بالنسب و اللحمه: فاطمة بنت النضر أم ولد قضى. فانهنّ لجلوس يتفاخرن بالذراى و الأولاد إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه و آله و كان وجهه المرأة مصقولة و المهابة مجلوة ينثنى كغصن مياد و قد تبعه بعض الكهان ينظر إليه نظرا شافيا.

فجلس رسول الله صلى الله عليه و آله الى فاطمة أم على بين العجائز من الفواطم و جلس الكاهن بازائه لا يمر به كاهن مثله و لا حبر و لا قاييف و لا عاييف إلّا همس إليه و غمزه و استوقفه، ينظرون إليه فبعض يشير إليه بسبّابته و بعض يعضّ على شفته.

فعاب رسول الله صلى الله عليه و آله بقيامه و دخل الى منزل عند عمّه.

فقال الكاهن للعجائز: من هذا الفتى الذى قد زها بحسنه على كلّ الفتيان و الرجال و النساء؟.

قالوا: هذا المحبّب فى قومه محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ذو الفضل و العرف و السؤدد فقال الكاهن: يا معشر قريش ايذنوا بالحرب، بعد الهرب، من سيف النّبىّ المنتجب، الويل منه للعرب و للأصنام و النصب.

ثم نادى: يا أهل الموسم الحافل، و الجمع الشامل، قرب ظهور الدين الكامل، و مبعث النّبىّ الفاضل، ثم أنشأ يقول:

انى رأيت نبيا ما كنت أعرفه	حقا تيقنه قلبى باثبات
فى الكتب أنزله لما تخيره	و كنت أعرف ما فى شرح توراة
من فضل أحمد من كالبدر طلعتة	يزهو جمالا على كلّ البريات
من أمة عصمت من كلّ خائنة	و صار مجتنباً رجس الخسارات
ما زلت أرمقه من حسن بهجته	كالشمس من برجها تبدى الطليعات

فان بقيت الى يوم السباق و قد
كنت المجيب له لبيك من كتب
يا خير من حملت حواء أو وضعت
قد كنت أرقب هذا قبل فجوته
نادى قريشا لتبليغ الرسالات
أنت المفضل من خير البريات
من أول الدهر فى رجع الكريات
حتى تلمسته قبضا براحات

ص: ١٤٠

فاليوم أدركت غنما كنت أرقبه
فيا لها فرحة يعتادها نجح
فكيف ينزل من نال الرياح و من
ذاك النبى الذى لا شك منتجب
من عند ربى جبار السموات
لما حبيت بتعبير التحيات
أهدى له موهب من خير خيرات
جيريل يقصده بالوحى تارات
فى كل يوم بوحي الله يمنحه
ينبيه عن كل معلوم الدلالات

قال: فقالت فاطمة بنت أسد: فرأيت حبرا منهم يسمع شعر الكاهن و دموعه تسحّ على خديّه فتبعته فقلت له: أقسمت عليك
بدينك و سفرک و کتابک لتخبرنى بالأمر على حقيقته، فان الحكيم لا يكتّم من استنصحه نصيحة يقوى بها بصيرته.

فنظر الحبر الى رسول الله صلى الله عليه و آله نظرا مستقصيا ثم قال: و الله هذا غلام همّام، آباؤه كرام، يكفله الأعمام، دينه
الاسلام، شريعته الصلاة و الصيام، تظله الغمام، يجلى بوجهه الظلام، من كفله رشد، و من أرضعه سعد، و هو للأنام سند، يبقى
ذكره ما بقى الأبد.

ثم ذكر كفالة أبى طالب إياه و عدّد سيرته و خاتمة أمره و عقباه.

ثم قال: و تكفله منكم امرأة تطلب بذلك زيادة العدد فسيكون هذا المبارك المحمود لها فى طيب الغرس أفضل ولد.

قالت: فقلت له: لقد أصبت فيما وصفت الى حيث انتهيت، و قلت الحق عند ما شرحت، انا المرأة التى أكفله، زوجة عمّه الذى
يرجوه و يؤمله.

فقال لها: ان كنت صادقة فستلدين غلاما، رابع أربعة من أولادك شجاعا قمعاما عالما إماما مطواعا همّاما، بدينه قواما، لربّه مصليا صواما، غير خرق ولا نزق ولا أحييف ولا جنف، اسمه على ثلاثة أحرف، يلي هذا النبي في جميع أموره، و يواسيه في قليله و كثيره، يكون سيفه على أعدائه، و بابه الذي يؤتى منه الى أوليائه، يقصع في جهاده الكفّار قصعا، و يدع أهل النكث و الغدر و النفاق دعا، يفرّج عن وجه نبيّه الكربات، و تجلى به دياجر حندس الغمرات، أقربهم منه رحما، و أمسهم لحما، و أسخاهم كفّا، و أنداهم يدا، يصاهره على أفضل كريمة، و يقيه بنفسه في أوقات شدّته، تعجب من صبره ملائكة الحجاب إذا قهر أهل الشرک بالطعن و الضراب، يهاب صوته أطفال المهّاد، و ترعد

ص: ١٤١

من خيفته الفرائص يوم الجلال، مناقبه معروفة، و فضائله مشهورة، هزبر دفاع، شديد مناع، مقدام كرّار، مصدّق غير فرار، أحمش الساقين، غليظ الساعدين، عريض المنكبين، رحب الذراعين، شرفه الله بأمينه، و اختصه لدينه، و استودعه سرّه، و استحفظه علمه، عماد دينه، و مظهر شريعته، يصول على الملحين، و يغبط الله به المنافقين، ينال شرف الخيرات، و يبلغ معالي الدرجات، يجاهد بغير شكّ، و يؤمن من غير شرک، له بهذا الرسول وصلة منيعة، و منزلة رفيعة، يزوجه ابنته، و يكون من صلبه ذريته، يقوم بسنته، و يتولّى دفنه في حفرته، قائد جيشه، و الساقى من حوضه، و المهاجر معه عن وطنه البازل دونه دمه، سيصح لك ما ذكرت من دلّالته إذا رزقيته، و ترين ما قلته فيه عيانا كما صح لي دلائل محمّد المحمود بالله، ان ما وصفته من امرهما موجود مذكور في الأسفار و الزبور، و صحف إبراهيم و موسى، ثم أنشأ يقول:

لا تعجبي من مقالى سوف تختبرى	عما قليل ترين القول قد وضحا
أما النبي الذي قد كنت أذكره	فالله يعلم ما قولي له مزحا
ياؤوى الرشاد إليه مثل ما سكنت	أم الى ولد إذ صادفت نجحا
ثم المؤازر و الموصى إليه اذا	تتابع الصيد من أطرافه كلحا
فأحمد المصطفى يعطيه رايته	يحبوه بابنته يا خير ما منحا
بذاك أخبرنا فى الكتب اولنا	و الجن تسترق الأسماع متّضحا

قالت فاطمة: فجعلت أفكر فى قوله، فلما كان بعد ليال رأيت فى منامى كأن جبال الشام قد أقبلت تدبّ على عراقها، و عليها جلايب حديد و هى تصيح من صدورها بصوت مهول فأسرعت نحوها جبال مكّة و أجابتها بمثل صياحها و أهول و هى تنضح كالشرر المجرى، و جبل أبى قبيس ينتفض كالفرس المسربل بالعدّة و فصاله تسقط عن يمينه و شماله، و الناس يلتقطون تلك النصول، فلقطت معهم أربعة أسياف و بيضة حديد مذهبة، فأول ما دخلت مكّة سقط منها سيف فى ماء فعبّر، و طار الثانى فى الجو فانتمر و سقط الثالث الى الأرض فانكسر، و بقى الرابع فى يدى مسلولا، فبينما أنا به أصول إذ صار السيف شبلا أتبينه ثم صار ليثا مستأسدا فخرج عن يدى و مر نحو تلك الجبال

يجوب بلاطها، و يخرق صلاوحها، و الناس منه مشفقون، و من خوفه حذرون إذ أتاه محمد ابني فقبض على رقبتة، فانتقاد له كالظبية الألوف، فانتبهت و أنا مرتاعة، فعدوت على الحبر و الكاهن اللذين بشراني و وعداني و على ساير القافة و العافة بأن قصدت (أبا كرز) الكاهن و كان عارفا محذقا فوجدته قد نهض في حاجة له فجلست أرقبه و كان عنده (جميل) كاهن بنى تميم فكرهت حضوره و عملت على انتظار قيامه و انصرافه، فنظر جميل إليّ و ضحك ثم قال لي: أقسم بالأنواء و مظهر النعماء، و خالق الأرض و السماء، أنّك لتكرهين مثنوى و تحبين مسراى لتسألى (أبا كرز) عن الرؤيا، فينبئك بالأنباء، فقلت له: ان كنت صادقا فيما قلت من الهتف حين زجرت فنبئني بما استظهرت فأنشأ يقول:

رأيت أجبالا تلى أجبالا	و كلّها لابسة سربالا
مسرعة قد تبتغى القتالا	حتى رأيت بعضها تعالى
ينثر من جلبابه نصالا	أخذت منها أربعا طوالا
و بيضة تشتعل اشتعالا	فواحد في ثج ماء عال
و آخر في جوّها قد صالا	بذى طواف طار حين زالا
و ثالث قد صادف اختلالا	لما غدا منكسرا أو صالا
و رابع قد خلته هلالا	مقترح الزندين قد تلالا
ولت به صائلة ايغالا	حتى استحال بعدها انتقالا
أدرك في خلقته الاشبالا	ثم استوى مستأسدا صوالا
يخطف من سرعته الرجالا	فانسل في قيعانها انسلالا
يخرق منها الصعب و المحالا	و الناس يرهبون منه الحالا
حتى اتى ابن عمّه ارسالا	فتلّه بعنقه اتلالا
كظبية ما منعت غفالا	ثم انتبهت تحسبين خالا

قالت فاطمة: فقلت: صدقت و الله يا جميل و بررت في قولك، هكذا رأيت مما رأيت في الكرى فنبئني بتأويله. فأنشأ يقول:

أما النصول فهي صيد أربع	ذكور أولاد حكمتها الأسبع
و البيضة الوقداء بنت تتبع	كريمة غراء لا تروع
فصاحب الماء غريب مفتقد	في لجة ترمى بأصناف الزبد
و الطائر الأجنح ذو الغرب الزغب	تقتله في الحرب عبّاد الصلب
و الثالث المكسور ميت قد دفن	ينزل عقبا بعده طول الزمن
و الرابع الصائل كالليث المرح	يرفل في عراضها و يقترح
فذاك للخلق امام منتصح	إذا بغاه كافر جهرا ذبح
و ان لقاءه بطل عنه جنح	حتى تراهم من صياصيههم بطح
فاستشعري البشرى فروياك تصحّ	

قالت فاطمة فما زلت مفكّرة في ذلك و تتابع حملى و ولادتي لأولادى.

فلما كان فى الشهر الذى ولدت فيه عليّا رأيت فى منامى كأن عمودا حديدا انتزع من أمّ رأسى ثم شع فى الهواء حتى بلغ عنان السماء ثم رد إلىّ فمكث ساعة فانتزع من قدمى فقلت: ما هذا؟ فقليل: هذا قاتل أهل الكفر، و صاحب ميثاق النصر، بأسه شديد تجزع من خيفته الجنود، و هو معونة الله لنبيّه و مؤيده به على أعدائه، بحبه فاز الفائزون، و سعد السعداء، و هو ممثل فى السماء المرفوعة و الأرض الموضوعة و الجبال المنصوبة، و البحار الزاخرة و النجوم الزاهرة، و الشموس الصاحية، و الملائكة المسبّحة، ثم هتف بى هاتف يقول:

جال الصباح لدى البطحاء إذ شملت	(سودا) بذى خدم فرش المراقيل
من دلج هام جراثيم جحاجة	من كلّ مدرع بالحلم رعبيل
من الجهاضم إذ فاقت قماقمها	دون السحاب على جنح الاثاكيل
يا أهل مكّة لا تشقى جدودكم	و أبشروا ليس صدق القيل كالقيل
فقد أتت سود بالميمون فانتحجوا	واجفوا الشكوك و اضغات الأباطيل

من خازن النور فى أبناء مسكنه

من صلب آدم فى نكب الضماحيل

أنا نعرفه فى الكتب متصلا

بشرح ذى جدل بالحق حصليل

ص: ١٤٤

قال فولد على عليه السلام و لرسول الله صلى الله عليه و آله ثلاثون سنة فأحبّه رسول الله صلى الله عليه و آله حبّا شديدا.

و قال لفاطمة امّّه: اجعللى مهد على بجنب فراشى، و كان صلى الله عليه و آله يلى تربيته و يوجره اللبن فى ساعة رضاعه و يحركّ مهده عند نومه و يناغيه فى يقظته، و يحمله على صدره تارة و على عاتقه اخرى و يتكتّفه و يقول: هذا أخى و وليى و ناصرى و صفى و وصى و ذخيرتى و كهفى و صهرى و زوج كريمتى و أمينى على وصيتى. و كان يحمله و يطوف به جبال مكّة و شعابها و أوديتها و فجاجها.

فلما تزوّج صلى الله عليه و آله خديجة بنت خويلد علمت بوجوده بعلى عليه السلام فكانت تستزيّره و تزيّنه بفاجر الثياب و الجوهر و ترسل معه و لا يدها، فيقلن: هذا أخو محمّد و أحبّ الخلق إليه و قرّة عين خديجة و من ينزل السكينة عليه.

على ربيب الرسول

و كانت أطفاف خديجة و هداياها الى منزل أبى طالب متصلة حتى أصابت قريشا أزمة شديدة، و سنة معصوبة، و كان أبو طالب رجلا جوادا معطاء سمحا فقل ماله و كثر عياله و أجحفت السنة بحاله.

فدعا رسول الله صلى الله عليه و آله عمّه العباس و كان أيسر بنى هاشم فى وقته و زمانه فقال له: يا عم ان أخاك كثير العيال متضعع الحال و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، و ذوو الأرحام أحقّ بالرّفد و أولى من حمل عنهم الكلّ، فانطلق بنا إليه لنحمل من كلّ و نخفف من عيلته فيأخذ بعض ببنيه و نأخذ البعض.

فقال له العباس: نعم ما رأيت يا بن أخ و على الصواب أتيت هذا و الله التيقظ على الكرم و العطف على الرحم.

فمضيا الى أبى طالب فأجملا مخاطبته و قالوا له: ان لك سوابق محمودة و مناقب غير مجحودة و أنت صنو الأباة الانجاد و قد جمع لك العرف فى قرن فهو إليك منقاد، و لسنا نبليغ صفاتك، و قد أضلت هذه السنة الغبراء، و عيالك كثير و لا بد أن نخفّف عنك بعضهم

ص: ١٤٥

حتى ينكشف ما فيه الناس من هذا القمطير.

فقال أبو طالب: اذا تركتما لى عقيلا و طالبا فشأنكما الا صاغر.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه و آله عليّا و أخذ العباس جعفرا عليه السّلام.

فتولّى رسول الله صلى الله عليه و آله منذ ذلك الوقت تربية أمير المؤمنين عليه السّلام و تغذيته و تعليمه بنفسه.

و كان يصلّى معه قبل أن تظهر نبوّته بسنتين ثم كان من قصّته وقت إظهار النبوة الى وقت مضى رسول الله صلى الله عليه و آله و من أمر غدير خم و غيره ما هو مشهور و قد روى و قص به و ذكرنا بعضه.

و قام بأمر الله جل و علا و سنه خمس و ثلاثون سنة و اتبعه المؤمنون و قعد عنه المنافقون، و نصبوا للملك و أمر الدّنيا رجلا اختاروه لأنفسهم دون من اختاره الله - جلّ و عز - و رسول الله صلى الله عليه و آله.

فى الحوادث التى اعقبت وفاة النبى [ص]

فروى ان العباس رضى الله عنه صار الى أمير المؤمنين عليه السّلام و قد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله فقال له:

امد يدك ابايحك.

فقال: و من يطلب هذا الأمر و من يصلح له غيرنا.

و صار إليه ناس من المسلمين فيهم الزبير و أبو سفيان صخر بن حرب، فأبى.

و اختلف المهاجرون و الأنصار فقالت الأنصار: منّا أمير و منكم أمير.

فقال قوم من المهاجرين: سمعنا رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: الخلافة فى قريش.

فسلّمت الأنصار لقريش بعد أن ديس سعد بن عبادة و وطئوا بطنه.

و بايع عمر بن الخطاب أبا بكر و صفق على يديه ثم بايعه قوم ممّن قدم المدينة ذلك الوقت من الأعراب و المؤلفة قلوبهم، و تابعهم على ذلك غيرهم.

و اتصل الخبر بأمر المؤمنين عليه السّلام بعد فراغه من غسل رسول الله صلى الله عليه و آله و تحنيطه و تكفينه و تجهيزه و دفنه بعد الصلاة عليه مع من حضر من بنى هاشم و قوم من صحابته

مثل سلمان و أبي ذر و المقداد و عمار و حذيفة و أبي بن كعب و جماعة نحو أربعين رجلا فقام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«ان كانت الإمامة في قريش فأنا أحقّ قريش بها و ان لا تكن في قريش فالأنصار على دعواهم».

ثم اعتزلهم و دخل بيته فأقام فيه و من اتبعه من المسلمين و قال:

ان لي في خمسة من النبيين اسوة: نوح إذ قال اني مغلوب فانتصر، و إبراهيم إذ قال:

و اعتزلكم و ما تدعون من دون الله، و لوطا إذ قال: لو ان لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد، و موسى إذ قال: ففررت منكم لما خفتكم، و هارون إذ قال: ان القوم استضعفوني و كادوا يقتلونى.

ثم الف عليه السلام القرآن و خرج الى الناس و قد حمله فى ازار معه و هو يئط من تحته فقال لهم: هذا كتاب الله فد الفته كما أمرنى و أوصانى رسول الله صلى الله عليه و آله كما انزل.

فقال له بعضهم: اتركه و امض.

فقال لهم: ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال لكم: اني مخلف فيكم الثقيلين، كتاب الله و عترتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض فان قبلتموه فاقبلونى معه، أحكم بينكم بما فيه من أحكام الله.

فقالوا: لا حاجة لنا فيه و لا فيك، فانصرف به معك لا تفارقه و لا يفارقتك.

فانصرف عنهم فأقام أمير المؤمنين عليه السلام و من معه من شيعته فى منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه و آله فوجهوا الى منزله فهجموا عليه، و أحرقوا بابه، و استخرجوه منه كرها، و ضغطوا سيّدة النساء بالباب حتى اسقطت (محسنا) و أخذوه بالبيعة فامتنع و قال: لا أفعل.

فقالوا: تقتلك.

فقال: ان تقتلونى فانى عبد الله و أخو رسوله.

و بسطوا يده فقبضها، و عسر عليهم فتحها، فمسحوا عليها و هى مضمومة.

ثم لقي أمير المؤمنين عليه السلام بعد هذا الفعل بأيام أحد القوم فناشده الله و ذكره بأيام الله

و قال له: هل لك ان أجمع بينك و بين رسول الله صلى الله عليه و آله حتى يأمرک و ينهاک؟.

فقال له: نعم!.

فخرجوا الى مسجد (قبا) فأراه رسول الله صلى الله عليه و آله قاعدا فيه فقال له: يا (فلان) على هذا عاهدتموني به فى (تسليم الأمر الى على و هو أمير المؤمنين).

فرجع و قد همّ بتسليم الأمر إليه، فمنعه صاحبه من ذلك، فقال: هذا سحر مبين معروف من سحر بنى هاشم، أو ما تذكر يوم كنّا مع ابن أبى كبشة فأمر شجرتين فالتقتا ففضى حاجته خلفهما، ثم أمرهما فتفرقتا، و عادتا الى حالهما؟.

فقال له: اما ان ذكرتنى هذا فقد كنت معه فى الكهف فمسح يده على وجهى ثم أهوى رجله فأرانى البحر ثم أرانى جعفرا و أصحابه فى سفينته تقوم فى البحر.

فرجع عما كان عازم عليه، و همّوا بقتل أمير المؤمنين عليه السّلام و تواصلوا و تواعدوا بذلك و ان يتولى قتله خالد بن الوليد فبعثت (اسماء بنت عميس) الى أمير المؤمنين عليه السّلام بجارية لها فأخذت بعضادتى الباب و نادت: ان الملاء يأترون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين.

فخرج عليه السّلام مشتملا سيفه و كان الوعد فى قتله: ينتهى امامهم من صلاته بالتسليم فيقوم خالد إليه بسيفه.

فأحسوا بأسه فقال الإمام قبل أن يسلم: لا يفعلن خالد ما أمرته به.

ثم كان من أقاصيصهم ما رواه الناس.

و فى سنتين و ثلاثة أشهر و عشرة أيام من إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام مات (ابن أبى قحافة) و هو عتيق بن عثمان و أوصى بالأمر بعده الى عمر بن الخطاب لعهد كان بينهما، و اعتزله أمير المؤمنين عليه السّلام كاعتزاله لصاحبه قبله، لا يأمر إلّا بما لم يجد من الأمر به بدا، و لا ينهى إلّا عما لم يجد من النهى عنه بدا، و هم فى خلال ذلك يسألونه و يستفتونه فى حلالهم و حرامهم و فى تأويل الكتاب و فصل الخطاب.

و بعد اثنتى عشرة سنة و ثلاثة أشهر و أيام من إمامة أمير المؤمنين قتل أبو لؤلؤة مولى المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب بخنجر جرحه به، و كان الخنجر مسموما فمكث ثلاثة

ص: ١٤٨

أيام ثم مات، و جعل الخلافة بعده شورى بين ستة و قال: هؤلاء أحقّ الناس بالخلافة، و لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيّا ما اختلجنى فيه الشكوك ان أقلّده هذا الأمر بعدى.

و جعل أمير المؤمنين عليه السلام فى الشورى آخر الستة منهم و بدا فسمّى عثمان بن عفان و أشار إليه و عرض بتوليّه الأمر بعده ثم طلحة بن عبيد الله التيمى و الزبير بن العوام الأسدى و عبد الرحمن بن عوف الزهرى و سعد بن أبى وقاص ثم على بن أبى طالب الهاشمى بعدهم فى وصيته، و أمر صهييا أن يصلّى بالناس الى أن يستقرّ أمر القوم فى الشورى فان اختلف الستة قتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن و نصب الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف من يتفقون عليه، و ان انقضت ثلاثة أيام و لم يقع الاختيار و الاتفاق على أحدهم قتل الستة بأجمعهم.

فصلّى صهييب - و روى عبد الرحمن بن عوف - بالناس ثلاثة أيام ثم وقع اختيار عبد الرحمن بن عوف على عثمان فقلّده الأمر، و لم يجد عبد الرحمن عنده ما قدره مع المواخاة و الصهر الذى كان بينهما فأظهر الندامة و الأسى على فعله و اختياره و صار أحد من يؤلب عليه الناس. و اعتزلهم أمير المؤمنين عليه السلام.

و كان من حديث عثمان ما رواه الناس من ايوائه طريد رسول الله الحكيم بن العاص و مروان ابنه و أنّه استوزر مروان و رد أموره و النظر فى أعماله و أحكام المسلمين إليه و نفيه أباً ذر جندب بن جنادة بعد أن وجر حلقة و ضرب ظهره و حمل على قتب يابس الى الربرة حتى مات فيها.

و قد روى الناس ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله فيه و وصفه له بالصدق و شهادته له بالجنة.

ثم اجتمع المهاجرون و الأنصار على محاصرة عثمان و الهجوم عليه حتى قتلوه، و ذلك فى أربع و عشرين سنة من إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم صار الناس الى أمير المؤمنين ليبياعوه، فامتنع عليهم، فألحوا عليه حتى أكرهوه و تداكوا عليه تداك الإبل على الماء، فبايعهم على كتاب الله و سنّة نبيّه طائعين راغبين.

فلما بايعوه قام خطيباً فى الناس فحمد الله و أثنى عليه و ذكرهم بأيام الله ثم قال: يا

ص: ١٤٩

أيها الناس أن أوّل قتيل بغى على وجه الأرض عناق بنت آدم خلق الله لها عشرين اصبعاً لكل اصبع فيها ظفران كالمنجلين الطويلين من حديد و كان مجلسها على جريب من الأرض فبغت فى الأرض ثمانين سنة فلما أراد الله هلاكها خلق لها أسداً مثل الفيل و ذئباً مثل الحمار الكبير و نسراً مثل البعير فسأطهم عليها فمزقوها فقتلوها و أكلوها ثم قتل الله الجبابرة فى زمانها، و قد اهلك الله فرعون و هامان و خسف بقارون و قد قتل عثمان و كان لى حق حازه من لم آمنه عليه و لم اشركه فيه فهو منه على شفا حفرة من النار لا يستنفذه منها إلّا نبى مرسل يتوب على يديه و لا نبى بعد محمد صلى الله عليه و آله.

ثم قال: أيها الناس! الدّنيا دار حق و باطل و لكل أهل. ألا و لئن غلب الباطل فقديماً كان، و لئن قلّ الحق و ضعف صاحبه فليس بما عاد، و لئن رد عليكم أمركم أنكم لسعداء و لقد خشيت أن تكونوا فى فترة من الزمن اما انى لو أشاء أن أقول لقلت سبق الرجلان و قام الثالث كالغراب همّته بطنه، يا ويحه لو قص جناحه و قطع رأسه كان خيراً له، شغل عن الجنة و النار امامه.

ثم قال بعد كلام طويل فى هذه الخطبة:

ان الله جل و علا أدب هذه الامّة بالسيف و السوط فاستتروا ببيوتكم و أصلحوا ذات بينكم فان التوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحق هلك، ألا و ان كلّ قطيعة أقطعها عثمان - أو قال أعطاه - من مال الله فهو مردود على بيت مال المسلمين فان الحقّ قديم لا يبطله شيء و لو وجدته تفرّق فى البلدان لرددته فان فى الحقّ سعة، و من ضاق عنه الحقّ فالجور عنه أضيق، أقول قولى هذا و استغفر الله لى و لكم.

ثم استأذنه طلحة و الزبير فى الخروج الى مكّة و كانا أوّل من بايعه و مدا يده و صفقا عليها و مسحها فاذن لهما و حذرهما النكت و الغدر و جدّد عليهما بيعته و ذكرهما ما سمعاه من قول رسول الله صلّى الله عليه و آله لهما و له بحضرتهما: أنّك تقاتل بعدى الناكثين و القاسطين و المارقين.

و قد روى فى قتالهم ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه و آله رواه الخاص و العام و لا يدفع ذلك إلّا معاند، فخرجا الى مكّة فآلبا عليه الناس و أخرجوا عائشة الى البصرة و قد

ص: ١٥٠

أنذرها رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّها تقاتله ظالمة له و بكلاب الحوآب إذا نبحت فى طريقها و ما رواه الناس فى ذلك.

فدخلوا البصرة و نهىوا ما فى بيت مال المسلمين و ضربوا جماعة من أصحابه بالسوط حتى ماتوا فنهض إليهم يذكّرهم بأيام الله فأبوا إلّا طغيانا و بغيا فوعظهم و جاهدهم بلسانه فلم يرجعوا و لا اتّعظوا بوعظه و أقاموا على محاربتة فأظهره الله عليهم و أظفره بهم و قتل طلحة مروان بن الحكم و كان معه فى صحابته و رجاله و اتبع الزبير به ابن جرموز ممّن خرج بعد ذلك على أمير المؤمنين من الخوارج و قتله أمير المؤمنين عليه السّلام فيمن قتل منهم و لذلك بشره بالنار لما أتاه بخبر الزبير و أنّه قتله بوادى السباع فتولى قتلهما من كان معهما و مع عائشة و كانوا سبعين ألف رجل و كانت عائشة على جمل أورق يقال له عسكر فأمر به أمير المؤمنين عليه السّلام فعرقب فقام على ثلاث فعرقب الثانى من رجلية فقام على يديه فعرقب فقام على يد واحدة فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: شيطان و ربّ الكعبة، فقطع الرابع فسقط و اليهودج على ظهره و ظفر بعائشة.

فقال له ناس من أصحابه فيها ما لم يقبله و خطأهم و وكلّ بها نساء متلثمات أركبهن الخيل و ردّها معهن الى المدينة.

و انتقضت حرب الناكثين و الحمد لله ربّ العالمين.

و خرج عليه معاوية بن أبى سفيان رأس القاسطين فنهض إليه فذكره بأيام الله فأبى إلّا نفورا أو بغيا و عدوانا فحاربه و قتل من أصحابه مقتلة عظيمة.

فلما رأى معاوية أنّه قد أخذ بكظمه شاور عمرو بن العاص فأشار عليه بمكيدة ان يرفع له المصاحف فرفعها إليه على رءوس الرماح فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: انها مكيدة و كلمة حق أريد بها باطل.

ثم كان من الأمر ما رواه الناس و حكم أمير المؤمنين عليه السلام كتاب الله دون غيره فخالف أبو موسى الأشعري وصيته و أمره و فعل و عمرو بن العاص ما فعلاه.

و انصرف أمير المؤمنين ليعد و ليستعد و يرجع لقتال معاوية و من معه من القاسطين فخالف عليه أصحابه أهل العراق و خرجت الخارجة المارقة الذين مرقوا من الدين كما

ص: ١٥١

مرق السهم من الرمية فحاربهم بالنهروان فقتل منهم أربعة آلاف لم ينج منهم إلّا أربعة نفر وقعوا على أطراف الأرض و تناسلوا فالخارجة الى يوم القيامة من نسل أولئك الأربعة.

فانصرف الى الكوفة ليعاود الى قتال معاوية فكان من أمره مما رواه الناس.

معجزات على

و روى عن العالم عليه السلام أنّه قال: الاسم الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا اعطى جميع الأنبياء منه خمسة عشر حرفا و اعطى محمد صلى الله عليه و آله اثنين و سبعين حرفا و أعطى أمير المؤمنين عليه السلام ما اعطى رسول الله صلى الله عليه و آله.

و روى ان أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد ان حمد الله و أثنى عليه: و علمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء ان هذا هو الفضل العظيم.

و روى ان بعض أصحابه أتاه فقال يا أمير المؤمنين عليه السلام: قد نشق الفرات من الزيادة فقام حتى توسط الجسر ثم ضربه بعصاه ضربة فنقص ذراعين ثم ضربه ضربة اخرى فنقص ذراعين.

و روى ان جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله أتوه فقالوا له: يا رسول الله ان الله اتخذ إبراهيم خليلا و كلم موسى تكليما و كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى فما صنع بك ربك؟.

فقال: ان كان الله اتخذ إبراهيم خليلا فقد اتخذني حبيبيا، و ان كان كلم موسى من وراء حجاب فقد رأيت جلال ربّي و كلمني مشافهة، و ان كان عيسى الموتى باذن الله فان شئتم أحييت لكم موتاكم باذن الله.

فقالوا: قد شئنا.

فأرسل معهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن رداه بردائه الذي كان يقال له المستجاب ثم أخذ طرفيه فجعلهما على كتفيه و رأسه و أمره أن يقدمهم الى قبور موتاهم و أمرهم باتباعه.

فاتبعوه فلما توسط الجبانة سلم على أهل القبور و دعا و تكلم بكلام لم يسمعه القوم

ص: ١٥٢

فاضطربت الأرض و ارتجّت فدخلهم من ذلك زعر شديد فقالوا: اقلنا يا أبا الحسن أقالك الله.

و رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا له: اقلنا.

فقال لهم: انما رددتم على الله لا أقالكم الله عشرتكم يوم القيامة.

و روى عن أبي اسحاق السبيعي قال: دخلت مسجد الكوفة فاذا أنا بشيخ لا أعرفه و دموعه تسيل على خديه فقلت له: ما يبكيك يا شيخ؟.

قال: أنه قد أتت على مائة سنة و نيف على المائة لم أرفيها عدلا و لا حقاً إلا ساعة من ليلة أو الا ساعة من يوم.

فقلت: و كيف ذلك؟.

فقال: اني كنت رجلا من اليهود و كانت لى ضيعة بناحية (سورا) فدخلت الكوفة بطعام على حمير أريد بيعه بها فبينما أنا أسوق الحمير إذ افتقدتها فكأن الأرض ابتلعته فأتيت منزل الحرث الهمداني و كان لى صديقا فشكوت إليه ما أصابنى فأخذ بيدي و مضى بى الى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته الخبر فقال للحرث: انصرف يا حارث الى منزلك فانى الضامن للحمير و الطعام، و أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بى فمضى حتى انتهى الى الموضع الذى فقدت فيه الحمير فوجه وجهه القبلة و رفع يده الى السماء ثم سجد و سمعته يقول فى سجوده: و الله ما على هذا عاهدتمونى و بايعتمونى يا معشر الجن و أيم الله لئن لم تردوا على اليهودى حميره و طعامه لأنقضن عهديكم و لأجاهدنكم فى الله حق جهاده.

قال اليهودى: فو الله ما فرغ من كلامه حتى رأيت الحمير عليها الطعام تجول حولى فتقدم إلى يسوقها فسقتها معه حتى انتهينا الى الرحبة فقال: يا يهودى عليك بقية من الليل فضع عن حميرك حتى تصبح.

فوضعت عنها.

ثم قال لى: ليس عليك بأس.

و دخل المسجد فلما فرغ من صلاته و بزغت الشمس خرج إلى فعاوننى على الطعام

ص: ١٥٣

حتى بعته و استوفيت ثمنه و قضيت حوائجى.

فلما فرغت لقيته و قلت: أشهد ان لا إله إلا الله و أشهد ان محمدا رسول الله و أشهد أنك هذه الامة و خليفة الله على الجنّ و الإنس فجزاك الله عن الاسلام و أهله و الذمة و أهلها خيرا.

ثم انطلقت حتى أتيت ضيعتي فأقمت بها مدّة ثم اشتقت الى لقائه فقدمت الآن فوجدته قد قتل، فجلست حيث ترانى أبكى عليه.

و روى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان على منبر الكوفة يخطب الناس إذ أقبلت حيّة من باب الفيل فقال: افرجوا لها فان هذا رسول قوم من الجنّ يقال لهم بنو عامر.

فافرجوا و جاءت الحية حتى صعدت الى أمير المؤمنين عليه السلام فوضعت فاها فى اذنه و هى تنق فكلّمها مثل نقيقها و ولّت خارجة من حيث دخلت.

فنزل عليه السلام بعد فراغه من خطبته فأخبر الناس: ان قتالا وقع بين قوم من الجن فأنت هذه الحية تسأله عمّا يصلح بينهم فعلمها.

و روى أن تلك الحية كانت وصى أمير المؤمنين عليه السلام على الجن.

رد الشمس للامام على عليه السلام

و روى أن أمير المؤمنين عليه السلام مر بأرض بابل و قد غابت الشمس و اشتبكت النجوم فنزل و جثا على ركبتيه و دعا ما شاء الله أن يدعو، فرجعت الشمس بيضاء نقية حتى صلى العصر ثم انقضت كما ينقض الكوكب حتى غابت و عاد الظلام.

و قد روى انما ردّت عليه فى حياة السيد رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة و كان رسول الله صلى الله عليه و آله موعوكا فوضع رأسه فى حجره و حضر وقت العصر فلم يزل من موضعه حتى انتبه فقال صلى الله عليه و آله: اللهم ان كان عليّا فى طاعتك فرد عليه الشمس.

فردّها الله عز و جل بيضاء نقية حتى صلى ثم غربت.

ص: ١٥٤

كراماته الاخرى عليه السلام

و روى أنّه خرج على أصحابه بعد عشاء الآخرة فى ليلة مظلمة و هو يهمهم همهمة لا تدرى و عليه قميص آدم و بيده عصا موسى و خاتم سليمان عليهم السلام.

و روى أنه اجتاز في طريقه الى الشام «بيادوريا» فخرج أهل قرية منها يقال لها «قطفتا» فشكوا إليه ثقل الوضائع في الخراج و انها مخالفة لسائر و ضائع السواد بالعراق فقال لهم بالنبطية «و غرار و طاهوا غررنا» يعنى رب جحش صغير خير من حمار كبير.

فكانوا كلّموه بالنبطية فأجابهم بكلامهم، ثم قال لهم: أنتم تبيعون ثماركم بضعف ما يبيعها غيركم من أهل السواد.

و روى أنه كان اذا جلس للناس فوقف الرجل بين يديه قال له: اقعد و استعد و أعد لنفسك فأنت تموت فى يوم كذا و سنة كذا و سبب مرضك كذا.

و روى عن الحرث الهمدانى قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السّلام حتى انتهينا الى «العاقول» فاذا هو بأصل شجرة قد وقع لحاؤها و بقى عودها فضربها بيده ثم قال:

ارجعى باذن الله خضراء مثمرة فاذا هى تهتزّ بأغصانها حملها الكمثرى فأكلنا و حملنا معنا.

و روى أنه قال فى خطبة له بعد حمد الله و الثناء عليه: أنه يموت منّا من مات و ليس بميت و يبقى من بقى منا حجة عليكم.

و روى أنه قال لأصحابه: اعرضوا علىّ مسائلكم فكان ممّا سألوه عن صياح البهائم من الوحش و الطير و الدّواب. فقال: أما الدراج فأنه يقول «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» و أما الديك فأنه يقول «اذكروا الله يا غافلين» و اما الحمار فيلعن العشارين و ينهق فى وجه الشياطين، و أما الضفدع فأنه يقول «سبحان المعبود بكلّ مكان .. سبحان المعبود فى لجج البحار .. سبحان المسبّح بكلّ لسان»، و اما القنبرة فأنها تقول «اللهم العن مبغضى آل محمد»، و أما الفرس فأنه يقول «سُبُّوح قُدُّوس رَبّ الملائكة و الروح»، و أما الورشان فيقول «آل محمد خير البرية»، و أما القمري فيقول «جزى الله محبى آل محمد خيرا».

ص: ١٥٥

شهادة الامام على عليه السّلام

و كان من حديث الضربة و ابن ملجم (لعنه الله) ما روى. و كانت الضربة لتسع ليال بقين من شهر رمضان سنة إحدى و أربعين من الهجرة. و روى أن الناس اجتمعوا حوله و ان أم كلثوم صاحت «وا أبتاه» فقال عمرو بن الحمق: ليس على أمير المؤمنين بأس، إنّما هو خدش. فقال عليه السّلام انّى مفارقكم. ثم قال الى السبعين بلاء، حتى قالها ثلاث مرّات.

قال له عمرو بن الحمق: فهل بعد البلاء رخاء؟. فلم يجبه.

و روى عن العالم عليه السّلام ان معنى قوله «الى السبعين بلاء» ان الله - جلّ و عزّ - وقّت للفرج سنة سبعين. فلما قتل الحسين عليه السّلام غضب الله على أهل ذلك الزمان فأخّره الى حين.

و روى أن أم كلثوم بكت، فقال لها: يا بنية ما يبكيك؟ لو ترين ما أرى ما بكيت! ان ملائكة السبع سماوات مواكب؛ بعضهم خلف بعض، و النبيون خلفهم؛ كل نبي كان قبل محمد، و ها هو ذا رسول الله صلى الله عليه و آله عندي أخذ بيدي يقول لى انطلق يا على فان أمامك خيرا لك مما أنت فيه.

ثم قال: اخلونى و أهل بيتى أعهد إليهم.

فقام الناس إلّا اليسير، فجمع أهل بيته و هم اثنا عشر ذكرا و بقى قوم من شيعته، فحمد الله و أثنى عليه و قال: ان الله تبارك و تعالى أحب أن يجعل فى سنة نبيه يعقوب إذ جمع بنيه و هم اثنا عشر ذكرا فقال «انى أوصى الى يوسف فاسمعوا له و أطيعوا أمره» و انى أوصى الى الحسن و الحسين فاسمعوا لهما و أطيعوا أمرهما.

فقام إليه عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين أدون محمد - يعنى ابن الحنفية - فقال له:

أجرأة فى حياتى، كائن بك و قد وجدت مذبحا فى خيمته.

و أوصى الى الحسن و سلم إليه الاسم الأعظم و النور و الحكمة و مواريث الأنبياء و قال له: إذا أنا مت فغسلنى و كفنى و حنطنى و أدخلنى قبرى، فإذا أشرجت على اللبن فارفع أول لبنة فاطلبنى؛ فإنك لن ترانى.

ص: ١٥٦

و قبض عليه السلام فى ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر رمضان فكان عمره خمسا و ستين سنة (و روى ثلاثا و ستين سنة) منها مع النبي و خمس و ثلاثون سنة، و بعده ثلاثون سنة. و دفن بظاهر الكوفة بالغرى.

و قد روى الناس بما أوصى به الى الحسن عليه السلام أن يحمل هو و أخوه الحسين عليه السلام مقدم الجنازة فاذا وقفت الجنازة حفر فى ذلك الموضع فأنهما يجدان خشبة كان نوح عليه السلام حفرها له فدفناه فيها.

و روى أن الجنازة حملت الى مسجد السهلة و وجدت ناقه باركة هناك فحمل عليها و أقاموها و تبعوها فلما وقفت بالغرى و بركت حفر فى ذلك المكان فوجد الخشبة المحفورة فدفن فيها حسب ما أوصى، و ان آدم و نوحا و أمير المؤمنين عليهم السلام فى قبر واحد.

و كان حمله و دفنه ليلا؛ لم يتول أمره فى ذلك سوى الحسن و الحسين عليهما السلام.

و روى أنه لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله) و حمل الى منزله، اجتمع إليه الناس، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: كل امرئ ملاق ما يفر منه، و الأجل تساق إليه النفس، و الهرب منه موافاته. كم اطردت الأيام أبحتها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله - جل ذكره - إلّا اخفاءه.

هيهات .. علم مكنون. أمّا وصيتي لكم فاللّٰه - جل و تعالى - لا تشركوا به شيئاً و محمّداً صلّى اللّٰه عليه و آله لا تضيّعوا سنته. أقيموا هذين العمودين و خلاكم ذم ما لم تشرّدوا كل امرئ مجهوده، و خفف عن الجهلة ربّ رحيم، و دين قويم، و امام عليهم، كنار في أعصار و دوى رياح تحت ظلّ غمامة اضمحل راكدها، فحطّ لها من الأرض حبا جاوركم بعدى خيرها ساكنة بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدى و خفرت أطوافي أنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، ودّعنتكم وداع امرئ مرصد للتلاق، غدا تروى آثارى، و يكشف لكم عن سرائري، عليكم السلام الى يوم اللزائم، كنت بالأمس صاحبكم، و أنا اليوم عظة لكم. و غدا مفارقكم. ان أبق فأنا وليّ دمي، و ان أفن فالقيامة ميعادى و العفو أقرب للتقوى فاعفوا عفا اللّٰه عنى و عنكم، أ لا تحبون أن يغفر اللّٰه لكم و اللّٰه غفور رحيم!

و روى أنّه لما قتل لم يبق حول بيت المقدس حجر إلّا دمي.

و روى ان ابن عباس قال فى صبيحة اليوم الذى قتل فيه أمير المؤمنين عليه السّلام: انى

ص: ١٥٧

رأيت البارحة فى منامى كأن جبل أبى قبيس قد انهدّ و تقطّع و سقط حوالى الكعبة و اظلمّت الكعبة و مكّة و ما حولهما من غبار الجبل حتى لم ير الناس بعضهم بعضا.

قال: فقلت: انا لله و أنا إليه راجعون. ما أخوفنى أن يكون ذلك لشىء قد نال أمير المؤمنين عليه السّلام.

قال فورد الخبر بقتله فى تلك الليلة التى رأيت فيها هذه الرؤيا.

و روى أن الحسن قام خطيباً بعد دفنه، فعلا منبر الكوفة و عليه عمامة سوداء مسدولة و طيلسان أسود، فحمد اللّٰه و أثنى عليه ثم قال: أنّه و اللّٰه قد قبض فى هذه الليلة رجل، ما سبقه الأولون، و لا يدركه الآخرون، ان كان لصاحب راية رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله، جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، لا ينثنى حتى يفتح اللّٰه على يديه، و اللّٰه ما ترك بيضاء و لا حمراء إلّا سبعمائة درهم من فضل عطائه، و لقد قبض فى الليلة التى نزل فيها القرآن، و فى الليلة التى قبض فيها يوشع بن نون، و فى الليلة التى رفع فيها عيسى بن مريم عليه السّلام.

الحسن السبط عليه السّلام

و قام أبو محمد الحسن بن على عليه السّلام مقامه صلوات اللّٰه عليه.

ولدت سيّدة النساء فاطمة (صلوات اللّٰه عليها) بعد مبعث السيد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله بخمس سنين، فأقامت بمكّة مع النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله ثمانى سنين، و بالمدينة عشر سنين و شهوراً. و ولدت أبا محمّد و سنّها احدى عشر سنة بعد الهجرة بثلاث سنين، و كانت ولادته مثل ولادة جدّه و أبيه، و ولد طاهراً مطهّراً، و ربّاه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و تولّى تعليمه و تلقينه و تأديبه بنفسه. و مضى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و له سبع سنين و أشهر، و أقام مع أمير المؤمنين عليه السّلام

ثلاثين سنة، و كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فى خلال ذلك يشير إليه و ينصّ عليه بآى من القرآن و الأحاديث. فلما حضرت وفاته دعاه و دعا بأبى عبد الله و بجميع أولاده و ثقات شيعته و سلّم إليه الوصيّة التى تسلمها من رسول الله صلى الله عليه و آله و أوصى بما أراد و احتاج.

و أمره بغسله و تكفينه و دفنه و قال له فى رفع اللبى عند ما ذكرناه ففعل عليه السّلام ما أمره به.

و روى أن أبا عبد الله الجدلى كان فيمن حضر الوصيّة بالدفن فسأل أبا محمّد عن رفع

ص: ١٥٨

اللبنة فقال: يا سبحان الله أ ترانى كنت أغفل عن هذا!

فقال له: فوجدته فى القبر؟

فقال: لا و الله.

ثم قال عليه السّلام: ما من نبى يموت فى المغرب، و يموت وصيّ فى المشرق إلّا جمع الله بينهما فى ساعة واحدة.

و قام أبو محمّد بأمر الله - جل و علا - و اتّبعه المؤمنون و أتاه الناس فبايعوه و قالوا له:

يا ابن رسول الله نحن السامعون المطيعون لك.

قال: كذبتّم فو الله ما وفيتّم لمن كان خيرا منّى، فكيف تفون لى و كيف أطمئن إليكم إن كنتم صادقين، فموعدنا بينى و بينكم المعسكر فى المدائن.

فركب، و تخلف عنه أكثر الناس، فقام خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه و ذكرهم بأيام الله ثم قال: يا أيها الناس قد غررتمونى كما غررتم من كان قبلى، فلا جزاكم الله عن رسول الله و أهل بيته خيرا. مع أى إمام تقاتلون بعدى، مع الظالم الكافر الزنديق الذى لم يؤمن بالله و برسوله قط، و لا أظهر الإسلام و من تقدّمه من الشجرة الملعونة فى كتاب الله بنى أمية إلّا خوفا من سيوف الحق. و لو لم يبق منهم إلّا عجوز درداء لبغت لدين الله الغوائل.

ثم نزل و وجّه برجل من كندة فى أربعة آلاف على مقدّمته لحرب معاوية، و أمره أن يعسكر بالأنبار و لا يحدث شيئا حتى يأتيه أمره.

فلما نزل الكندى الأنبار، بعث إليه معاوية رسولا يعده و يمنيّه و يبذل له الرغائب من المال و حطام الدّنيا و ان يولّيه من أعمال الشام و الجزيرة ما يختاره و يسوقه مال ما يقلّده، و حمل إليه خمسين ألف درهم صلة له و معونة على سفره، فقبض عدو الله الكندى المال و مضى الى معاوية.

فقام أبو محمد عليه السلام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس هذا فلان الكندى قدمته بين يدي الله لمحاربة عدو الله و ابن آكلة الأكباد فبعث إليه بمال و وعده و مناه حطام الدنيا و متاعها فباع دينه و آخرته بدنياه زائلة غير باقية و قد توجه إليه، و قد

ص: ١٥٩

أخبرتكم مرة أخرى أنه لا وفاء لكم و لا ذمة و لا خير عندهم و أنكم عبيد الدنيا. و اني توجه مكانه رجلا و إنى لأعلم أنه يفعل فعل صاحبه غير مفكر في عاقبة أمره و مرجعه و لا مراقب لله في دينه.

و بعث رجلا من (مراد) في أربعة آلاف و تقدم إليه بمشهد من الناس و حذر الغدر و النكث.

فلما صار الى الأنبار أتاه رسول معاوية بمثل ما أتى الكندى من الصلة و المواعيد، فتوجه إليه مؤثرا لدنياه على آخرته و بايعا دينه بالتفافه القليل الفانى و مختاراً على الجنة.

فقام أبو محمد عليه السلام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه و قال: قد عرفتكم أنكم لا تفون بعهد و لا تستيمنون الى عقد، و قد غدر المرادى الذى اخترتموه و قبله ما اخترتم الكندى. فقام أناس فقالوا ان كان الرجلان غدرا فنحن ننصح و لا نغدر.

فقال لهم: كلّا و انى أعذر بينى و بينكم مع علمى بسوء ما تبطنون و تنطوون عليه، و موعدهم عسكرى بالنخيلة.

ثم خرج، فعسكر بالنخيلة و أقام به عشرة أيام، فلم يلحق به منهم إلّا عدد يسير، فانصرف الى الكوفة و قام خطيباً، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا عجباً من قوم لا حياء لهم و لا دين .. من غدرة بعد غدرة. أما و الله لو وجدت أعواناً لقتمت بهذا الأمر أى قيام، و نهضت به أى نهوض، و أيم الله لا رأيتم فرجاً و لا عدلاً أبداً مع ابن آكلة الأكباد و بنى أمية و ليسومنكم سوء العذاب حتى تتمنوا أن يليكم عبد حبشى مجدع، فأف لكم و بعداً و ترحاً يا عبيد الدنيا و موالى الحطام.

ثم نزل و هو يقول: و اعتزلكم و ما تدعون من دون الله.

فاتبعه من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام عدد يسير إشفافاً عليه و حقناً لدمه. و غلب ابن آكلة الأكباد على الملك مدة أيام أبى محمد عليه السلام و أظهر من اللباس و الزى و الفرش و الاثاث مثل ما كانت ملوك الأعاجم تفعله و كان من أمره ما قص و روى و سارت الركبان بخبره.

و من دلائل أبى محمد عليه السلام ما روى أنه خرج الى مكة فى بعض السنين ماشياً حتى

ص: ١٦٠

تورّمت رجله، فقال بعض مواليه لو ركبت لسكن عنك ما تجد.

فقال له: اذا أتينا هذا المنزل فيستقبلك عبد أسود معه دهن فاشتر منه و لا تماكسه.

فساروا حتى انتهوا الى الموضع فاذا بالأسود فقال أبو محمد عليه السلام لمولاه: دونك الرجل.

فقصده فأخذ منه بما استلم به و أعطاه الثمن فقال له الأسود: لمن تأخذ هذا الدهن؟

فقال: للحسن بن علي عليه السلام.

فانطلق معه إليه فقال له: بأبي أنت و أمي لم أعلم ان الدهن يراد لك و لست أحب أن أقبل له ثمنًا، فاني مولاك، و لكن ادع الله أن يرزقني ولدا ذكرا سويا يحبكم أهل البيت؛ لأنني خلّفت أهلي في شهرها.

قال: فانطلق الى منزلك فقد فعل الله بك ذلك و وهب لك غلاما سويا و هو لنا شيعة.

فانطلق الرجل فوجد امرأته قد ولدت غلاما؛ يروى أنه أبو هاشم السيد ابن محمد الحميري و كان أبوه انتقل من أرض حمير الى أرض تهامة ثم عاد الى بلده.

و يروى عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال عن آبائه (صلوات الله عليهم) .. قال: أقبل أمير المؤمنين و معه أبو محمد عليهم السلام و سلمان الفارسي فدخل المسجد و جلس فيه فاجتمع الناس حوله إذ أقبل رجل حسن الهيئة و اللباس فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام و جلس ثم قال: يا أمير المؤمنين اني قصدت أن اسألك عن ثلاث مسائل ان أخبرتنى بهن علمت أنك وصي رسول الله حقًا، و ان لم تخبرني بهن علمت أنك و هم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سل عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه، و عن الرجل كيف يذكر و ينسى، و عن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام و الأخوال.

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام الى أبي محمد عليه السلام فقال: يا أبا محمد أجبه.

فقال أبو محمد: أما الانسان اذا نام فان روحه معلقة بالريح، و الريح متعلقة بالهواء الى وقت يتحرك صاحبها الى اليقظة، فاذا أذن الله برد الروح، جذبت تلك الروح بالريح،

ص: ١٦١

و جذبت الريح الهواء فرجعت الروح الى مسكنها في البدن. و اذا لم يأذن الله برد الروح الى صاحبها، جذبت الهواء بالريح، و جذبت الريح الروح فلم ترجع الى صاحبها الى أن يبعثه الله تبارك و تعالى. و اما الذكر و النسيان فان قلب الرجل في مثل حق و عليه طبق فان سمى الله و ذكره و صلى - عند نسيانه - على محمد و آله انكشف ذلك الطبق و هو غشاوة عن ذلك الحق و

أضاء القلب و ذكر الرجل ما كان نسي. و ان هو لم يصل على محمد و آله بعد ذكر الله عز و جل انطبقت تلك الغشاوة على ذلك الحق فأظلم القلب فنسى الرجل ما ذكر. و أما المولود الذي يشبه الأعمام و الأخوال فان الرجل إذا أتى أهله فواطأها بقلب ساكن و عروق هادئة و بدن غير مضطرب، استكنت تلك النطفة في جوف الرحم و خرج الرجل يشبه أباه و أمه. و إن هو أتاها بقلب غير ساكن و عروق غير هادئة و بدن مضطرب اضطربت النطفة ف وقعت في اضطرابها على بعض العروق، فان وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، و ان وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله و لم أزل أشهد بها، و أشهد أن محمداً صلى الله عليه و آله رسول الله و لم أزل أشهد بها، و أشهد أنك وصيه و خليفته و القائم بحجته - و أشار الى أمير المؤمنين عليه السلام - و أشهد أنك وصيه و القائم بحجته - و أشار الى الحسن - و أشهد أن أخاك الحسين وصي أبيك و وصيك و القائم بحجته بعدك، و أشهد أن علي بن الحسين القائم بأمر الحسين و أشهد أن محمد بن علي القائم بأمر علي بن الحسين، و أشهد أن جعفر بن محمد بن علي القائم بأمر الله بعد أبيه و حجته، و أشهد أن موسى بن جعفر القائم بأمر الله بعد أبيه جعفر، و أشهد أن علي بن موسى القائم بأمر الله بعد أبيه، و أشهد أن محمد بن علي القائم بأمر الله بعد أبيه، و أشهد أن علي بن محمد القائم بأمر الله بعد أبيه محمد بن علي، و أشهد أن الحسن بن علي القائم بأمر أبيه علي بن محمد، و أشهد أن رجلاً من ولد الحسين بن علي لا يسمي و لكن يكتي حتى يظهر الله أمره يملأها عدلاً كما ملئت جوراً، و السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته.

و مضى، فقال أمير المؤمنين: اتبعه يا أبا محمد فانظر أين يقصد؟

ص: ١٦٢

قال: فخرج الحسن بن علي عليه السلام في أثره، فلما وضع الرجل رجله خارج المسجد لم يدر كيف أخذ من أرض الله.

فرجع إليه فأعلمه فقال: يا أبا محمد أ تعرفه؟

قال: الله و رسوله و أمير المؤمنين أعلم به.

قال: ذاك الخضر عليه السلام.

و روى أن الناس على عهد أمير المؤمنين عليه السلام تحدثوا بأن الحسن لم تظهر منه خطابة و لا علم. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام و قد بلغه ذلك: يا بني أن الناس قد تحدثوا فيك بما أنت على خلافه، فاعل المنبر و اخطب الناس و بين عن نفسك حتى يسمعون.

فصعد عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه و ذكرهم بأيام الله ثم قال: يا معاشر الناس ان أمير المؤمنين باب حطّة، من دخله كان آمناً، و سفينة نوح من لحق به نجا، و من تخلف عنه غرق و هلك، فلا يبعد الله إلّا من ظلم ثم نزل.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام و قبل بين عينيه ثم قال: ذريّة بعضها من بعض و الله سميع عليم.

وكان أشبه الناس لغة و خلقا و خلقا برسول الله صلى الله عليه و آله.

ثم كان خبره في السم الذي دسّه إليه ابن آكلة الأكباد ما رواه الناس فاعتل عليه السلام فدخل إليه أخوه أبو عبد الله عليه السلام فقال له: كيف تجد نفسك يا سيدي؟

قال: أجدني في آخر يوم من الدنيا و أول يوم من الآخرة على كره مني لفراقك و فراق اخوتي و الأحبة.

ثم قال: استغفر الله على محبة مني للقاء رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين و أمي فاطمة و حمزة و جعفر.

ثم أوصى إليه و سلم إليه الاسم الأعظم و موارث الأنبياء و الوصية التي كان أمير المؤمنين سلمها إليه. و قبض (صلى الله عليه) بعد خمسين سنة من الهجرة؛ و سنه سبع و أربعون سنة، فأقام مع رسول الله صلى الله عليه و آله سبع سنين و ستة أشهر، و مع أمير المؤمنين ثلاثين سنة، و منفردا بالوصية و الامانة عشر سنين، و دفن بالبقيع مع سيّدة النساء أمه

ص: ١٦٣

فاطمة في قبر واحد.

و كان الحسين عليه السلام قد عزم على دفنه مع رسول الله صلى الله عليه و آله فمنعت عائشة من ذلك و ركبت بغلة لها و خرجت تؤلب الناس عليه و تحرّضهم.

فلما رأى الحسين عليه السلام ذلك دفنه بالبقيع مع أمه، و لقتها بعض بنى هاشم - و روى ان ابن عباس لقيها - منصرفة الى منزلها فقال لها: اما كفاك أن يقال يوم الجمل حتى يقال يوم البغل؟ يوما على جمل و يوما على بغل بارزة عن حجاب رسول الله صلى الله عليه و آله تريدان إطفاء نور الله؛ و الله متمّ نوره و لو كره المشركون، أنا لله و أنا إليه راجعون.

فقلت له: إليك عنى أف لك.

و روى ان الحسين عليه السلام عند ما فعلت عائشة وجّه إليها بطلاقها، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله جعل طلاق أزواجه بعده الى أمير المؤمنين عليه السلام و جعله أمير المؤمنين بعده الى الحسن و جعله الحسن الى الحسين عليهما السلام.

و قال النبيّ (صلوات الله عليه): ان في نسائي من لا تراني يوم القيامة و تلك من يطلقها الأوصياء بعدى.

الحسين الشهيد عليه السلام

و قام الحسين مقام الحسن بأمر الله بعده.

و روى عن عالم أهل البيت عليهم السّلام أنّه قال: ان جبرئيل عليه السّلام هبط على رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخبره ان فاطمة ابنته تلد ابنا، وأمره أن يسمّيه الحسين، و عرفه ان أكثر أمته يجتمع على قتله. فعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين و فاطمة عليهما السّلام ذلك، فقالت فاطمة: لا حاجة لى فيه و سألت الله أن يعفيها من ذلك.

فأوحى الله جلّ و علا الى نبيّه صلّى الله عليه وآله أن يعرفهما أنّه يعوّض للحسين عن القتل أن يجعل الإمامة و ميراث النبوة و الوصية و العلم و الحكمة فى ولده الى يوم القيامة.

فعرّفهما النبيّ صلّى الله عليه وآله ذلك، فقالا: قد رضينا بما يحكم الله لنا.

فروى ان فاطمة عليها السّلام ولدت الحسن عليه السّلام أوّل النهار و حملت بالحسين عليه السّلام فى ذلك

ص: ١٦٤

اليوم؛ لأنّها كانت طاهرة مطهّرة و لم يصبها ما يصبى النساء.

و كان الحمل به ستة أشهر، و كانت ولادته مثل ولادة رسول الله و أمير المؤمنين و الحسن (صلوات الله عليهم).

قال: فلما ولد الحسين، هبط جبرئيل عليه السّلام فى ألف ملك يهنّون النبيّ صلّى الله عليه وآله بولادته، فمر بملك من الملائكة يقال له (فطرس) فى جزيرة من جزائر البحر بعثه الله عز و جل فى أمر من الامور فأبطأ فيه فكسر جناحه و أزيل عن مقامه و أهبط الى تلك الجزيرة، فمكث فيها خمسمائة عام؛ و كان صديقا لجبرئيل عليه السّلام فيما مضى. فقال له: أين تريد؟

قال: أنّه قد ولد لمحمّد النبيّ صلّى الله عليه وآله مولود فى هذه الليلة فبعثنى الله فى ألف ملك لأهنّته.

فقال له: يا جبرئيل احملنى إليه لعلّه يدعو لى.

فحمّله، فلما أدّى جبرئيل عليه السّلام الرسالة، و نظر النبي الى فطرس قال: يا جبرئيل من هذا؟

فأخبره بقصّته.

فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: هل امسح جناحك على هذا المولود؟

فمسح فطرس جناحه على الحسين عليه السّلام فردّه الله الى حالته الاولى.

فلما نهض قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: فان الله قد شفّعنى فيك، فالزم أرض كربلاء، فأخبرنى بكلّ من يأتى الحسين زائرا الى يوم القيامة.

قال: فذلك الملك يسمّى عتيق الحسين عليه السّلام.

فأقام الحسين مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله سبع سنين، و تولّى رسول الله تغذيته و تأديبه و تعليمه، و أنزل الله تبارك و تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

و روى ان أمير المؤمنين و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم كانوا شركاء فى الوصية و الإمامة، فتقدّم أمير المؤمنين عليه السّلام بما خصّه الله - عز و جل - به و تقدّم الحسن بالكبر.

ص: ١٦٥

و أقام الحسين مع أمير المؤمنين عليه السّلام ثلاثين سنة، و مع أبى محمد عشر سنين، فلما حضرت وفاة أبى محمد عليه السّلام أحضره و سلّم إليه جميع موارث الأنبياء، فقام بأمر الله عز و جل؛ و الملك فى ذلك الوقت لمعاوية.

ثم توفى معاوية فى سنة ستين من الهجرة و عهد الى اللعين ابنه يزيد (لعنه الله) فملك بعد أبيه و طالب أبا عبد الله عليه السّلام بمبايعته، فامتنع عليه من ذلك.

و روى أنّه لما أصيب رسول الله صلّى الله عليه وآله بإبراهيم ابنه من مارية القبطية جزع عليه جزعا شديدا حتى قال صلّى الله عليه وآله: القلب يجزع و العين تدمع و أنا عليك لمحزونون و ما تقول ما يسخط الربّ.

فهبط عليه جبرئيل عليه السّلام فقال له: الرّب جل جلاله يقرأ عليك سلامه و يقول: اما ان يختار حياة إبراهيم فيردّه الله حيّا و يورثه النبوة بعدك فيقتله أمتك فيدخلها الله النار، أو يبقى الحسين سبطك و يجعله الله إماما بعدك فيقتله نصف أمتك بين قاتل له و معين عليه و خاذل له و راض بذلك و مبغض فيدخلهم الله بذلك النار.

فقال: يا ربّ لا أحبّ أن تدخل أمتى كلّها النار. و بقاء الحسين أحبّ، و لا تفجع فاطمة به.

قال: و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا قبل ثنايا الحسين و لثاته قال له: فديت من فديته بإبراهيم.

و لما عزم الحسين عليه السّلام على الخروج الى العراق بعد ان كاتبه أهل الكوفة و وجّه مسلم ابن عقيل إليهم على مقدّمته فكان من أمره ما كان و أراد الخروج بعثت إليه أم سلمة: أنّى اذكرك الله يا سيدى أن لا تخرج.

قال: و لم؟

قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: يقتل الحسين ابنى بالعراق. و أعطانى من التربة قارورة أمرنى بحفظها و مراعاة ما فيها.

فبعث إليها: و الله يا أمّاه انى لمقتول لا محالة فأين المفر من قدر الله المقدور؟ ما من الموت بدّ و انى لأعرف اليوم و الساعة و المكان الذى اقتل فيه، و أعرف مكان مصرعى

ص: ١٦٦

و البقعة التى أدفن فيها، و أعرفها كما أعرفك، فان أحببت أن أريك مضجعى و مضجع من يستشهد معى فعلت.

قالت: قد شئت و حضرته.

فتكلّم باسم الله عز و جل الأعظم فتخفّضت الأرض حتى أراها مضجعه و مضجعهم، و أعطاهما من التربة حتى خلطتها معها بما كان.

ثم قال لها: انى أقتل فى يوم عاشوراء و هو اليوم العاشر من المحرمّ بعد صلاة الزوال، فعليك السلام .. رضى الله عنك يا أمّاه برضانا عنك.

و كانت أم سلمة تسأل عن خبره و تراعى قرب عاشوراء.

و خرج محمد ابن الحنفية يشيّع فقال له عند الوداع: يا أبا عبد الله! الله الله فى حرم رسول الله.

فقال له: أبى الله إلّا أن يكنّ سبايا.

و كان من مصيره الى النهرين ما رواه الناس.

و توجّه عبيد الله بن زياد (لعنه الله) بالجيوش من قبل يزيد فى ثمانية و عشرين ألفا.

فلما صافه للحرب عليه السلام صلى الحسين بأصحابه الغداة. و روى أنّه كان ذلك من يوم العاشر من المحرم سنة إحدى و ستين .. قام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال لأصحابه:

«ان الله عز و جل قد اذن فى قتلكم اليوم و قتلّى و عليكم بالصبر و الجهاد».

و روى ان عدتهم فى ذلك اليوم كانت واحدا و ستين رجلا و ان الله - عز و جل - انتصر و ينتصر لدينه منذ أوّل الدهر الى آخره بألف رجل.

فسئل عن تفصيلهم؛ فقال: ثلاثمائة و ثلاثة عشر أصحاب طالوت، و ثلاثمائة و ثلاثة عشر أصحاب يوم بدر مع النبى صلى الله عليه و آله، و ثلاثمائة و ثلاثة عشر أصحاب القائم عليه السلام. بقى واحد و ستون رجلا هم الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام فى يوم الطف.

فروى ان الحسين عليه السّلام قال فى خطبة ذلك اليوم - فيما حفظ من كلامه -: ألا و ان الدعىّ ابن الدعىّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السّلة و الذّلة. و هيهات ممّا الذّلة. يابى الله ذلك لنا و رسوله و المؤمنون و حجور طابت و طهرت. نوثر مصارع الكرام على طاعة اللّثام.

ص: ١٦٧

ألا و انى زاحف بهذه العصاة على قلّة العدد و كثرة الخذلة و العدوّ ثم أنشد يقول:

فان نهزم فهزّامون قدما
و ما ان طبنا جبن و لكن
و ان نغلب فغير مغليبا
منايانا و دولة آخرينا

ثم أمر أصحابه بالقتال. فقال عمر بن سعد بن أبى وقاص (لعنه الله): يا أبا عبد الله لم لا تنزل على حكم الأمير عبيد الله بن زياد؟

فقال له: يا شقى أنّك لا تأكل من بر العراق بعدى إلّا قليلا. فشأنك و ما اخترته لنفسك.

فقام رجل من القوم، فناداه و قال: ابشر يا حسين بالنار.

فقال له: من أنت؟

قال: أنا ابن جويرة.

فقال: اللهم جرّه الى النار.

فنفرت دابته تحته فاذا هو على أم رأسه فقتلته ثم دارت عليه فلم تزل تدوسه حتى بضعت اربا اربا فلم يبق منه إلّا رجلاه.

ثم أحضر على بن الحسين عليه السّلام و كان عليلا فأوصى إليه بالاسم الأعظم و مواريث الأنبياء عليهم السّلام و عرفه ان قد دفع العلوم و الصحف و المصاحف و السلاح الى أم سلمة - رضى الله عنها - و أسرها أن تدفع جميع ذلك إليه.

و روى أنّه عليه السّلام دعا ذلك اليوم ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتابا ملفوفا و أمرها أن تسلمه الى أخيها على بن الحسين عليه السّلام.

فسئل العالم عليه السّلام: أى شىء كان فى الكتاب؟

فقال: فيه - و الله - جميع ما يحتاج إليه ولد آدم الى فناء الدّنيا و قيام الساعة.

و قتل عليه السّلام يوم الجمعة عاشر محرّم سنة إحدى و ستين من الهجرة؛ و سنه فى ذلك سبع و خمسون سنة؛ منها مع النبى سبع سنين. و بعد أن أفضى أمر الله إليه عشر سنين.

و دفن بكرىلاء عليه السّلام.

و روى ان السماء بكت عليه أربعة عشر يوما، فسئل علامة بكاء السماء فقال: كانت

ص: ١٦٨

الشمس تطلع فى حمرة و تغيب فى حمرة.

و روى ان الدم لم يسكن حتى خرج المختار بن أبى عبيدة فقتل به سبعين ألفا، و ان المختار قال: قتلت بالحسين سبعين ألفا - و الله - لو قتلت أهل الأرض جميعا لما وفوا بقلامة ظفريه.

و روى ان الله - جل و عز - أهبط إليه أربعة آلاف ملك هم الذين هبطوا على رسول الله صلى الله عليه و آله يوم بدر، و خيرته النصر على أعدائه أو لقاءه.

فأمر الملائكة بالمقام عند قبره، فهم شعث غبر ينتظرون قيام القائم من ولده.

و روى أنه قتل بيده ذلك اليوم ألفا و ثمانمائة مقاتل و أنه دعاهم الى البراز و أخذ يتقدّم الواحد ثم العشرة ثم صاروا مائة على واحد ثم اجتمع الجيش كله مع كثرتهم عليه فأحاطوا به من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.

و روى أنه ما رفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط و ان الله جلّ و علا رفع لأصحابه منازلهم من الجنة حتى رأوها فحاربوا شوقا إليها و طلبا لها و حرصا عليها.

و غلب اللعين يزيد على الملك، و عادت الإمامة مكتومة مستورة.

و استخفى بها على بن الحسين عليه السّلام مع من تبعه من المؤمنين.

على السجاد عليه السّلام

و قام أبو محمد على بن الحسين عليه السّلام بالأمر مستخفيا على تقيّة شديدة فى زمان صعب.

و روى عن العالم عليه السّلام أنه لما أنزل الله جل ذكره «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» كانت هذه الآية فى الإمامة و كان أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليهم السّلام شركاء - على ما بيناه فى باب الحسين - ثم

أنزل الله جلّ جلاله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» فكانت هذه الآية خاصة في إمامة علي بن الحسين عليه السلام.

و روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: رأيت في يد فاطمة لوحا أخضر

ص: ١٦٩

ظننت أنه زمرّد فيه كتاب أبيض يشبه نور الشمس فقلت: بأبي أنت و أمي ما هذا اللوح؟

فقلت: لوح أهداه الله الى نبيّه صلى الله عليه و آله فيه اسمه و اسم ابن عمّه أمير المؤمنين و اسماء ابنيّ الحسن و الحسين و أسماء الأوصياء من ولد الحسين عليهم السلام فأعطانيه يبشّرنا به و يأمرني بحفظه و خزنه.

ثم دفعته إليّ و قرأته و استنسخته فكانت نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نبيّه و نوره و سفيره و حجابيه و دليله نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين. عظم يا محمد أسمائي و اشكر نعمائي فاني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبابرة و مدبّر المظلومين و ديّان الدين.

فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذابا أليما لا أعذّبه أحدا من العالمين فإياي فاعبد و عليّ فتوكل اني لم أبعث نبياّ فأكملت أيامه و انقضت مدّته إلا جعلت له وصيا و اني فضلتك على الأنبياء و فضّلت وصيّك عليّا على الأوصياء و أكرمتك بسبطيك حسن و حسين و جعلت حسنا معدن علمي و جعلت حسينا خازن وحيي و أكرمته بالشهادة و ختمت له بالسعادة و هو أفضل من استشهد و أرفعهم درجة و جعلت كلمتي التامة معه و حجتى البالغة عنده بعترته أثيب و أعاقب؛ أولهم: على سيّد العابدين و زين أوليائي الماضين. و ابنه شبيه جدّه محمود محمد الباقر لعلمي و المعدن لحكمتي.

و سيهلك المرتابون في جعفر الرادّ عليه كالرادّ على حق القول مني، لأكرمن مثوى جعفر و لأسرّنه في أنصاره و أشياعه و أوليائه تنتج بعده فتنة عمياء حنّس لأن فرضي لا ينقطع و حجتى لا تخفى و أوليائي لا يشقون. ألا و من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي و من غير آية من كتابي فقد افترى عليّ. فويل للمفتريين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدى موسى حبيبي و خيرتى. ان المكذّب لعلّي وليّى و ناصرى مكذّب لكلّ أوليائي. يقتله عفريت مستكبر. يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح الى جنب شرّ خلقى. حق القول مني لأقرّن عينه بمحمد ابنه و خليفته من بعده و وارث علمه فهو معدن علمي و موضع سرّي و حجتى على خلقى، جعلت الجنة مأواه و شفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار. و أختتم بالسعادة لابنه على وليّى و ناصرى و الشاهد في خلقى

ص: ١٧٠

منه الدّاعى الى سبيلى و الخازن لعلمى الحسن. ثم أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين .. عليه كمال موسى و بهاء عيسى و صبر أيوب .. يستدلّ أوليائى فى زمانه و تهدى رءوسهم كما تتهدى رءوس الترك و الديلم فيقتلون و يحرقون و يكونون خائفين مرعوبين وجليين ..

تصبغ الأرض بدمائهم و يفسو الويل و الرنة فى نساءهم .. أولئك أوليائى .. حقا، بهم أَدفع كلّ فتنة عمياء حندس، و بهم أكشف الزلازل و أرفع الآصار و الأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة، و أولئك هم المهتدون.

و روى ان أبا محمّد ولد سنة ثمان و ثلاثين من الهجرة و كانت أمه جهان شاه بنت (يزدجرد ملك) آخر ملوك الفرس و هو يزدجرد بن شهريار. و كان من حديثها أنّها و اختها سبيتا فى أيام عمر بن الخطاب فأقدمتا، و أمر عمر أن ينادى عليهما مع السبى المحمول، فمِنع أمير المؤمنين عليه السّلام من ذلك و قال: ان بنات الملوك لا يبعن فى الأسواق.

ثم أمر امرأة من الأنصار حتى أخذت بأيديهما فدارت بهما على مجالس المهاجرين و الأنصار تعرضهما على من يتزوّج بهما. فأول من طلع الحسن و الحسين فوقفا فخطباهما لأنفسهما. فقالتا: لا نريد غيركما.

فتزوّج الحسن ب (شهربانو) و تزوّج الحسين ب (جهانشاه). فقال أمير المؤمنين للحسين عليه السّلام: احتفظ بها و أحسن إليها فستلد لك خير أهل الأرض بعدك.

فولدت على بن الحسين. فكان مولده و منشؤه مثل مواليد آبائه عليهم السّلام و منشئهم.

و توفيت بالمدينة فى نفاسها فابتيعت له داية تولّت رضاعه و تربيته؛ و كان يسمّيها أمى.

فلما كبرت زوّجها بسلام مولاه فكان بنو أمّية يقولون: ان على بن الحسين زوّج أمه بغلامه. و يعيرونه بذلك.

و كان يسمّى عليه السّلام سيّد العابدين؛ لأنّه روى أنّه كان يصلّى فى اليوم و الليلة ألف ركعة.

و حضر يوم الطف مع أبيه و كان عليلا به بطن قد سقط عنه الجهاد. فلما قرب استشهاد أبى عبد الله عليه السّلام دعاه و أوصى إليه و أمره أن يتسلّم ما خلفه عند أم سلمة - رحمها الله - مع مواريث الأنبياء و السلاح و الكتاب.

فلما استشهد حمل على بن الحسين مع الحرم و أدخل على اللعين يزيد و كان لابنه

ص: ١٧١

أبى جعفر عليه السّلام سنتان و شهور، فأدخل معه. فلما رآه يزيد قال له: كيف رأيت يا على بن الحسين [صنع الله؟] قال: رأيت ما قضاه الله - عز و جل - قبل أن يخلق السماوات و الأرض.

فشاور يزيد جلساءه فى أمره. فأشاروا بقتله و قالوا له: لا تتخذ من كلب سوء جروا.

فابتدر أبو محمد الكلام، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال ليزيد (لعنه الله): لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه، حيث شاورهم في موسى و هارون، فأنهم قالوا له: أرجه و أخاه، و قد أشار هؤلاء عليك بقتلنا، و لهذا سبب.

فقال يزيد: و ما السبب؟

فقال: ان أولئك كانوا لرشدة و هؤلاء لغير رشدة. و لا يقتل الأنبياء و أولادهم إلّا أولاد الأدعياء.

فأمسك يزيد مطرقاً ثم أمر بإخراجهم - على ما قص و روى -.

فاستخفى على بن الحسين عليه السلام بالإمامة مع من اتبعه من المؤمنين.

و في السنة الثالثة من إمامته مات يزيد اللعين، و بويع لابنه معاوية بن يزيد، فأقام في الملك ثلاثة أشهر و مات ثم كانت فتنة ابن الزبير بالحجاز في سنة أربع و ستين و كانت مدتها تسع سنين.

و في سنة اثني عشر من إمامة على بن الحسين، بويع اللعين طريد رسول الله و ابن طريده و لعينه و ابن لعينه الأزيق مروان بن الحكم بن أبي العاص، فاستخفى في أيامه المؤمنون و صعب الزمان و اشتد على أهله، و كانت الشيعة تطلب في أقطار الأرض .. تهدر دماؤهم و أموالهم.

و أظهروا لعن أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم. و أقام (لعنه الله) في ملكه عشرة أشهر و أياما ثم توفي، و بويع ابنه عبد الملك بن مروان، فقلّد عبد الملك الحجاج بن يوسف خلافته على العراقيين ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فانظر في دماء بني عبد المطلب فاحقنها و احذر سفكها و تجنبها فاني رأيت آل أبي سفيان لما و لغوا فيها لم يلبثوا إلّا قليلا حتى اخترموا.

ص: ١٧٢

و أنفذ الكتاب سرّاً من كلّ قريب و بعيد و خاص به و عام، الى الحجاج و أمره أن يكتمه.

قال العالم: فكتب إليه على بن الحسين عليهما السلام في ذلك اليوم من ذلك الشهر: بسم الله الرحمن الرحيم. من على بن الحسين الى عبد الملك بن مروان. أما بعد؛ فإنك كتبت في ساعة كذا من يوم كذا في شهر كذا الى الحجاج بن يوسف بكذا و كذا و ان الله عز و جل قد عرف ذلك لك و أمهلك في ملكك و زاد فيه برهة من دهرك.

و طوى الكتاب و أنفذه إليه. فلما قرأه عبد الملك اشتدّ سروره، فأوقر راحلة الرسول عينا و ورقا.

و كانت مدة عبد الملك نيفا و عشرين سنة ثم مات و بويع لابنه الوليد في سنة ست و ثمانين من الهجرة و ذلك في سنة ست و عشرين من إمامة أبي محمد على بن الحسين عليه السلام، و نازعه عمّه محمد بن الحنفية في الإمامة و ادّعى ان الأمر له بعد

أخيه الحسين عليه السّلام فناظره و احتجّ عليه بآى من القرآن و قول الله عز و جل «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» و ان هذه الآية جرت فيه و نزلت له و لولده من بعده.

فلم يننه ذلك عن منزلته، فقال له عليه السّلام: فنتحاكم الى الحجر الأسود.

فقال له محمد: كيف تحاكمنى الى حجر لا يسمع و لا يجيب؟ و كيف يخلو المكان من الناس و أهل الموسم؟

فأعلمه ان الله - جل جلاله - يحسّه و ينطقه بالحكم فينا.

فمضى محمد معه متعجبا حتى انتهى الى الحجر الأسود. فقال على عليه السّلام: يا عم فكلمه.

فتقدّم محمد فوقف حياله و كلمه. فأمسك عنه و لم يجبه.

و تقدّم على عليه السّلام فوضع يده المباركة الطاهرة عليه ثم قال: اللهم انى أسألك باسمك المكتوب فى سرادق العظمة. - و دعا بما أحب - لما انطقت هذا الحجر.

ثم قال: أيها الحجر أسألك بالذى جعل فيك موثيق العباد و الشهادة لمن و افاك و استلمك، لما أخبرت لمن الوصيّة و الإمامة بعد الحسين بن على عليه السّلام؟

ص: ١٧٣

قال: فتزعزع الحجر حتى كاد أن يزول ثم أنطقه الله جل و عز فقال: يا محمد سلّم الإمامة لعلى بن الحسين.

فقال على عليه السّلام: اللهم اسمح و اغفر.

فرجع محمد بن على عليه السّلام عن منازعته و سلّم إليه و استغفر.

و روى عن العالم عليه السّلام: ان على بن الحسين أخذ بيد أبى حمزة ديران بن أبى صفية الثمالى فقال: يا أبا حمزة علّمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شىء ان هذا لهو الفضل المبين.

و روى أنّه كان معه فى بعض أسفاره الى مكّة فبينما هم جلوس إذ جاءت ظبية فوقفت بازائه فحمحت و عيناها تدمعان فقال لأصحابه: تدرون ما تقول هذه الظبية؟

فقالوا: الله و رسوله و أولياؤه أعلم.

فقال: أنّها تذكر أنّها عند فلان القرشى و لها خشف قد حبس عنها و لم يطعم شيئا منذ يوم و ليلة.

ثم وجّه الى القرشى فأحضره و استوهب منه الظبية و الخشف و حضر طعامه فجعل يطعمها ثم أمر أن تخرج الى البر فتخلّى لها السبيل. فمضت و هى تحمحم و معها خشفها، فقال: ما تدرون ما تقول؟

قلنا: لا.

فقال: انها تدعو لنا و تجزى خيرا.

و روى ان رجلا صار إليه و عنده أصحابه فقال له: من أنت؟

قال: أنا رجل منجم قايف عراف.

فنظر إليه ثم قال له: هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا فى أربعة عشر ألف عام؟

قال: من هو؟

فقال له: ان شئت نبأتك بما أكلت و ما أدّخرت فى بيتك؟

فقال له: نبئنى.

ص: ١٧٤

فقال له: أكلت فى هذا اليوم حيسا و لك فى بيتك عشرون دينارا؛ منها ثلاثة دنانير دارية.

فقال له الرجل: اشهد أنك الحجّة العظمى و المثل الأعلى و كلمة التقوى.

فقال له: و أنت صديق قد امتحن الله قلبه للإيمان فأمنت.

و روى عن أبى حمزة الثمالى قال: كنت عنده فسمع صوت العصافير فقال: يا أبا حمزة هل تدرى ما تقول هذه العصافير؟

قلت: لا.

قال: تقدّس ربّها و تطلب منه قوت يومها.

... الى غير ذلك من دلائله عليه السّلام، فانها كثيرة و قد بيّنا فى آخر بابها بعضها.

فلما قربت أيامه صلّى الله عليه أحضر أبا جعفر ابنه و أوصى إليه، فحضر جماعة من خواصّه الوصية الظاهرة و سلّم إليه بعد ذلك الاسم الأعظم و مواريث الأنبياء.

و كان فيما قاله من أمر ناقتة ان يحسن إليها و يقدم لها العلف و لا تحمل بعده على الكد و السفر و تكون في الحظيرة. و قد كان حجّ عليها عشرين حجّة ما قرعها بخشبة.

و مضى (صلى الله عليه) في سنة خمس و تسعين من الهجرة؛ و سنة سبع و خمسون.

و دفن بالبقيع في قبر أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

فأقام مع أمير المؤمنين عليه السلام سنتين و شهورا. و روى عنه أحاديث كثيرة، و أقام مع أبيه و عمّه عليهما السلام عشرين سنة، و منفردا بالإمامة خمسا و ثلاثين سنة و شهورا.

فروى ان الناقه خرجت الى قبره بالبقيع فضربت بجرانها عليه و لم تزل دموعها تجري و تهمل من عينها، فبعث ابو جعفر عليه السلام بمن يردّها الى موضعها فعادت. فعلت ذلك ثلاث مرّات ثم أقيمت فلم تقم حتى ماتت. فأمر أبو جعفر عليه السلام فحفر لها و دفنت.

و روى عن سعيد بن المسيب قال: قحط الناس يمينا و شمالا فمددت عيني فرأيت شخصا أسود على تل قد انفرد، فقصدت نحوه فرأيتة يحرك شفّتيه. فلم يتمّ دعاءه حتى أقبلت غمامة. فلما نظر إليها حمد الله و انصرف. و أدركنا المطر حتى ظنناه الغرق. فاتبعته حتى دخل دار على بن الحسين عليه السلام فدخلت إليه فقلت له: يا سيدي في دارك غلام أسود

ص: ١٧٥

تفضّل على بيعه.

فقال: يا سعيد و لم لا يوهب لك؟

ثم أمر القيم على غلمانہ يعرض كلّ من في الدار عليه فجمعوا فلم أر صاحبي بينهم.

فقلت: فلم أره. فقال: أنّه لم يبق إلّا فلان السائس. فأمر به فأحضر فاذا هو صاحبي.

فقلت له: هذا هو.

فقال له: يا غلام ان سعيدا قد ملكك فامض معه.

فقال لي الأسود: ما حملك على ان فرّقت بيني و بين مولاي؟

فقلت له: اني رأيت ما كان منك على التل.

فرفع يده الى السماء مبتهلا ثم قال: ان كانت سريرة ما بينك و بيني قد أذعتها علىّ فاقبضنى إليك.

فبكى على بن الحسين و بكى من حضره و خرجت باكيا. فلما صرت الى منزلى وافانى رسوله فقال لى: ان أردت أن تحضر جنازة صاحبك فافعل.

فرجعت معه و وجدت العبد قد مات بحضرته.

و روى عن أبى خالد الكابلى أنه قال: كنت أقول بمحمد بن الحنفية زمانا، فلقينى يحيى بن أم الطويل ابن داية على بن الحسين عليه السلام فدعانى الى صاحبه، فامتنعت عليه.

فقال لى: ما يضرّك ان تقضى حقّى و ان تلقاه مرّة واحدة؟

فصرت معه إليه فوجدته جالسا فى بيت مفروش بالمعصر ملبس الحيطان .. عليه ثياب مصبغة. فلم أطل عنده.

فلما نهضت قال لى: صر إلىّ فى غد إن شاء الله.

فخرجت من عنده و قلت ليحيى: ادخلتنى الى رجل يلبس المصبغات

و عزمت أن لا أرجع إليه، ثم فكّرت فى ان رجوعى غير ضائر، فصرت إليه فى الوقت، فوجدت الباب مفتوحا و لم أر أحدا، فهممت بالرجوع، فنادانى من داخل الدار ثلاثة أصوات، فظننت أنه يريد غيرى .. حتى صاح بى (يا كنكر) ادخل - و هذا اسم سمّنى أُمى به و لم يسمعه و لا علم به أحد غيرى - فدخلت إليه فوجدته جالسا فى بيت

ص: ١٧٦

مطين على حصير بردى و عليه قميص كرايسى.

فقال لى: يا أبا خالد انى قريب عهد بعروس، و ان الذى رأيت بالأمس من آله المرأة، و لم أحبّ مخالفتها.

فما برحت ذلك اليوم من عنده حتى رأيت العجائب، فقلت بإمامته و هدانى الله به و على يديه.

و روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا تكون الإمامة فى أخوين بعد الحسن و الحسين و لا تخرج من الأعقاب الى يوم القيامة.

و روى عن على بن الحسين عليه السلام أنه قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة و لا يزكّهم و لهم عذاب أليم: المدخل فىنا من ليس منّا، و المخرج منّا من هو منّا، و القائل ان لهما فى الاسلام نصيبا - يعنى هذين الصنمين -.

محمد الباقر عليه السّلام

و قام بالأمر بعده أبو جعفر محمّد بن على عليهما السّلام.

روى عن العالم عليه السّلام أنّه تزوج أبو محمد على بن الحسين عليه السّلام بأم عبد الله بن الحسن بن على عمّه و هى أم جعفر عليه السّلام و كان يسمّيها الصديقة و يقول: لم يدرك فى آل الحسن مثلها امرأة.

روى عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال: كانت أمى أم عبد الله بنت الحسن جالسة عند جدار فتصدّع الجدار فقالت بيدها: لا و حق المصطفى ما اذن الله - جل و عز - لك فى السقوط حتى أقوم.

فبقى معلقا حتى قامت و بعدت ثم سقط، فتصدّق عنها على بن الحسين بمائة دينار.

و كان مولد أبى جعفر عليه السّلام فى سنة ثمان و خمسين من الهجرة قبل أن يصاب الحسين عليه السّلام و كان مولده و منشؤه مثل مواليد آبائه عليهم السّلام.

فلما شبّ و دخل المسجد مع أبيه أتاه جابر بن عبد الله الأنصارى فقبّل رأسه ثم قال له: ان رسول الله صلّى الله عليه و آله جدك يقرأ عليك السّلام و كان قال لى: تعيش حتى ترى محمد بن

ص: ١٧٧

على بن الحسين ابنى، فاذا رأيته فاقرأ عليه سلامى.

ثم أتاه فى وقت آخر فقبّل رأسه ثم قال له: يا باقر.

فلما فعل جابر ذلك، أمر على بن الحسين أبا جعفر عليه السّلام ألا يخرج من الدار. فكان جابر يأتية طرفى النهار فيسلم عليه. فلما مضى على بن الحسين عليه السّلام كان أبو جعفر يمضى الى جابر لسنّه و صحبتته جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السّلام فى الوقت بعد الوقت.

و روى عن عدّة من أصحابه أنّهم قالوا: كنّا معه فمر به زيد بن على عليه السّلام فقال لنا:

لترون أخى هذا و الله ليخرجن بالكوفة و ليقتلن و ليصلبن و يطاف برأسه.

و روى ان أصحابه كانوا مجتمعين عنده إذ سقط بين يديه ورشان و معه اثناه فرقا لهما، فوقفا ساعة ثم طارا. فقال عليه السّلام: علّمنا منطق الطير و أوتينا من علم كلّ شيء. كلّ شيء أسمع لنا و أطوع و أعرف بحقنا من هذه الأمة. إنّ هذا الورشان ظن بزوجه ظن سوء و صار إلىّ فشكاها و أتى بها معه فحاكمها فحلفت له بالولاية أنّها ما خانتة فأخبرته بأنّها صادقة و نهيته عن ظلمها؛ لأنّه ليس من بهيمة و لا طائر يحلف بولايتنا كاذبا إلّا ابن آدم. فاصطلحا و طارا.

و روى عن محمد بن سالم قال: كنت مع أبى جعفر عليه السلام فى طريق مكّة إذ بصرت بشاة منفردة من الغنم تصيح الى سخله لها قد انقطعت عنها و تسرع السير فقال أبو جعفر عليه السلام: أ تدرى ما تقول هذه الشاة لولدها؟

قلت: لا يا سيدى.

قال: تقول لها: اسرعى فى القطيع فان أخاك عام أوّل تخلف عنى و عن القطيع فى هذا المكان فاختلسه الذئب.

قال محمد بن مسلم: فدنوت من الراعى فقلت له: أرى هذه الشاة تصيح سخلتها فلعلّ الذئب أكل قبل هذا الوقت سخلا لها فى هذا الموضع؟

قال: قد كان ذاك عام أوّل، فما يدريك؟

و روى ان الأسود بن سعيد كان عند أبى جعفر عليه السلام فابتدأ أبو جعفر فقال له: نحن

ص: ١٧٨

حجج الله و نحن لسان الله و نحن وجه الله و نحن ولاة أمر الله.

ثم قال: يا أسود ان بيننا و بين الأرض ترا مثل تر البناء فاذا أمرنا بأمر فى الأرض جذبنا بذلك الترف فأقبلت إلينا تلك الأرض.

و روى عن الحكيم بن أبى نعيم قال: أتيت أبى جعفر عليه السلام بالمدينة فقلت له: على نذر بين الركن و المقام ان انا لقيتك الا أخرج من المدينة حتى أعلم أنّك قائم آل محمّد.

فلم يجبنى بشىء.

فأقمت ثلاثين يوما ثم استقبلنى فى طريق فقال: يا حكيم و انك لها هنا.

قلت: قد أخبرتك بما جعلت لله على نفسى فلم تأمرنى و لم تنهنى.

و قال: بكر علىّ الى المنزل.

فغدوت إليه فقال: سل عن حاجتك.

فقلت: قد جعلت علىّ نذرا صياما و صدقة إن أنا لقيتك لم أخرج من المدينة حتى أعلم أنّك قائم آل محمّد أو لا. فان كنت أنت رابطتك و ان لم تكن انتشرت فى الأرض و طلبت المعاش.

فقال: يا حكيم كلنا قائم بأمر الله.

قلت: فأنت المهدي؟

قال: كلنا نهدي الى الله.

قلت: فأنت صاحب السيف.

قال: كلنا صاحب السيف و وارث السيف.

قلت: و أنت تقتل أعداء الله و تعزّ أولياء الله و يظهر بك دين الله.

قال: يا حكيم كيف أكون أنا هو و قد بلغت هذا السن. ان صاحب هذا الأمر أقرب عهد باللبن مني.

ثم قال - بعد كلام طويل -: سر في حفظ الله و التمس معاشك.

و روى عن عنبسة بن مصعب عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن القائم، فضرب بيده على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأخبرته بذلك. قال: صدق

ص: ١٧٩

جابر، و قال: لعلكم ترون ان الامام ليس هو القائم بعد الإمام الذي كان قبله. هذا اسم لجميعهم.

و روى عن محمد بن عمير عن عبد الصمد بن بشير عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال ان رسول الله صلى الله عليه و آله دعا علياً في المرض الذي مضى فيه فقال له: يا علي ادن مني حتى أسرّ إليك بما أسره الله إليّ و ائتمنك على ما ائتمني الله عليه.

فدنا منه فأسرّ إليه.

و فعل على بالحسن.

و فعل الحسن بالحسين.

و فعل الحسين بأبي.

و فعل أبي بي.

و روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأخى على أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فإذا استشهد فابنى الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم. ثم ابنى الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فإذا استشهد فابنه على بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم و ستدرکه یا علی. ثم ابنى محمد بن على أولى بالمؤمنين من أنفسهم و ستدرکه یا حسين.

و قد روى هذا الحديث عبد الله بن عباس و اسامة بن زيد و عبد الله بن جعفر الطيار - رحمهم الله -.

و روى عن أبى بصير قال: قلت: لأبى جعفر أنتم ورثة رسول الله؟

فقال لى: نعم. رسول الله وارث الأنبياء و نحن وراثته و ورثتهم.

قلت: تقدرون على أن تحيوا الموتى و تبرءوا الاكمه و الأبرص؟

فقال لى: باذن الله.

ثم قال: ادن منى يا أبا محمد.

فمسح يده على وجهى فأبصرت الشمس و السماء و الأرض و كل شىء فى الدار.

فقال: أ تحب أن تكون هكذا و لك ما للناس و عليك ما عليهم أو تعود على حالك

ص: ١٨٠

و لك الجنة خالصا؟

قلت: أعود و الجنة.

فمسح يده على عيني فرجعت كما كنت.

و روى عن أبى حمزة الثمالى عن جابر بن يزيد الجعفى قال: كنت يوما عند أبى جعفر عليه السلام، فالتفت الى فقال لى: يا جابر ما لك حمار فتركبه؟

قلت: لا يا سيدى.

فقال لى: انى أعرف رجلا بالمدينة له حمار يركبه فيأتى المشرق و المغرب فى ليلة.

و روى عنه عليه السّلام أنّه قال: نحن جنب الله - عز و جل - و نحن خيرة الله و نحن مستودع مواريث الأنبياء و نحن أمناء الله و نحن حجج الله و نحن حبل الله و نحن رحمة الله على خلقه. بنا يفتح الله و بنا يختم الله. من تمسّك بنا لحق، و من تخلف عنّا غرق. و نحن القادة الغرّاء المحجلون.

ثم قال - بعد كلام طويل -: فمن عرفنا و عرف حقنا و أخذ بأمرنا فهو منّا و إلينا.

و روى عن الفضيل بن يسار قال سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: ان الامام منّا يسمع الكلام فى بطن أمه فاذا وقع الى الأرض رفع له عمود من نور يرى به أعمال العباد.

و روى عن أبى حمزة قال سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: لا و الله لا يكون عالم بشيء جاهل بشيء. ان الله أجلّ و أكرم و أعزّ و أعدل من أن يفرض طاعة عبد و يجعله حجّة ثم يحجب عنه علم أرضه و سمائه.

ثم قال: لا يحجب ذلك عنه.

و روى ان حباية الوالبية دخلت على أبى جعفر عليه السّلام فقال لها: يا حباية ما الذى أبكاك؟

قالت: كثرة همومى و ظهر فى رأسى البياض.

قال: يا حباية ادنى.

فدنت منه فوضع يده فى مفرق رأسها و دعا لها بكلام لم يفهم. ثم دعا لها بالمرآة فنظرت فاذا شمط رأسها قد أسود و عاد حالكا. فسرت بذلك و سر أبو جعفر بسرورها.

ص: ١٨١

فقالت: بالذى أخذ ميثاقكم على النبيين أى شيء كنتم فى الأظلة؟

فقال: يا حباية، نورا بين يدى العرش قبل أن يخلق الله آدم، فأوحى إلينا فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا و لم يكن تسبيح قبل ذلك الوقت. فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور فيه.

و كان أبو جعفر عليه السّلام عمره سبع و خمسون سنة، و كانت ولادته فى سنة ثمان و خمسين للهجرة، فأقام مع أبى عبد الله الحسين سنتين و شهورا و مع على بن الحسين خمسا و ثلاثين سنة، و منفردا بالإمامة تسع عشرة سنة و شهورا.

و كانت وفاته سنة مائة و خمس عشرة. و فى أربع سنين من إمامته توفى الوليد بن عبد الملك، و كان ملكه تسع سنين و شهورا، و بويع لسليمان؛ و أمر الإمامة مكتوم و الشيعة فى شدة شديدة.

و فى ست سنين و شهور من إمامة أبى جعفر عليه السّلام توفى سليمان و بويج لعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فرفع اللعن عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

و روى عنه عليه السّلام أنّه قال و هو بالمدينة: قد توفى هذه الليلة رجل تلعه ملائكة السماء و تبكى عليه أهل الأرض.

و بويج ليزيد بن عبد الملك، و كان شديد العداوة و العناد لأبى جعفر عليه السّلام و لأهل بيته فروى أنّه بعث إليه فأحضره ليوقع به. فلما ادخل إليه حرّك بشفتيه بدعاء لم يسمع، فقام إليه فأجلسه معه على سريره ثم قال له: تعرض علىّ حوائجك؟

قال: تردنى الى بلدى.

فقال له: ارجع. و كتب الى عمّاله يمنعه الميرة فى طريقه فمنع عنها بمدينة مدين و أغلق الباب دونه. فصعد الى الجبل فقرأ بأعلى صوته «وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» الى قوله تعالى - بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ » و كان فى المدينة شيخ من بقايا العلماء فخرج الى أهل المدينة فنادى بأعلى صوته: هذا و الله شعيب يناديكم. فقالوا له: ليس هذا شعيبا. هذا محمد بن على بن الحسين أمرنا أن نمنعه الميرة.

فقال لهم: افتحوا له الباب و إلّا فتوقّعوا العذاب.

ص: ١٨٢

فأطاعوه و فتحوا الباب و أمرهم بحمل الميرة إليه ففعلوا.

فرجع الى المدينة و أقام بها. فلما قربت وفاته عليه السّلام دعا بأبى عبد الله جعفر ابنه عليهما السّلام فقال: ان هذه الليلة التى وعدت فيها ثم سلّم إليه الاسم الأعظم و مواريث الأنبياء و السلاح و قال له: يا أبا عبد الله! الله الله فى الشيعة. فقال أبو عبد الله: و الله لا تركتهم يحتاجون الى أحد.

فقال له: ان زيدا سيدعو بعدى الى نفسه فدعه و لا تنازعه فان عمره قصير.

فروى ان خروج زيد كان فى يوم الأربعاء و قتله فى يوم الأربعاء - جدّد الله على قاتله العذاب.

و قام أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السّلام مقام أبيه - صلوات الله عليه -.

روى عن العالم عليه السّلام أنّه قال: ولد أبو عبد الله عليه السّلام فى سنة ثلاث و ثمانين من الهجرة فى حياة جدّه على بن الحسين - صلوات الله عليهم - و كانت امّه أم فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبى بكر و كان أبوها القاسم من ثقات أصحاب على بن الحسين. و كانت من أتقى نساء زمانها، و روت عن على بن الحسين أحاديث؛ منها: قوله لها: يا أم فروة انى لأدعو لمذنبى شيعتنا فى اليوم و الليلة مائة مرّة - يعنى الاستغفار - لأنّا نصبر على ما نعلم و هم يصبرون على ما لا يعلمون.

وكان مولده و منشأه - و ما روى من أمر العمود و غيره - على منهاج آباءه صلى الله عليهم.

و مضى على بن الحسين و له اثنتا عشرة سنة و قام بأمر الله جلّ و علا فى سنة خمس عشرة و مائة و سنة اثنتين و ثلاثين سنة. و لم يزل أبو جعفر عليه السلام يشير إليه فى حياته مدة أيامه ثم نصّ عليه؛ فمنها: ما رواه زرارة و أبو الجارود أن أبا جعفر عليه السلام أحضر أبا عبد الله عليه السلام و هو صحيح لا علة به فقال له: انى أريد أن آمرک بأمر.

فقال له: مرنى بما شئت.

فقال: ايتنى بصحيفة و دواة.

فاتاه بها فكتب له وصيته الظاهرة ثم أمر أن يدعو له جماعة من قريش فدعاهم

ص: ١٨٣

و أشهدهم على وصيته إليه.

و روى عن جابر قال: قال يا جابر انى كنت سميتك أحمد ثم أشفقت عليه فسميته جعفر عليه السلام.

و روى عن سدير الصيرفى مثله.

و روى عن جابر الجعفى و عنبة بن مصعب جميعاً أنّهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن القائم عليه السلام و ضرب بيده على أبى عبد الله عليه السلام فقال: هذا و الله قائم آل محمد بعدى.

و روى عن فضيل بن يسار قال: كنت عند أبى جعفر عليه السلام فأقبل أبو عبد الله عليه السلام فقال:

هذا خير البرية بعدى.

جعفر الصادق عليه السلام

قال عنبة: فلما قبض أبو جعفر عليه السلام دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك فقال: لعلكم ترون ان ليس كلّ امام منا هو القائم بأمر الله بعد الامام الذى قبله. هذا اسم لجميعهم.

فلما أفضى أمر الله جلّ و عزّ إليه، جمع الشيعة و قام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه و ذكرهم بأيام الله ثم قال: ان الله أوضح أئمة الهدى من أهل بيت نبيّه صلى الله عليه و آله عن دينه و أبلغ بهم عن سبيل منهاجه، و فتح بهم عن باطن شاسع علمه، فمن عرف واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة ايمانه، و علم فضل طلاوة اسلامه، لأنّ الله نصب الامام علماً لخلقه، و جعله حجة على أهل عالمه، و ألبسه تاج الوقار، يمدّ بسبب من السماء لا ينقطع عند موته و لا ينال ما عند الله إلّا بمعرفته، فهو عالم

بما يرد عليه من ملابس الدعاء، و مغيبات السماء، و مشبهات الفتن، ثم لم يزل الله يختارهم لخلقه من ولد الحسين بن علي من عقب كل إمام اماما، يصطنعهم لذلك و يجتبيهم و يرضاهم لخلقه، و يختارهم علما بينا، و هاديا منيرا، و حجة عالما ... أئمة من الله عز و جل، يهدون بالحق و به يعدلون ..

حجج الله، و دعائه على خلقه، و مفاتيح الكلام، و دعائم الاسلام .. يدين بهديهم العباد.

و يستهل بنورهم البلاد. جعلهم الله حياة للأنام، و مصاييح الظلام. جرت بذلك فيهم مقادير

ص: ١٨٤

الله على محتومها. و الامام هو المنتجب المرتضى، و القائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك و اصطنعه على عينه في الذر حين ذراه، و في البرية حين برأه، قبل خلق نسمة عن يمين عرشه و هو في علم الغيب عنده مرعيا بعين الله جلّ و عز يحفظه و يكلاه بستره، مذودا عنه حبايل ابليس و جنوده، مصروفا عنه قوارف سوء، مبرا من العاهات، محجوبا من الآفات، معصوما من الفواحش كلها، مخصوصا بالحلم و البر، منسوب الى العفاف و العلم، صامتا عن النطق إلّا فيما يرضاه الله، أيده الله بروحه، و استودعه سرّه، و ندبه لعظيم أمره، فقام لله بالعدل، عند تحير أهل الجهل، بالنور الساطع و الحق الأبلج الذي مضى عليه الصادقون من آبائهم. فانظروا معاشر المسلمين نظر طالب الرشاد، و تدبروا هذه الامور تدبر تارك للعناد، و لا تلحوا في الضلالة بعد المعرفة و لا تتبعوا الظن و لا هوى الأنفس فلقد جاءكم من ربكم الهدى.

و روى أنّه عليه السّلام كان يجلس للعامة و الخاصة و يأتيه الناس من الأقطار يسألونه عن الحلال و الحرام و عن تأويل القرآن و فصل الخطاب فلا يخرج أحد منهم إلّا راضيا بالجواب.

و روى عبد الأعلى بن أعين قال قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ما الحجة على المدعى بهذا الأمر؟

قال: أن يكون أولى الناس بمن قبله و يكون عنده سلاح رسول الله صلّى الله عليه و آله و يكون صاحب الوصية الظاهرة، الذي اذا قدمت المدينة سألت العامة و الخاصة و الصبيان الى من أوصى فلان فيقولون الى فلان.

و روى عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: بلغني ان محمّد بن عبد الله بن الحسن يدعى الوصية في السرّ.

فقال: من ادعى الوصية في السر فليأت ببرهان في العلانية.

قلت: و ما البرهان؟

قال: يحلّ حلال الله و يحرمّ حرامه.

و روى عنه أنّه قال: اذا لم تدروا أين المسلك و المذهب فعليكم بالذي يجلس مجلس

ص: ١٨٥

صاحبكم الأول.

و فى خبر آخر أنه قال: اذا ادعى مدع فاسأله.

و روى عنه عليه السلام فى قول الله عز و جل «وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ» يعنى لو يغب عنكم طرفة عين و فيكم الحجة منه قائمة.

و روى عن يونس بن ظبيان و المفضل بن عمر و أبو سلمة السراج و الحسين بن نويرة قالوا: كنّا عند أبى عبد الله عليه السلام فقال لنا: أعطينا خزائن الأرض و مفاتيحها، و لو أشاء أن أقول بإحدى رجلى هذه اخرجى ما فيك من الذهب؛ و فحص بإحدى رجله خطأ من الأرض ثم قال بيده. فاستخرج سبيكة من ذهب قدر شبر فناولناها ثم قال: انظروا فيها حسنا حتى لا تشكّوا.

ثم قال: انظروا فى الأرض.

فنظرنا فاذا سبايك كثيرة بعضها على بعض تتلأأ.

فقال له بعض القوم: يا ابن رسول الله! أعطيتم هذا و شيعتكم محتاجون؟

فقال: ان الله سيجمع لشيعتنا الدنيا و الآخرة و يدخلهم جنّات النعيم و يدخل عدونا نار جهنم.

و روى عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عز و جل «وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» قال هم الأئمة عليهم السلام. و روى المأمونون يعنى الحجج.

و روى عن داود بن كثير الرقى قال: خرجت مع أبى عبد الله عليه السلام الى الحجّ، فلما كان أوّل وقت الظهر قال لى فى أرض قفر: يا داود قد حانت الظهر فاعدل بنا عن الطريق.

فعدلنا فنزلنا فى أرض قفر لا ماء فيها، فوكزها برجله فنبعت لنا عين من ماء كأنّها قطع الثلج، فتوضأ و توضأت و صلينا.

فلما هممنا بالسير النفث فاذا أنا بجذع نخلة فقال: يا داود أ تحبّ أن أطعمك رطباً؟

فقلت: نعم.

فضرب بيده الى الجذع و هزه فاهتزّ اهتزازا شديدا فاذا قد تدلّى منه كبائس بأعناقها،

فأطعمنى أنواعا كثيرة من الرطب ثم مسح بيده على النخلة و قال: عودى جذعا نخرا باذن الله. فعادت كسيرتها الاولى.

و فى إحدى عشرة سنة من إمامته، مات الوليد بن يزيد بن عبد الملك، و بويع لابنه يزيد بن الوليد فملك ستة أشهر، و بويع لأخيه إبراهيم فمكث أربعة أشهر ثم بويع لمروان ابن محمد الجعدى المعروف بالحمار فى سنة سبع و عشرين و مائة فى اثنتى عشر سنة من إمامة أبى عبد الله عليه السلام فقال أبو عبد الله: مروان خاتم بنى أمية و ان خرج محمد بن عبد الله قتل.

و روى عنه عليه السلام من قدمنا ذكره من رجاله.

قالوا: كنّا عنده إذ أقبل رجل فسلم و قبل رأسه و جلس فمسّ أبو عبد الله عليه السلام ثيابه ثم قال: ما رأيت اليوم أشدّ بياضا و لا أحسن من هذه.

فقال الرجل: يا سيدى هذه ثياب بلادنا و قد جئتك منها بجرابين.

فقال: يا معتب اقضها منه.

ثم خرج الرجل فقال عليه السلام: ان صدق الوصف و قرب الوقت فهذا الرجل صاحب الرايات السود الذى يأتى بها من خراسان.

ثم قال: يا متعب الحقه فاسأله عن اسمه و هل هو عبد الرحمن؟ قال لنا ان كان اسمه فهو هو.

فرجع متعب فقال: اسمه عبد الرحمن ثم عاد الى أبى عبد الله عليه السلام سرّا فعرفه أنّه قد دعا إليه خلقا كثيرا فأجابوه فقال له أبو عبد الله: ان ما تومى إليه غير كائن لنا حتى يتلاعب به الصبيان من ولد العباس.

فمضى الى محمّد بن عبد الله بن الحسن فدعاه فجمع عبد الله أهل بيته و هم بالأمر و دعا ابا عبد الله عليه السلام للمشاورة فحضر فجلس بين المنصور و بين السفاح؛ عبد الله ابنى محمد بن على بن عبد الله بن العباس و وقعت المشاورة. ف ضرب ابو عبد الله يده على منكب أبى العباس عبد الله السفاح فقال: لا و الله اما ان يملكها هذا أولا.

ثم ضرب بيده الاخرى على منكب أبى جعفر عبد الله المنصور و قال: و تتلاعب بها

الصبيان من ولد هذا.

و وثب فخرج من المجلس.

وكان من أمر مروان بن محمد الجعدي ما رواه الناس و قتل بمصر في ذى الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة.

و في سبعة عشر سنة من إمامة أبي عبد الله عليه السلام انتقلت الدولة الى ولد العباس، و بويغ أبو العباس عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة لثلاثة عشر ليلة من ربيع الأول سنة اثنتين و ثلاثين و مائة بالكوفة في بني (أود) في دار (الوليد بن سعيد) مولى بني هاشم، و كانت دولته أربع سنين و تسعة أشهر. و توفي بالأندلس سنة ست و ثلاثين و مائة، و بويغ لأخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور في ذلك الوقت و كانت دولة المنصور في احدى و عشرين سنة من إمامة أبي عبد الله عليه السلام فأقدمه من المدينة حتى اذا علا (النجف) نزل فتأهب للصلاة ثم صلى و رفع يديه و قال:

يا ناصر المظلوم المبغي عليه .. يا حافظ الغلامين لأبيهما احفظني اليوم لآبائي محمد و علي و الحسن و الحسين. اللهم اضرب بالذل بين عيني.

ثم قال: بالله استفتح، و بالله استنجح، و بمحمد و آله أتوجه. اللهم انك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب.

ثم أقبل حتى انتهى الى الباب فاستقبله الربيع الحاجب فقال له: ما أشد غيظ هذا الجبار عليك، يعني ما قد همّ به ان يأتي على آخركم.

ثم دخل إليه فاستأذن له فأذن فدخل فسلم عليه.

فروى أنه عليه السلام صافحه و قال له: روينا عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال ان الرحم اذا تماسست عطفت فأجلسه المنصور الى جنبه ثم قال: فاني قد انعطفت و ليس عليك بأس.

فقال له أبو عبد الله: أجل ما على بأس.

ثم قال المنصور: يا جعفر يبلغنا عنك ما يبلغنا.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: و الله ما فعلت و لا أردت، و لو كنت فعلت فان سليمان أعطى فشكر، و ان أيوب ابتلى فصبر، و ان يوسف ظلم فغفر و لا يأتي من ذلك النسل إلّا ما

ص: ١٨٨

يشبهه.

فقال له أبو جعفر: صدقت يا أبا عبد الله.

و أمر له بستة آلاف درهم و قال له: تعرض حوائجك؟

فقال: حاجتى الاذن لى فى الرجوع الى أهلى.

قال: هو فى يدىك.

فودّعه و خرج فقال له الربيع: فأمر بقبض المال لا حاجة لى فيه اصرفها حيث شئت.

فقال: اذن تغضبه.

فأمر بقبض الدراهم ثم وجّه بها الى منزل الربيع فخرج.

و روى أنّه لما خرج من عنده نزل الحيرة فبينما هو فيها إذ أتاه الربيع فقال له: أجب امير المؤمنين.

فركب إليه و قد كان وجد فى الصحراء صورة عجيبة الخلق لم يعرفها أحد ذكر من وجدها أنّه رآها و قد سقطت مع المطر. فلما دخل إليه قال له: يا أبا عبد الله أخبرنى عن الهواء أى شىء فيه؟

فقال له: بحر مكفوف.

فقال له: فله سكّان؟

قال: نعم.

قال: و ما سكّانه؟

قال: خلق الله أبدانهم أبدان الحيتان و رءوسهم رءوس الطير و لهم أجنحة كأجنحة الطير من ألوان شتى أشدّ بياضا من الفضة.

فدعا المنصور بالطشت فاذا ذلك الخلق فيه لا يزيد و لا ينقص.

فاذن له فانصرف ثم قال للربيع: هذا الشجا المعترض فى حلقى من أعلم الناس فى زمانه.

و روى عن عبد الأعلى بن على بن أعين و عبيدة بن بشير قالوا: قال أبو عبد الله عليه السّلام ابتداء منه: و الله انى لأعلم ما فى السماء و ما فى الأرض و ما فى الجنّة و ما فى النار و ما

ص: ١٨٩

كان و ما يكون الى أن تقوم الساعة.

ثم سكت ثم قال: اعلمه من كتاب الله عز و جل؛ يقول: تبياننا لكل شىء.

و روى عن المفضل بن بشار قال: هذا طاير في دار أبي عبد الله عليه السلام و قال لي: تدري ما يقول هذا الطائر؟

فقلت: لا.

فقال: يقول لطيرته: يا عرسي، ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ منك إلّا مولاي أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام.

و روى أنّه لما قرب أمره دعا أبا إبراهيم موسى ابنه و سلّم إليه الوصيّة و مواريث الأوصياء و نصّ عليه بحضرة خواص مواليه (و نحن نبين ذلك في باب أبي إبراهيم إن شاء الله).

و كان عمر أبي عبد الله عليه السلام ستاً و ستين سنة. و قبض في سنة ثمان و أربعين و مائة من الهجرة و كان مولده في سنة ثلاث و ثمانين من الهجرة فأقام مع جدّه علي بن الحسين ثلاث عشرة سنة و مع أبيه عشرين سنة و منفرداً بالإمامة ثلاثاً و ثلاثين سنة و دفن بالبقيع في قبر أبي محمد الحسن بن علي و علي بن الحسين و محمّد بن علي؛ أبيه (صلوات الله عليهم).

موسى الكاظم عليه السلام

و قام أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام مقام أبيه. و روى عن جابر أنّه قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: قد قدم رجل من المغرب مع رقيق و وصف لي جارية و أمرني بابتياعها بصرّة دفعها. فمضيت الى الرجل. فعرض علي ما كان عنده من الرقيق. فقلت له: بقي عندك غير ما عرضت عليّ.

قال لي: بقيت جارية عليلة.

فقلت: اعرضها عليّ.

فعرض عليّ حميدة.

ص: ١٩٠

فقلت: بكم تبيعها؟

فقال لي: بسبعين ديناراً.

فأخرجت الصرّة إليه.

فقال لي النحاس: لا إله إلّا الله. رأيته - و الله - البارحة في النوم رسول الله صلّى الله عليه و آله قد ابتاع مني هذه الجارية بهذه الصرّة.

فبعثها منه، ثم تناول [الصرة] و تسلمت الجارية. و كان فى الصرة سبعون دينارا.

و صرت بها إليه. فسألها عن اسمها. فقالت: (حميدة).

فقال: حميدة فى الدنيا، محموددة فى الآخرة.

ثم سألها عن خبرها فعرفته أنها بكر ما مسها رجل.

فقال لها: أنى يكون ذلك و أنت جارية كبيرة؟

فقالت: كان لى مولى اذا أراد أن يقربنى أتاها رجل فى صورة حسنة أراه دونه و لا يراه فيمنعه من أن يصل إلى و يدفعه و يصدّه عنى.

فقال أبو جعفر: الحمد لله.

و دفعها الى أبى عبد الله عليه السلام و قال له: يا عبد الله، حميدة سيّدة الاماء مهذّبة مصفاة من الأرجاس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها لك حتى أديت إليك كرامة من الله جل جلاله و علا.

و روى عن أبى بصير قال: حججنا مع أبى عبد الله عليه السلام فى السنة التى ولد فيها أبو إبراهيم عليه السلام فلما نزلنا فى المنزل المعروف ب (الابواء) وضع لنا الطعام، فبينما نحن نأكل إذ أتاها رسول حميدة و قال: تقول لك مولاتى: قد أنكرت نفسى و قد أمرتنى ان لا أسبقك بحادثة فى هذا المولود.

فقام أبو عبد الله عليه السلام فاحتسب هنيئة و عاد إلينا.

فقمنا إليه و قلنا: سرّك الله و جعلنا فداك، ما صنعت حميدة؟

فقال لنا: سلّمها الله و وهب لى منها غلاما هو خير من برأه الله فى زمانه، و لقد أخبرتنى حميدة بشيء ظنّتنى لا أعرفه و كنت أعلم به منها.

ص: ١٩١

قلنا له: و ما أخبرتك به؟

قال: ذكرت أنّه لما سقط رأته واضعا يديه على الأرض و رأسه الى السماء. فأخبرتها ان تلك امارة رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السلام و امارة الوصى اذا خرج الى الأرض أن يضع يديه الى الأرض و رأسه الى السماء و يقول من حيث لا يسمعه

آدمي: أشهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. فاذا قال ذلك أعطاه الله عز و جل العلم الأول و العلم الآخر و استحق زيارة الروح فى ليلة القدر و هو خلق أعظم من جبرئيل عليه السلام.

و كانت ولادته عليه السلام سنة ثمان و عشرين و مائة، و روى فى سنة تسع و عشرين و مائة من الهجرة. و كان مولده و منشؤه مثل مواليد آبائه عليهم السلام.

و روى عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام و هو واقف على رأس أبى الحسن موسى عليه السلام و هو فى المهد فجعل يساره طويلا فلما فرغ قال لى: ادن فسلم على مولاك.

فدنوت فسلمت عليه. فرد على السلام ثم قال لى: امض فغير اسم ابنتك التى ولدت أمس فإنه اسم يبغضه الله.

و قد كنت سميتها (الحميراء) فقال أبو عبد الله: انتبه الى أمره ترشد.

فمضيت فغيرت اسمها.

و روى رفاعه بن موسى قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام و هو جالس فأقبل أبو الحسن موسى عليه السلام و هو صغير السن فأخذه و وضعه فى حجره و قبل رأسه ثم قال لى يا رفاعه اما أنه سيصير فى يدى بنى (مرداس) و يتخلص منهم ثم يأخذونه ثانية فيعطب فى أيديهم فطوبى له و الويل لهم.

و روى ان أبا حنيفة صار الى باب أبى عبد الله عليه السلام ليسأله عن مسألة فلم يأذن له فجلس لينتظر الاذن فخرج أبو الحسن موسى عليه السلام و له خمس سنين فقال له: يا فتى اين يضع المسافر خلاه فى بلدكم هذا؟

فاستند الى الحائط و قال له: يا شيخ تتوقى شطوط الأنهار و مساقط الثمار

ص: ١٩٢

و منازل النزال و محجة الطرق و أقبله المساجد و أفنيتها و لا يستقبل القبلة و لا يستدبرها و يتوارى حيث لا يرى و يضعه حيث يشاء.

فانصرف أبو حنيفة و لم يلق أبا عبد الله عليه السلام.

و روى عن نصر بن قابوس قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فسألته عن الامام من بعده فقال: أبو الحسن موسى بن جعفر ابنى الامام بعدى.

و روى ان أبا عبد الله عليه السلام كان محباً لإسماعيل ابنه و كان يثنى عليه خيراً فتشاجر قوم من مواليه و موالى أبى الحسن موسى عليه السلام فى ذلك و ادعوا لإسماعيل الأمر فى حياة أبى عبد الله عليه السلام فقال لهم أصحاب أبى الحسن: باهلونا فيه. فخرجوا معهم الى الصحراء ليباهلوههم فأظلت الجمع غمامة فأمطرت على أصحاب أبى الحسن عليه السلام دون أولئك.

فاستبشروا و رجعوا الى أبى عبد الله فأخبروه بذلك فسمّاهم الممطورة.

و روى عن أبى عبد الرحمن بن أبى نجران عن عيسى بن عبد الملك قال: قلت: لأبى عبد الله عليه السلام جعلنى الله فداك ان كان كون و لا أرانى الله ذلك فيمن آتم؟

فقال: بموسى ابنى الامام بعدى.

قلت: فان مضى موسى فمن آتم؟

فقال لى: بولده و ان كان صغيراً، ثم هكذا أبداً.

قلت: فإن لم أعرفه و لا أعرف موضعه فما أصنع؟

قال: تقول: اللهم انى أتولّى من حجّتك من ولد الامام الماضى.

و روى عنه عليه السلام أنّه قال: لا يكون الامامة فى أخوين بعد الحسن و الحسين و لا تخرج من الأعقاب.

و روى عن إبراهيم بن مهزيار عن أخيه عن فضالة بن أيوب عن أبى جعفر الضرير عن أبيه قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام و عنده ابنه اسماعيل فسألته عن قبالة الأرض.

فأجابنى فيها. فقال له اسماعيل: يا أبا عبد الله انك لم تفهم ما قال لك.

فشقّ ذلك علىّ لأنّا كنّا يومئذ نتوهم أنّه بعد أبيه.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام انى كثيراً ما أقول لك: الزمنى و خذ منى و لا تفعل.

ص: ١٩٣

فأطرق اسماعيل ثم خرج.

فقلت لأبى عبد الله عليه السلام: و ما على إسماعيل الا يلزمك و لا يأخذ منك اذا أفضى هذا الأمر إليه علم مثل الذى علمته منك.

فقال لي: اسماعيل ليس فيه ما كان من أبي.

ثم نهض فقال لي: لا تبرح.

و دخل بيتا كان يخلو فيه ثم دعاني. فدخلت، فبينما أنا عنده إذ دخل عليه أبو الحسن موسى عليه السلام و هو غلام حدث فقال له: ادن مني.

فدنا فالتزمه و أفعده الى جنبه و قال: اني لأجد [في] ابني هذا ما كان يجده يعقوب بيوسف.

فقلت له: زدني جعلت فداك.

فقال: ما نشأ فينا أهل البيت ناش مثله.

فقلت له: زدني.

فقال: أجد به ما كان أبي عليه السلام يجده بي.

قلت: زدني.

قال: كان اذا دعا فأحب أن يستجاب له أوقفني عن يمينه ثم دعا فأمنت فاني لأفعل ذلك بابني هذا.

فقلت: زدني يا سيدي.

فقال: اني لأؤتمنه على ما كان ابي اؤتمني عليه.

فقلت: يا مولاي زدني.

فقال لي: كان أبي اؤتمني على الكتب التي بخط أمير المؤمنين (صلى الله عليه) و اني لأؤتمنه عليها و هي عنده اليوم.

فقلت: يا مولاي زدني.

فقال: قم إليه و سلم عليه فهو إمامك بعدى. لا يدعيها فيما بيني و بينه أحد إلّا كان مفتونا، إن أخذ الناس يميننا و شمالا فخذ معه.

ص: ١٩٤

قال: فقمتم إليه فأخذت يده فقبلتها و قلت: اشهد أنك مولاي و إمامي.

فقال لى: صدقت و أصبت.

فقلت: يا سيدى، أخبر بهذا من يوثق به؟

فقال لى: نعم.

ثم نهضت، بعد كلام طويل فى هذا المعنى.

و روى حماد بن عيسى عن ربعى عن عمر بن يزيد قال: كان لأبى عبد الله عليه السلام عندى وديعة فلما مضى (صلى الله عليه) أتيت فلقيت عبد الله ابنه الأفطح فقلت له: من صاحب الأمر بعد أبيك؟

فقال: أنا.

قلت: فتقرر أخاك بهذا؟

قال: نعم.

فجمعت بينهما و أعدت القول. فسكت عبد الله و لم ينطق، و سكت أبو الحسن موسى عليه السلام.

فلما رأيتهما لا يتكلمان قلت: سمعت أباكما يذكر ان النبى صلى الله عليه و آله قال: من مات بغير امام مات ميتة جاهلية. فقال أبو الحسن عليه السلام: امام حتى نعرفه.

قلت: اسمع أبوك يذكر هذا؟

قال: قد - و الله - قال ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله.

قلت: فعليك امام؟

قال: لا. و كان عبد الله قاعدا فلم ينطق.

فقممت و تركتهما، ثم لقيت أبا الحسن بعد ذلك فقال لى: يا عمر أنك جمجت بالقول فجمجت لك، فلما صرحت صرحت لك.

و روى ان عبد الله الأفطح لما ادعى الامامة دخل إليه جماعة من الشيعة ليسألوه عن مسائل فقال له بعضهم: فى كم تجب الزكاة؟

فقال له: فى المائتى درهم خمسة دراهم.

ص: ١٩٥

قالوا: فكم فى المائة؟

قال: درهمان و نصف.

فخرجوا من عنده و لم يسألوه عن شىء.

و روى عن مرآزم عن داود الرقى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: جعلنى الله فداك ان كان كون - و أعاذنى الله منه - فيك فإلى من؟

قال: الى ابنى موسى.

قال داود: فلما حدثت الحادثة بأبى عبد الله ما شككت فى موسى طرفه عين. ثم مكث نحو ثلاثين سنة ثم قصدته فقلت له: انى دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقلت: ان كان كون فإلى من، فنصّ عليك، و أنا اسألك كما سألته ان كان كون فإلى من؟

قال لى: الى على ابنى.

قال فمضى أبو الحسن موسى عليه السلام فو الله ما شككت فى الرضا عليه السلام طرفه عين.

و روى السارى عن محمد بن الفضيل عن داود الرقى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام:

حدّثنى عن القوم.

فقال: الحديث أحب إليك أو المعاينة؟

قلت: المعاينة.

فقال لأبى الحسن موسى عليه السلام: انطلق فائتنى بالقضيب.

فمضى فأحضره و أمره فضرب به الأرض ضربة فانشقت عن بحر أسود، ثم ضرب البحر بالقضيب فانفلق عن صخرة سوداء، فضرب الصخرة فانفتح فيها باب، فاذا بالقوم جميعا لا يحصون كثرة .. وجوههم مسودة و أعينهم مزرقّة، و كلّ واحد منهم مصفود مشدود الى جانب من الصخرة. موكلّ بكلّ واحد منهم ملك و هم ينادون: يا محمّد.

و الزبانية تضرب وجوههم و تقول لهم: كذبتُم ليس محمّد لكم و لا أنتم له.

فقلت له: جعلت فداك من هؤلاء؟

فقال لي: ذاك الجيت و الطاغوت، و ذاك: الرجس (قرمان)، و ذاك اللعين ابن اللعين، و لم يزل يعدّهم بأسمائهم كلّهم من أولهم إلى آخرهم حتى أتى على أصحاب السقيفة

ص: ١٩٦

و بنى الأزرق و الأوزاع من آل أبي سفيان و آل مروان - جدّ الله عليهم العذاب بكرة و أصيلا -.

ثم قال للصخرة: انطبقى عليهم الى الوقت المعلوم.

و نشأ أبو الحسن على مثل ما نشأ عليه آباؤه عليهم السّلام فلما حضرت وفاة أبي عبد الله عليه السّلام دعاه فأوصى إليه و سلّم إليه المواريث و كان قد اتصل بأبي عبد الله عليه السّلام: ان المنصور قال:

ان حدث علي جعفر بن محمد حادثة و أنا حى نظرت الى من يوصى فأقتله، فأوصى عليه السّلام وصيّته الظاهرة - خوفا على ابنه موسى و تقيّة - إلى أربعة؛ أولهم المنصور و الثانى عبد الله الأفطح ابنه و الثالث ابنته فاطمة و الرابع أبو الحسن موسى عليه السّلام.

و قام أبو الحسن موسى عليه السّلام بأمر الله سرّاً و اتّبعه المؤمنون، و كان قيامه بالأمر فى سنة ثمان و أربعين و مائة من الهجرة و له عشرون سنة فى ذلك الوقت.

و اتصل بالمنصور خبر وفاة أبي عبد الله عليه السّلام و سأل عن وصيّته، فأخبر بوصيته إليه و إلى ثلاثة معه، و حملت إليه، فوجد فيها اسمه مقدّما، فأمسك و لم يعرض لأبى الحسن ... الى أن مات المنصور فى سنة ثمان و خمسين و مائة فى عشر سنين من امامة أبي الحسن عليه السّلام و بويح لابنه المهدي محمد بن عبد الله. فلما ملك وجهه بجماعة من أصحابه فحمل أبو الحسن موسى عليه السّلام الى العراق.

فروى عن أبي خالد الزبالي قال: ورد علينا موسى عليه السّلام و قد حمّله المهدي، فخرجت فتلقّيته من «زباله» على أميال ثم شيّعته فلما ودّعته بكيت فقال: ما يبكيك يا أبا خالد؟

فقلت: يا سيدى قد حملت و لا أدري ما يكون؟

فقال: أما فى هذه المرّة فلا خوف علىّ منهم و أنا أعود إليك يوم كذا من شهر كذا فى ساعة كذا فترقب موافاتى و انتظرنى عند أوّل ميل.

و مضى فلقى المهدي و صرف الله كيده عنه و لم يعرض له، و سأله عرض حوايجه، فعرض ما رأى عرضها، فقضاها، و سأله الاذن فأذن له، فخرج (صلّى الله عليه) متوجّها الى المدينة.

قال أبو خالد: و لما كان ذلك اليوم خرجت نحو الطريق انتظره فأقمت حتى اصفرت

ص: ١٩٧

الشمس، و خفت أن يكون قد تأخر و أردت الانصراف، فرأيت سوادا قد أقبل، و إذا ببناء من ورائي، فالتفت فاذا مولاي موسى عليه السلام امام القطر على بغلة له يقول: يا أبا خالد.

قلت: لبيك يا مولاي يا ابن رسول الله. الحمد لله الذى خلصك و ردك.

فقال: يا أبا خالد لى إليهم عودة لا أخلص منها.

و رجع الى المدينة. فروى عن على بن أبى حمزة قال: كنت عند أبى الحسن عليه السلام إذ أتاه رجل من أهل الرى يقال له جندب فسلم عليه و جلس فسأله أبو الحسن عليه السلام، فأخفى مسألته ثم قال له: ما فعل أخوك؟

قال: بخير جعلنى الله فداك و هو يقرئك السلام.

فقال يا جندب أعظم الله أجرك فى أخيك.

فقال: يا سيدى ورد على كتابه قبل ثلاثة عشر يوما بالسلامة.

فقال: يا جندب أنه قد مات بعد كتابته بيومين و قد دفع الى امرأته مالا فقال ليكن هذا عندك فاذا قدم أخى فادفعه إليه و قد أودعته الأرض فى البيت الذى كان يكون فيه مبيته. فاذا أنت لقيتها فتلطّف لها و اطمعهها فى نفسك فأنها ستدفعه إليك.

قال على بن أبى حمزة: فلقيت جندبا بعد ذلك بسنين و قد عاد حاجّا فسألته عما كان قاله أبو الحسن عليه السلام. فقال: صدق و الله سيدى ما زاد و لا نقص.

و روى إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام قد نعى الى رجل نفسه، فقلت فى نفسى: و أنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته.

فالتفت إلىّ شبه المغضب و قال: يا إسحاق قد كان رشيد من المستضعفين، فعلم علم المنايا و البلايا، و الامام أولى بذلك يا إسحاق، اصنع ما أنت صانع، فعمرك قد فنى و أنت تموت الى سنتين، و اخوتك و أهل بيتك لا يلبثون بعدك حتى تفترق كلمتهم و يخون بعضهم بعضا و يشمت بهم عدوهم.

فلم يلبث اسحاق بعد ذلك إلّا سنتين حتى مات، و قام بنو عمار بأموال الناس و أفلسوا أقبح إفلاس.

و روى عن هشام بن سالم قال: دخلت على عبد الله بن جعفر فسألته عن مسائل فلم

ص: ١٩٨

يكن عنده جواب فذهبت الى باب أبي الحسن عليه السلام فلم يأذن لي فجئت الى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست أدعو وأبكي وجعلت أقول في نفسي: الى من أمضى؛ الى المرجئة؟

الى القدريّة؟ الى الزيدية؟ الى الحرورية. فانا في هذا إذ جاءني (مصاف) الخادم فأخذ بيدي فأدخلني إليه.

فلما نظر إليّ قال يا هشام: لا إلى المرجئة ولا إلى القدريّة ولا إلى الزيدية ولا إلى الحرورية ولكن إلينا.

فقلت به و سلّمت لأمره.

و روى عن علي بن أبي حمزة الثمالي عن أبي بصير قال: سمعت العبد الصالح يعنى موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لما وقع أبو عبد الله عليه السلام في مرضه الذي مضى فيه قال لي: يا بني لا يلي غسلي غيرك فاني غسلت أبي، والأئمة يغسل بعضهم بعضا.

و قال لي: يا بني ان عبد الله سيّدعى الامامة فدعه فانه أول من يلحقني من أهلي.

فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام أرخى أبو الحسن ستره و دعا عبد الله الى نفسه فقال له أبو بصير: ما بالك ما ذهبت العام و قد نحر عبد الله جزورا؟

قال: يا أبا محمّد ان عبد الله لا يعيش أكثر من سنة فأين يذهب أصحابه؟

قلت: سنة قد مرّت به.

قال: يموت فيها ليس يعيش أكثر منها. فلم يعيش أكثر من تلك السنة.

و عنه عليه السلام قال دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك بم يعرف الامام؟

فقال: بخصال؛ أولها النص من أبيه عليه، و نصبه للناس علما حتى يكون عليهم حجة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نصّب أمير المؤمنين عليه السلام علما و عرفه الناس، و كذلك الائمة نصّب الأول الثاني. و ان تسأله فيجيب، و تسكت عنه فيبتدئ، و يخبر الناس بما يكون في غد، و يكلم الناس بكلّ لسان كلّ أهل لغة بلغتهم.

قلت له: جعلت فداك تكلم الناس بكلّ لسان.

قال: نعم يا أبا محمّد و أعرف منطق الطير و الساعة. أعطيك علامة ذلك قبل أن تقوم من مكانك.

ص: ١٩٩

فما برحت حتى دخل علينا رجل من أهل خراسان فكلمه الرجل بالعربية فأجابه بالفارسية. قال الخراساني: ما معنى أن أكلّمك بكلامي الا ظننتك لا تحسنه؟

فقال له: سبحان الله إن كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلى عليك.

ثم قال لى: يا أبا محمّد ان الامام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس و لا طائر و لا بهيمة و لا شيء فيه روح. فمن لم يكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام.

و روى عن حماد بن عيسى الجهنى قال: دخلت على أبى الحسن موسى عليه السّلام فقلت له: جعلت فداك ادع الله أن يرزقنى دارا و زوجة و ولدا و خادما و أن أحجّ فى كلّ سنة.

فرفع يديه ثم قال: اللهم صلّ على محمّد و ارزقه دارا و زوجة و ولدا و خادما و الحجّ خمسين سنة.

ثم قال حمّاد: فحججت ثمانية و أربعين حجّة، و هذه زوجتى وراء السّتر تسمع كلامى، و هذا ابنى و هذه دارى و هذا خادمى.

و حجّ بعد هذا الكلام حجتين ثم خرج بعد الخمسين فرأى أبا العباس النوفلى فعرفنا أنّه لما صار فى موضع الاحرام دخل يغتسل فجاءه مد الوادى فحمله فغرق و دفن بالسيالة.

و أقام موسى بالمدينة باقى أيام المهدي، و توفى المهدي سنة تسع و ستين و مائة فى إحدى و عشرين سنة من إمامة أبى الحسن عليه السّلام و بويج لابنه موسى و لقّب بالهادى فأقام سنة و شهرين و مات فى سنة سبعين و مائة فى اثنين و عشرين سنة من إمامة أبى الحسن عليه السّلام.

و بويج لهارون الرشيد فى شهر ربيع الأول فى تلك السنة فوجّه فى حمل أبى الحسن عليه السّلام فلما وافاه الرسل دعا أبا الحسن الرضا عليه السّلام و هو أكبر ولده فأوصى إليه بحضرة جماعة من خواصّه و أمره بما احتاج إليه، و نحله كنيته و تكنى بأبى إبراهيم و دفع الى أم أحمد كتبها و قال لها سرّاً: من أتاك فطلب منك ما دفعته إليك و أعطاك صفته فادفعه إليه. و دفع إليها رقعة مختومة و أمرهما بأن تسلّمها مع ما قبلها الى أبى الحسن الرضا عليه السّلام اذا طلبها و أمر أبا الحسن عليه السّلام أن يبيت فى كلّ ليلة فى دهليز داره أو على بابه

ص: ٢٠٠

أبدا ما دام حيّاً. يعنى نفسه.

فروى محمّد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى قال حدّثنى مسافر قال: أمر أبو إبراهيم عليه السّلام أبا الحسن عليه السّلام حين حمل الى العراق أن ينام على بابه فى كلّ ليلة فكنا فى كلّ ليلة نفرش له فى الدهليز ثم يأتى بعد عشاء

الآخرة فينام فاذا أصبح انصرف الى منزله. و كنّا ربما حبانا الشيء مما يؤكل فيجىء حتى يستخرجه و يعلمنا أنّه قد علم به فمكث على هذه الحال أربع سنين و أبو إبراهيم مقيم معتقل فى يد السلطان فى حال رفاهية و اكرام.

و كان الرشيد يرجع إليه فى المسائل فيجيبه عنها حتى كان من البرامكة ما كان من السعى فى قتله و الاغراء به، حتى حبسه الغوى- يعنى الرشيد هارون- فى يد السندى ابن شاهك، و لم يزالوا يوقعون الحيلة حتى بعث الغوى الى السندى يأمره أن يقتله بالسّم و ان يحضره قبل ذلك العدول و القضاة حتى يروه.

و كان الناس اذا دخلوا دار السندى رأوا أبا إبراهيم عليه السّلام فيها. فروى ان الناس كثيرا ما يرونه ساجدا فيظنّونه ثوبا ملقى فى صفة الدار؛ حتى ثاروا فى وقت من الأوقات فسألوا عنه. فقيل لهم: هذا موسى بن جعفر، اذا صلى الغداة جلس يعقبها حتى تطلع الشمس يقرأ و يسبّح و يدعو ثم يسجد الى أن تزول الشمس.

فأدخل السندى القضاة قبل موته بثلاثة أيام، فأخرجه إليهم و قال لهم: ان الناس يقولون: ان أبا الحسن فى يدي فى ضنك و ضرر، ها هو ذا صحيح لا علة به و لا مرض و لا ضرر.

فالتفت عليه السّلام فقال لهم: اشهدوا علىّ انى مقتول بالسّم بعد ثلاثة أيام. فانصرفوا.

و روى من جهات صحيحة: ان السّندى أطعمه السّم فى رطب و أنّه أكل منها عشر رطبات فقال له السندى: تزداد؟ فقال له: حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه فيما أمرت به.

و كان السّم ممّا يتلف بعد ثلاثة أيام. ثم أحضر القضاة و العدول و أراهم إيّاه فقال عليه السّلام:

اشهدوا انى صحيح الظاهر لكّنى مسموم سأحمر فى هذا اليوم حمرة شديدة منكرة و أصفر غدا صفرة شديدة منكرة و أبيض بعد غد و أمضى الى رحمة الله و رضوانه.

ص: ٢٠١

فمضى كما قال عليه السّلام فى آخر اليوم الثالث فى ثلاث و ثمانين و مائة من الهجرة و كان سنه أربعاً و خمسين سنة أقام منها مع أبى عبد الله عليه السّلام عشرين سنة و منفرداً بالإمامة أربعة و ثلاثين سنة فأخرجه السندى الى مجلس الشرطة من الجسر ببغداد و كشف وجهه و نادى عليه: من أراد أن ينظر الى موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه لا هو مسموم و لا مقتول فليحضر من أراد.

و نظروا إليه ثم حمل و اتّبعه الناس حتى دفن فى موضع كان ابتاعه لنفسه فى مقابر قريش بمدينة السلام.

قال مسافر مولاه: و لما كان فى ليلة من الليالى و قد فرشنا لأبى الحسن الرضا عليه السّلام على عادته، ابطأ عَنّا فلم يأت كما كان يأتى، فاستوحش العيال و ذعروا و تداخلهم من ابطائه وحشة، حتى أصبحنا، فاذا هو قد جاء و حضر الدار و دخلها من غير اذن، و دعا أم أحمد فقال لها: هات الذى أودعك ابى عليه السّلام و سمّاه لها.

فصرخت و لطمت و شقّت ثيابها و قالت: مات و الله سيدي.

فكفها و قال لها: اكنمى الأمر و لا تظهره حتى يرد الخبر به على والى المدينة و يعرفه الناس من غيرنا فى وقته.

فأخرجت إليه سبطا فيه تلك الوديعة و مالا مبلغه ستة آلاف دينار و سلّمته إليه.

و كتموا الأمر حتى ورد الخبر على والى المدينة فنظرنا فوجدناه قد توفى فى تلك الليلة التى لم يحضر فيها أبو الحسن الرضا عليه السّلام بعينها. صلى الله عليه و على آبائه و أبنائهم الطاهرين و سلّم كثيرا.

على الرضا عليه السّلام

و قام أبو الحسن على بن موسى الرضا عليه السّلام بأمر الله عز و جل مع أبيه. و روى عن هشام بن حرمان قال: قال لى أبو إبراهيم عليه السّلام: قد قدم رجل نخاس من مصر فامض بنا إليه فمضينا. فاستعرض عدّة جوار من رقيق عنده يعجبه منهم شيء. فقال لى: سله عمّا بقى عنده. فسألته فقال: لم يبق إلّا جارية عليلة و تركناه و انصرفنا.

ص: ٢٠٢

فقال لى: عد إليه فابتع تلك الجارية منه بما يقول فأنّه يقول لك ثمانين دينارا فلا تماكسه. فأتيت النخاس فكان كما قال. و باعنى الجارية ثم قال لى النخاس: بالله اشتريتها لنفسك؟ قلت: لا. قال: فلمن؟ قلت: لرجل هاشمى.

قال لى: فانى أخبرك انى اشتريت هذه الجارية من أقصى المغرب فلقيتنى امرأة من أهل الكتاب فقالت لى: من هذه الجارية معك؟ قلت جارية اشتريتها لنفسى؟ فقالت: ما ينبغى أن تكون هذه إلّا عند خير أهل الأرض.

و لم تلبث عنده إلّا قليلا حتى حملت بأبى الحسن عليه السّلام و كان اسمها تكتم.

فروى عن أبى إبراهيم أنّه لما ابتاعها جمع قوما من أصحابه ثم قال: و الله ما اشتريت هذه الأمة إلّا بأمر الله و وحيه.

فسئل عن ذلك؟

قال: بينا أنا نائم إذ أتانى جدّى و أبى عليهما السّلام و معهما شقة حرير فنشراها فاذا قميص و فيه صورة هذه الجارية. فقالا: يا موسى ليكونن لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك. ثم أمرانى اذا ولدته ان اسميه عليّا و قالا لى: ان الله جل و تعالى يظهر به العدل و الرأفة. طوبى لمن صدّقه، و ويل لمن عاداه و جحده و عانده.

فولد (صلى الله عليه) في سنة ثلاث و خمسين و مائة من الهجرة بعد مضي أبى عبد الله عليه السلام بخمس سنين، و كانت ولادته على صفة ولادة آبائه صلى الله عليهم. و نشأ منشأهم.

و حدثني العباس بن محمد بن الحسن قال: حدثني محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن نعيم القابوسي عن عمه عن علي عن نصر بن قابوس قال: كنت عند أبى إبراهيم و على ابنه صبي يدرج في الدار، فقلت أرى عليا ذاهبا و جاثيا دون ساير الناس؟

فقال: هو أكبر ولدى و أحبهم إليّ و هو ينظر معي في كتاب الجفر و لا ينظر فيه إلّا نبي أو وصي نبي.

و روى عن محمد بن الحسين بن نعيم الصحاف و هشام بن الحكم قالوا: كنّا عند أبى إبراهيم عليه السلام فجاء الى ابنه فأخذه فأجلسه ثم قال لنا: هذا على ابني سيّد ولدى و قد

ص: ٢٠٣

نحلته كنيته.

فقام هشام بن الحكم ف ضرب على جبهته و قال: انا لله و أنا إليه راجعون نعي - و الله - إلينا نفسه.

و روى عن أحمد بن محمد بن أبى نصر عن سعيد بن أبى الجهم عن نصر بن قابوس قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: من الامام بعدك؟

فقال لي: موسى ابني.

فسألت موسى و قلت: من الامام بعدك، فقد سألت أباك فأخبرني أنّك أنت هو، فذهب الناس بك يمينا و شمالا، و قلت بك. فأخبرني من الامام بعدك؟

قال: على ابني.

و روى أيضا عن أحمد بن محمد بن أبى نصر عن عبد الملك بن أبى الضحاک عن داود بن رزين قال: حملت الى ابى إبراهيم مالا فأخذ منى بعضه ورد علىّ الباقي فقلت له: جعلت فداك لم رددت على هذا؟

فقال: امسكه حتى يطلبه منك صاحبه بعدى.

فلما مضى موسى عليه السلام بعث الى الرضا عليه السلام ان هات المال الذي قبلك.

فوجهت به إليه.

و روى عنه عن سعيد بن يزيد الزيات عن زياد القندى قال: كنت عند موسى عليه السلام بمكة و بين يديه على ابنه، فقال لى: هذا على ابنى، قوله قولى و كتابه كتابى، و خاتمه خاتمى، فما قال لكم من شىء فهو كما قال لكم.

و روى عن محمد بن الحسن الميثمى عن محمد بن اسماعيل بن الفضل الهاشمى قال: اشتكى موسى عليه السلام شكاة شديدة حتى خفنا عليه فقلت له: ان كان ما اسأل الله أن لا يرينا آياه و يعيذنا منه؟

قال من قال لى على ابنى فأنه وصى و خليفتى من بعدى.

و روى عن محمد بن عمر بن يزيد عن أخيه الحسن بن عمر قال: بعث الى موسى عليه السلام فاستقرض منى ستمائة دينار فلما مضى عليه السلام بعث الى الرضا عليه السلام: ان المال

ص: ٢٠٤

الذى كان لك على أبى عليه السلام فهو لك على.

و روى عن العباس بن محمد عن أبيه عن على بن الحكيم عن حيدرة بن أيوب عن محمد بن يزيد قال: دعانا أبو الحسن موسى عليه السلام و أشهدنا و نحن ثلاثون رجلا من بنى هاشم و غيرهم: ان عليا ابنه وصيه و خليفته من بعده.

و روى عن محمد بن سنان عن موسى بن بكر الواسطى قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السلام: الرجل يقول لابنه أو بنته بأبى أنت و أمى؟

فقال: ان كانا باقيين، فان ذلك عقوق. و ان كانا قد ماتا فلا بأس.

ثم قال لى: كان جعفر يقول لى: من سعادة المرء أن لا يموت حتى يرى خلفه من بعده يأمر و ينهى.

ثم نظر الى على ابنه فقال لى: و قد و الله أرانى الله خلفى من بعدى.

و روى العباس بن محمد عن أبيه عن صفوان بن يحيى و على بن جعفر قالوا: كنّا مع عبد الرحمن بن الحجاج بالمدينة فدخلناها بعد ما حمل موسى فجاءنا إسحاق و على ابنا أبى عبد الله عليه السلام فشهد عند عبد الرحمن: ان على بن موسى عليه السلام وصى أبيه و خليفته من بعده.

و روى عبد الله بن غنّام بن القاسم قال: قال لى منصور بن يونس «بزرع»: قال لى أبو إبراهيم عليه السلام و قد دخلت إليه يوما: يا منصور ما علمت ما أحدثت فى يومى هذا؟

قلت: لا.

قال: قد صيرت ابني علياً وصيى و الخلف من بعدى، فادخل إليه و هنئه بذلك.

و عنه، عن عبد الله بن محمد عن الحسن بن موسى الخشاب عن محمد بن إبراهيم عن محمد بن الفضل الهاشمي قال: لقد رأيت من علامات الرضا عليه السلام ما لو أدركت أمير المؤمنين ما كنت ابالي أن لا أرى أكثر مما رأيت.

و روى العباس بن محمد عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي علي الخزامي عن داود الرقي قال: قلت لموسى عليه السلام: قد كبر سنى و ضعف بدنى و لعلنى لا ألقاك بعد يومى هذا فأخبرنى من الامام بعدك؟

ص: ٢٠٥

فقال: على ابنى.

و بهذا الاسناد عن داود قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: ان حدثت حادثة فمن الامام بعدك؟

فقال لى: موسى ابنى.

فما شككت و الله فى موسى طرفة عين. و قلت لموسى مثل قولى لأبى عبد الله عليه السلام.

فقال لى: ابنى على.

فما شككت فى على طرفة عين.

و روى أنه لما وجّه هارون الغوى الى موسى عليه السلام ليحمله الى العراق أحضر الرضا عليه السلام و أوصى إليه و دفع إليه الاسم الأعظم و مواريث الأنبياء عليهم السلام و دفع الى أم أحمد المال و الودائع و أمرها أن تدفع ذلك الى من يعطيها علامته، و أمر الرضا عليه السلام أن يبيت فى دهليز داره ما دام حيّاً - كما شرحناه فى الخبر المتقدم - فلما مضى نعى موسى ببغداد قصد فى ذلك الوقت من ذلك اليوم الرضا عليه السلام و دخل الدار و أمر أم أحمد أن تدفع إليه ما عندها و اعطاها العلامة، فصرخت و لطمت و قالت: مات و الله سيدى فكفّها عليه السلام و قال لها: اكتمى و لا تظهرى شيئاً حتى يرد الخبر و الى المدينة.

و قام الرضا بأمر الله عزّ و جلّ فى سنة ست و ثمانين و مائة من الهجرة، و سنه فى ذلك الوقت ثلاثون سنة، و أظهر أمر الله لشيعته.

و روى الحميرى عبد الله بن جعفر عن محمد بن الحسين قال: حدّثنى سام بن نوح بن دراج قال: كنّا عند غسان القاضي فدخل إليه رجل من أهل خراسان عظيم القدر من أصحاب الحديث فأعظمه و رفعه و حادثه، فقال الرجل: سمعت هارون الرشيد يقول:

لأُخرجن العام إلى مكة و لآخذن على بن موسى و لأردّنه حياض أبيه.

فقلت: ما شيء أفضل من أتقرب إلى الله عز و جل و إلى رسوله فأخرج إلى هذا الرجل فأنذره.

فخرجت إلى مكة و دخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته بما قال هارون، فجزّاني خيرا ثم قال: ليس عليّ منه بأس. انا و هارون كهاتين. و أومى بإصبعه.

ص: ٢٠٦

و روى الحميري بأسناده قال: اجتمع على بن أبي حمزة البطائي و زياد القندي و ابن أبي سعيد المكارى فصاروا إلى الرضا عليه السلام فدخلوا إليه فقالوا: أنت امام؟

فقال: نعم.

فقالوا له: ما تخاف ممّا قد توعّدك به هارون، و ما شهر نفسه أحد من آبائك بما شهرتها أنت؟

فقال لهم: ان أبا جهل أتى النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: أنت نبي؟ فقال له: نعم. فقال له: أ ما تخاف مني؟ فقال له: ان نالني منك سوء فلست نبيّا.

و أنا أقول: ان نالني من هارون سوء فلست بإمام.

فقال له ابن أبي سعيد: اسألك.

فقال له: لم تسألني و لست من غنمي. سل عما بدا لك.

فقال له: ما تقول في رجل قال كلّ مملوك قديم في ملكي فهو حر، ما يعتق من ممالিকে؟

فقال له: أنّه يعتق من ممالিকে من مضى له في ملكه ستة أشهر؛ لقول الله عز و جل «وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» و بين العرجون القديم و العرجون الحديث ستة أشهر.

الحميري عن محمد بن عيسى عن أحمد بن عمر الحلال قال: قلت للرضا عليه السلام: اني أخاف عليك من هارون.

فقال: ليس عليّ بأس منه. ان الله عز و جل خلق بلادا تنبت بالذهب و قد حماها بأضعف خلقه بالنمل، فلو أرادتها الفيلة ما وصلت إليها.

و قال «الوشاء»: سألته عن هذه البلاد فأخبرني أنها بين نهر «بلخ» و «التبت» و أنها تنبت الذهب و فيها نمل كبار أشباه الكلاب ليس يمر بها الطير فضلا عن غيره .. تكمن بالليل في الأحجرة و تظهر بالنهار، فربما أغاروا على هذه البلاد على الدواب التي تقطع في الليلة ثلاثين فرسخا لا يصبر شيء من الدواب صبرها فيوقرونها ثم يرجعون من وقتهم. فاذا أصبحت النمل خرجت في الطلب فلا تلحق منهم أحدا إلّا قطّعته و هى الريح

ص: ٢٠٧

لسرعتها فاذا لحقتهم قذفوا لها قطع اللحم فاشتغلت بها. و لو لا ذلك للحقتهم و قطّعتهم و دوابهم.

الحميرى عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى: لما مضى ابو إبراهيم عليه السلام و تكلم أبو الحسن الرضا عليه السلام و كشف وجهه عما يستفتونه فيه، خفنا عليه. ف قيل له قد أظهرت أمرا عظيما، و أنا نخاف عليك هذا الغوى الطاغية.

فقال: ليجهد جهده فلا سبيل له على.

و أخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد قال لهارون: هذا على بن موسى قد قعد و ادعى الأمر لنفسه.

فقال: ما يكفيننا ما صنعنا بأبيه؟ أ تريدون أن أقتلهم كلهم.

و عنه عن محمد بن موسى عن محمد بن أبى يعقوب عن موسى بن مهران قال:

رأيت الرضا عليه السلام و قد نظر الى هرثمة بالمدينة و قال: كأنى به و قد حمل الى مرو فضربت رقبتة.

فكان كما قال.

قال: و كتب إليه موسى بن مهران يسأله ان يدعو لابنه العليل. فكتب إليه: وهب الله لك ولدا صالحا.

فمات ابنه العليل و ولد له ابن آخر خرج صالحا.

و عنه عن سهل بن زياد عن منصور بن العباس عن اسماعيل بن سهل عن بعض أصحابه قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل إليه على بن أبى حمزة و ابن السراج و ابن أبى سعيد المكاوى، فقال له على بن أبى حمزة: روينا عن آبائك ان الامام لا يلى أمره اذا مات إلّا امام مثله.

فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن الحسين بن على اماما كان أو غير إمام؟

قال: كان إماما فمن ولى أمره؟

قال: على بن الحسين.

قال: و أين كان على بن الحسين؟

ص: ٢٠٨

قال: في يد عبيد الله بن زياد محبوسا بالكوفة.

فقال: كيف ولى أمر أبيه و هو محبوس؟

فقالوا له: رويانا أنه خرج و هم لا يعلمون حتى ولى أمر أبيه ثم انصرف الى موضعه.

فقال الرضا عليه السلام: ان يكن هذا أمكن على بن الحسين و هو معتقل، فقد يمكن صاحب هذا الأمر و هو غير معتقل ان يأتي بغداد فيتولى أمر أبيه و ينصرف و ليس هو بمحبوس و لا بمأسور.

فقال له ابن أبي حمزة: فأننا رويانا ان الامام لا يمضى حتى يرى عقبه. فقال له الرضا عليه السلام: أ ما رويتم في هذا الحديث بعينه «إلا القائم».

قالوا: لا.

قال الرضا: بلى، قد رويتموه و أنتم لا تدرون لم قيل و لا ما معناه.

قال ابن أبي حمزة: ان هذا لفي الحديث.

فقال له الرضا عليه السلام: ويحك كيف تجرأت أن تحتج علىّ بشيء تدمج بعضه؟

ثم قال عليه السلام: ان الله تعالى سيريني عقبى إن شاء الله.

ثم قال لعلي بن أبي حمزة: يا شيخ اتق الله عز و جل و لا تكن من الصدادين عن دين الله.

و عنه عن محمد بن الحسين عن ابن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام بأى شيء يعرف الامام بعد الامام؟

فقال: بعلامات؛ منها: أن يكون أكبر ولد أبيه و يكون فيه الفضل و اذا قدم الركب المدينة سأل الى من أوصى فلان فيقولون الى فلان و السلاح فينا بمنزلة التابوت في بنى إسرائيل يدور مع الامامة كيف دار.

و عنه عن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن محمد بن الفضيل قال: لما كان في السنة التي بطش فيها هارون بجعفر بن يحيى و حبس يحيى بن خالد و ابنه الفضل و نزل بالبرامكة النوازل كان الرضا عليه السلام واقفا بعرفات يدعو ثم طأطأ برأسه حتى كادت جبهته تصيب قادمة الرجل ثم رفع رأسه.

ص: ٢٠٩

فسئل عن ذلك فقال: انى كنت أدعو على هؤلاء القوم يعنى البرامكة منذ أن فعلوا ما فعلوا. فاستجاب الله لى اليوم.

فلما انصرفنا لم نلبث إلّا أياما حتى ورد الخبر بالبطش بجعفر و قتله و حبس ابنه و أخيه و تغيّرت أحوالهم فلم يجبر الله لهم كسرا و لا عادت لهم حال و لا لعقبهم الى يوم القيامة.

و عنه عن محمد بن أبى يعقوب عن موسى بن مهران قال: رأيت على بن موسى عليه السلام فى مسجد المدينة و هارون الغوى يخطب فقال: ترونى انى و إياه ندفن فى بيت واحد، و أنّه لا يحجّ بعده أحد من هذا البيت.

و عنه عن محمد بن عيسى عن محمد بن حمزة عن الحسين بن إبراهيم بن موسى قال الححت على الرضا عليه السلام فى شىء أطلبه منه و كان يعدنى فخرجنا ذات يوم لنستقبل بعض الطالبين و حضر وقت الصلاة فجاز الى أقرب قصر فى تلك النواحي فنزل بالقرب من شجرات و نزلت معه فقلت له: جعلت فداك هذا العيد قد أظننا و لا و الله ما أملك درهما فما سواه. فحفر بسوطه الأرض ثم ضرب بيده فتناول سبيكة ذهب فقال: هاك استنفع بها و اكنتم ما رأيتم.

و لما مات هارون فى سنة ثلاث و تسعين و مائة و ذلك فى عشر سنين من امامة الرضا عليه السلام بويع لمحمد بن هارون المعروف بابن زبيدة.

فروى الحميرى عن محمد بن عيسى عن الحسين بن بشار قال: قال لى الرضا عليه السلام فى ذلك الوقت: عبد الله يقتل محمدا أخاه.

قلت له: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن زبيدة؟

قال: نعم، عبد الله بخراسان يقتل محمد بن هارون أخاه.

قلت: عبد الله الذى بخراسان صاحب طاهر و هرثمة يقتل محمد بن زبيدة الذى ببغداد؟

قال: نعم.

و كان من أمره ما كان و قتله.

ص: ٢١٠

و روى عن الحسين بن على الوشاء قال: دخلت على الرضا عليه السّلام فقال لى: كان أبى البارحة عندى فرأنى اتفزع، فقال لى فى النوم شيئا ثم قال: نومتنا و يقظتنا بمنزلة واحدة.

و قتل محمد بن زبيدة فى المحرم سنة سبع و تسعين و مائة و ذلك فى أربعة عشر سنة من إمامة الرضا عليه السّلام.

و روى عبد الرحمن بن جعفر الحميرى عن أحمد بن هلال عن أمية بن على قال:

كنت مع الرضا عليه السّلام فى السنة التى حجّ فيها ثم خرج الى خراسان و كان معه أبو جعفر ابنه و له فى ذلك الوقت سنة و الرضا عليه السّلام يودّع البيت فلما قضى طوافه عاد الى المقام فصلّى عنده و أبو جعفر على عاتق موفق الخادم يطوف به، فلما صار به الى الحجر جلس أبو جعفر عنده فأطال فقال له موفق: قم يا مولاي جعلت فداك.

قال: ما أريد أن أبرح من مكانى هذا إلّا أن يشاء الله.

و استبان فى وجهه الغمّ، فصار موفق الى أبى الحسن عليه السّلام فأخبره بخبره فقام أبو الحسن فصار إليه و قال له قم: يا حبيبى.

فقال: ما أريد أن أبرح من مكانى هذا و كيف أبرح و قد رأيتك ودّعت البيت وداعا لا ترجع إليه أبدا.

فقال له: قم معى.

فقام معه.

و عنه عن محمد بن الحسن بن محمد بن سنان قال: كنّا مع الرضا عليه السّلام بمكة فلما أردنا الخروج قلنا له: ان رأيت أن تكتب معنا الى ابى جعفر كتابا لنسلم عليه و نلقاه بكتابك اذا قدمنا المدينة؟

فكتب لنا إليه كتابا فلما وافينا أخرجه إلينا موفق على كتفه فدفعنا إليه الكتاب فعجز عن فضّه لصغر سنّه ففضّه له موفق و نشره بين يديه فأقبل ينظر فيه سطرا سطرا و يتبسّم و يطويه حتى قرأه الى آخره.

قال محمد بن سنان: فلما فرغ من قراءته حرّك رجله على ظهر موفق و قال: تاخ

ص: ٢١١

تاخ.

قال: فدنوت منه فتمسحت به و قلت: «فطرسية فطرسية».

فعاد بصرى بعد ما كان ذهب.

و كان من أمر المأمون و اظهاره التشييع و مناظرته الناس و دعوته الى هذا الدين القيم ما رواه الناس و ما عزم عليه من نقل الأمر الى الرضا عليه السلام ثم كتب إليه بذلك و سأله القدوم إليه ليعقد له الأمر. فامتنع عليه ثم كاتبه فى الخروج و أقسم عليه.

فروى عن محمد بن عيسى عن ابى محمد الوشاء و روى جماعة من أصحاب الرضا عليه السلام قال: قال على الرضا: لما أردت الخروج من المدينة جمعت عيالى و أمرتهم أن يبكوا علىّ حتى أسمع بكاءهم ثم فرقت فيهم اثنى عشر ألف دينار لعلمى انى لا أرجع إليهم أبدا.

قال: ثم أخذ أبو جعفر عليه السلام فأدخله المسجد و وضع يده على حائط القبر و ألصقه به و استحفظه رسول الله صلى الله عليه و آله فقال له: يا أبا أنت و الله تذهب الى الله. ثم أمر أبو الحسن عليه السلام جميع وكلائه بالسمع و الطاعة له و ترك مخالفتة، و نص عليه عند ثقاته و عرفهم أنه القيم مقامه و شخص عليه السلام على طريق البصرة - كما سأله المأمون.

فروى عن أبى حبيب النبأى أنه قال رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه و آله قد وافى النبأ و نزل فى المسجد الذى ينزله الحاجّ فى كلّ سنة و كأنى مضيت إليه و سلّمت عليه و وقفت بين يديه و وجدت بين يديه طبقا من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحانى فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنى فعددته ثمانى عشرة تمرة. و فى رواية اخرى أنه قال إحدى و عشرين تمرة. فتأولت انى أعيش بعدد كلّ تمرة سنة. فلما كان بعد عشرين يوما كنت فى أرض تعمر بين يدي الزراعة حتى جاءنى من أخبرنى بقدوم أبى الحسن الرضا عليه السلام من المدينة و نزوله فى ذلك المسجد و رأيت الناس يسعون إليه، فمضيت نحوه فاذا هو جالس فى الموضع الذى كنت رأيت فيه النبى صلى الله عليه و آله و تحته حصير مثل ما كان تحته و بين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحانى. فسلّمت عليه فرد علىّ السلام و استدنانى، فناولنى قبضة من ذلك التمر فعددته فاذا عددها مثل ذلك العدد الذى ناولنى رسول

ص: ٢١٢

الله صلى الله عليه و آله سواء.

فقلت: له زدنى يا ابن رسول الله.

فقال: لو زادك رسول الله لزدناك.

و أقام يومه و رحل يراد به خراسان على طريق البصرة و الأهواز و فارس و كرمان.

فروى ان المأمون استقبله و أعظمه و أكرمه و أظهر فضله و اجلاله و ناظره فيما عزم عليه فى أمره.

فقال له: ان هذا أمر ليس بكائن فينا إلّا بعد أن يملك أكثر من عشرين رجلا بعد خروج السفيناني فألحّ عليه فامتنع.

ثم أقسم فأبرّ قسمه بأن يعقد له الأمر بعده. و جلس مع المأمون للبيعة ثم سأله المأمون أن يخرج فيصليّ بالناس في عيد الأضحى فاستعفاه و امتنع عليه. فلم يعفه، فأمر القواد و الجيش بالركوب معه فاجتمعوا و سائر الناس على بابه، فخرج عليه السّلام و عليه قميصان و طيلسان و عمامة قد أسدل لها ذؤابتين من قدامه و خلفه و قد اكتحل و تطيب و بيده غرة كما كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يفعل في الأعياد.

فلما خرج وقف بباب داره و كبر و قدّس و هلل و سبّح، فضجّ الناس بالبكاء و هو يمشى، فترجّل القواد و الجيش يمشون بين يديه و خلفه، و كلّما خطا أربعين خطوة وقف فكبر و هلل؛ و الناس يكبرون معه. و كاد البلدان يفتتن، و اتصل الخبر بالمأمون فبعث إليه: يا سيدي كنت أعلم بشأنك منى. فارجع.

و رجع و لم يصل بالناس. ثم زوّجه المأمون ابنته - و قالوا اخته أم أبيها - و الرواية الصحيحة اخته أم حبيبة. و سأله أن يخطب لنفسه.

فروى أحمد بن أبي نصر السكوني قال: لما اجتمع الناس للاملاك و خطب الرضا عليه السّلام فقال: الحمد لله الذي بيده مدار الأقدار و بمشيئته تتمّ الامور، و اشهد ان لا إله إلّا الله شهادة يواطئ عليها القلب اللسان، و السرّ الاعلان، و أشهد ان محمّدا عبده و رسوله انتجبه نبيا، فنطق البرهان بتحقيق نبوّته، بعد أمر لم يأذن الله فيه و قرب أمر مآب مشية الله إليه، و نحن نتعرّض ببركة الدّعاء لخيرة القضاء و التي تذكر أم حبيبة اخت أمير المؤمنين

ص: ٢١٣

عبد الله المأمون صلة الرحم، و أمشاج الشبيكة، و قد بذلت لها من الصداق خمسمائة درهم، تزوّجني يا أمير المؤمنين؟

فقال المأمون: نعم قد زوجتك.

فقال: قد قبلت و رضيت.

و روى عن الحسن بن على بن الريان قال: حدّثنى الريان بن الصلت قال: لما أردت الخروج الى العراق عزمت على توديع الرضا عليه السّلام فقلت في نفسي: اذا ودّعته سألته قميصا من مجاسده لأكفن فيه و دراهم من ماله أصوغها لبناتي خواتيم.

فلما ودّعته شغلني البكاء و الأسى على فراقه عن مسألته ذلك.

فلما خرجت من بين يديه صاح: يا (ريان) ارجع.

فرجعت، فقال لى: أ ما تحب أن أدفع إليك قميصا من مجاسدى تكفن فيه اذا فنى أجلك؟ أو ما تحب أن أدفع إليك دراهم تصوغ بها لبناتك خواتيم؟

فقلت: يا سيدى قد كان فى نفسى ان أسألك ذلك، فمنعنى منه الغم لفراقك.

فرفع الوسادة فأخرج قميصا و دفعه إليّ، و رفع جانب المصلّى فأخذ دراهم فدفعها إليّ عددها ثلاثون درهما.

و روى الحسين بن على الوشاء المعروف بابن بنت الياس قال: شخّصت الى خراسان و معى حبل و شىء للتجارة فوردت مدينة مرو ليلا و كنت أقول بالوقف على موسى عليه السّلام فوافانى فى موضع نزولى غلام أسود كأنه من أهل المدينة فقال لى: سيدى يقول لك وجه إليّ بالحبرة التى معك لأكفن بها مولى لنا قد توفى.

فقلت له: و من سيّدك؟

فقال: على بن موسى عليه السّلام.

فقلت: ما معى حبرة و لا حلّة إلّا و قد بعثها فى الطريق.

فمضى ثم عاد إليّ فقال: بلى قد بقيت الحبرة قبلك.

فحلفت له: انى ما أعلمها معى.

فمضى و عاد الثالثة فقال: هى فى عرض السفط الفلانى.

ص: ٢١٤

فقلت فى نفسى: ان صح قوله فهى دلالة؛ و كانت ابنتى دفعت إليّ حبرة و قالت: ابتع لى بئمنها شيئا من الفيروزج و الشبه من خراسان، فأنسيته.

فقلت لغلّامى: هات هذا السفط الذى ذكره.

فاخرجه إليّ و فتحه فوجدت الحبرة فى عرض ثياب فيه فدفعته إليّ و قلت: لا آخذ لها ثمن.

فعاد إليّ فقال: تهدي ما ليس لك؟ هذه دفعته إليك ابنتك فلانة و سألتك بيعها و ان تبتاع لها بئمنها فيروزجا و شبهها، فاشتر لها بهذا ما سألت.

و وجّه مع الغلام الثمن الذى يساوى الحبرة بخراسان. فعجبت مما ورد علىّ و قلت:

و الله لأكتبن له مسائل أنا شاكّ فيها ثم لأمتحنه فى مسائل سئل أبوه عنها، فأثبتّ تلك المسائل فى درج و غدوت الى بابه و المسائل فى كمى، و معى صديق لى مخالف لا يعلم شرح هذا الأمر.

فلما وافيت بابه رأيت العرب و القواد و الجند و الموالى يدخلون إليه فجلست ناحية و قلت فى نفسى: متى أصل أنا الى هذا فأنا مفكر و قد طال قعودى و هممت بالانصراف إذ خرج خادم يتصفّح الوجوه و يقول: ابن بنت الياس الصيرفى! فقلت: ها أنا ذا.

فأخرج من كمة درجا و يقول: هذا جواب مسائلك و تفسيرها.

ففتحتّه فاذا هو تفسير ما معى فى كمي. فقلت: اشهد ان لا إله إلا الله و أشهد الله و رسوله أنك حجّة الله، و استغفر الله و أتوب إليه.

و قمت فقال لى رفيقى: الى أين تسرع؟

فقلت: قد قضيت حاجتى فى هذا اليوم و أنا أعود للقاءه بعد هذا.

و كان من أمر الفضل بن سهل (ذى الرئاستين) و تغير المأمون عليه حتى دسّ إليه من قتله فى الحمام ما رواه الناس.

روى عن أبى الصلت الهروى عن محمد بن على بن حمزة عن منصور بن بشير عن أخيه عبد الله بن بشير قال: قال لى المأمون يوما: أطل أظفارك و لا تقلّمها.

ص: ٢١٥

فطوّلتها حتى استحييت من الناس طولها. فحضرتّه يوما و قد دعا بمزور مختوم فأمرنى بفضّه و ادخال يدى فيه و تقليب الدواء الذى فيه ففعلت و كان فيه شيء مطحون مثل الذريرة البيضاء امتلأت أظفارى منه و صار فيها منه ثم قال لى: قم بنا.

فلم أدر ما يريد فيدخل من باب كان بينه و بين دار الرضا عليه السّلام و كان قد أنزله فى دار معه تلاصق داره و كان الرضا عليه السّلام قد حم فجلس عنده و سأله عن خبره ثم قال له:

الصواب ان تمص رمانا أو تشرب ماءه.

فقال: ما بى إليه حاجة.

فأقسم عليه ليفعلن، و كان فى بستان الدار شجرة رمان حامل فأمر الخادم فقطف منها رمانة ثم قال لى: تقدّم فقشّرها و فثّها.

فقلت فى نفسى: أنا لله و أنا إليه راجعون، هذه و الله المصيبة العظمى.

ففتت الرمانة فى جام بلور أحضره الخادم و دعا بملعقة فناوله من يده ثلاث ملاعق.

فلما رفع إليه الرابعة قال له: حسبك قد أتيت على ما احتجت إليه وبلغت مرادك.

فنهض المأمون فلم يمس يومنا حتى ارتفع الصراخ.

وكان من حديث حفر القبر و السمك الصغار ما رواه الناس.

و دفن عليه السّلام بطوس أمام قبر هارون الغوى. و مضى صلى الله عليه في سنة اثنين و مائتين من الهجرة في آخر ذى الحجة.

و روى أنه مضى في صفر، و الخبر الأول أصح. و كان مولده في سنة ثلاث و خمسين و مائة بعد مضى أبى عبد الله عليه السّلام بخمس سنين فأقام مع أبيه عليه السّلام ثلاثين سنة و بعده في الامامة تسع عشرة سنة، و مضى و سنّه تسع و أربعون سنة و شهور.

و روى على بن محمد الخصيبى قال: حدّثنى محمد بن إبراهيم الهاشمى قال: حدّثنى عبد الرحمن بن يحيى قال: كنت يوما بين يدي مولاي الرضا عليه السّلام في علقته التي مضى فيها إذ نظر إليّ فقال لى: يا عبد الرحمن اذا كان في آخر يومى هذا و ارتفعت الصيحة فأنه سيوافيك ابني محمد فيدعوك الى غسلى فاذا غسلتمونى و صليتكم علىّ فأعلم هذا الطاغية لثلا ينقص علىّ شيئا و لن يستطيع ذلك.

ص: ٢١٦

قال: فو الله انى بين يدي سيدى يكلمنى إذ وافى المغرب فنظرت فاذا سيدى قد فارق الدنيا فأخذتنى حسرة و غصة شديدة فدنوت إليه فاذا قائل من خلفى يقول: مه يا عبد الرحمن، فالتفت فاذا الحائط قد انفرج فاذا أنا بمولاي أبى جعفر عليه السّلام و عليه دراعة بيضاء معمم بعمامة سوداء فقال: يا عبد الرحمن قم الى غسل مولاك فضعه على المغتسل، و غسله بثوبه كغسل رسول الله صلى الله عليه و آله.

فلما فرغ، صلى و صليت معه عليه، ثم قال: لى يا عبد الرحمن أعلم هذا الطاغى ما رأيت لثلا ينقص عليه شيئا و لن يستطيع ذلك.

و لم أزل بين يدي سيدى الى أن انفجر عمود الصبح فاذا أنا بالمأمون قد أقبل في خلق كثير فمنعنى هيبتة ان أبدأ بالكلام فقال: يا عبد الرحمن بن يحيى ما أكذبكم أ لستم تزعمون أنه ما من امام يمضى إلّا و ولده القائم مكانه يلى أمره. هذا على بن موسى بخراسان و محمّد ابنه بالمدينة.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أما اذا ابتدأتنى فاسمع أنه لما كان أمس قال لى سيدى كذا و كذا فو الله ما حضرت صلاة المغرب حتى قضى، فدنوت منه فاذا قائل من خلفى يقول: مه يا عبد الرحمن.

و حدّثته الحديث، فقال: صفه لي، فوصفته له بحليته و لباسه و أريته الحائط الذي خرج منه. فرمى بنفسه الى الأرض و أقبل يخور كما يخور الثور و هو يقول: ويلك يا مأمون؟ ما حالك و على ما أقدمت؟ لعن الله فلانا و فلانا فإنّهما أشارا علىّ بما فعلت.

محمد الجواد عليه السّلام

و قام أبو جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السّلام مقام أبيه.

فروى أنّه كان اسم أم أبي جعفر سبيكة فإنّها كانت أفضل نساء زمانها.

و روى أنّه ولد عليه السّلام ليلة الجمعة لإحدى عشر ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس و تسعين و مائة فلما ولد قال أبو الحسن عليه السّلام لأصحابه في تلك الليلة: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران عليه السّلام فالتق البحار قدست أم ولدته فلقد خلقت طاهرة مطهّرة ثم قال:

ص: ٢١٧

بأبي و أمي شهيد يبكي عليه أهل السماء يقتل غيظا و يغضب الله - جل و عز - على قاتله فلا يلبث إلّا يسيرا حتى يعجل الله به الى عذابه الأليم و عقابه الشديد.

و روى عبد الرحمن بن محمد عن كلثم بن عمران قال: قلت للرضا عليه السّلام: أنت تحبّ الصبيان فادع الله أن يرزقك ولدا.

فقال: إنّما أرزق ولد واحد و هو يرثني.

فلما ولد أبو جعفر عليه السّلام كان طول ليلته يناغيه في مهده فلما طال ذلك على عدّة ليال قلت له: جعلت فداك قد ولد للناس أولاد قبل هذا فكلّ هذا تعوده؟

فقال: ويحك ليس هذا عوذة إنّما اغره بالعلم غرّاً.

و كان مولده و منشؤه على صفة مواليد آبائه عليهم السّلام.

و روى الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري عن الحسن بن بشار الواسطي قال: سألتني الحسن بن قياما الصيرفي ان استأذن له على الرضا عليه السّلام ففعلت، فلما صار بين يديه قال له ابن قياما: أنت امام؟

قال: نعم.

قال: فاني أشهد أنّك لست بإمام.

قال له: و ما علمك؟

قال: لأني رويت عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: الامام لا يكون عقيماً، و قد بلغت هذا السن و ليس لك ولد.

فرفع رأسه الى السماء ثم قال: اللهم اني أشهدك أنه لا تمضي الأيام و الليالي حتى ترزقني ولدا يملأ الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

فعددتنا الوقت فكان بينه و بين ولادة أبي جعفر عليه السلام شهر الحمل.

و روى الحميري عن عبد الله بن أحمد عن صفوان بن يحيى عن حكيمة ابنة ابي إبراهيم موسى عليه السلام قالت: لما علقت أم أبي جعفر كتبت إليه ان جاريتك سبيكة قد علقت.

فكتب إلى: انها علقت ساعة كذا من يوم كذا من شهر كذا فاذا هي ولدت فالزميها سبعة أيام.

ص: ٢١٨

قال: فلما ولدته و سقط الى الأرض قال: أشهد ان لا إله إلا الله و ان محمداً رسول الله صلى الله عليه و آله.

فلما كان اليوم الثالث عطس فقال: الحمد لله و صلى الله على محمد و على الأئمة الراشدين.

و حج الرضا عليه السلام بعد ذلك بسنة و معه أبو جعفر فكان من أمر البيت و الحجر و جلوسه فيه عليه السلام ما قد ذكرناه في باب الرضا عليه السلام.

و روى عن محمد بن الحسين عن علي بن اسباط قال: خرج عليّ أبو جعفر عليه السلام فجعلت أنظر إليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فقال لي: يا علي بن اسباط ان الله عز و جل احتج في الامامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال: «و آتيناك الحُكْمَ صَبِيّاً»، و قال: «و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا و عِلْمًا» فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبياً و يؤتاه ابن أربعين.

و روى أنه كان يتكلم في المهد. و روى عن زكريا بن آدم قال: اني لعند الرضا عليه السلام إذ جرىء بأبي جعفر عليه السلام و سنّه نحو أربع سنين فضرب الى الأرض و رفع رأسه الى السماء فأطال الفكر فقال له الرضا عليه السلام: بنفسى أنت فيم تفكر طويلاً منذ قعدت. قال: فيما صنع بأمي فاطمة عليها السلام اما و الله لأخرجنهما ثم لأحرقنهما ثم لأذرينهما ثم لأنفسنهما في أليم نسفاً.

فاستدناه و قبل بين عينيه ثم قال: بأبي أنت و أُمّي أنت لها - يعنى الامامة.

و روى عن موسى بن القاسم عن محمد بن علي بن جعفر قال: كنت مع الرضا فدعا بأبي جعفر ابنه و هو صبي صغير فأجلسه ثم قال لي: جرّده.

فنزعت قميصه فأراني في أحد كتفيه كالحاتم داخلا في اللحم ثم قال: ترى هذا؟

كان مثله في هذا الموضع من أبي إبراهيم.

و روى عن علي بن اسباط عن نجم الصنعاني قال: اني لعند الرضا عليه السلام إذ جىء بأبي جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك هذا المولود المبارك؟

فقال لي: نعم هذا الذي لم يولد أعظم بركة منه على شيعتنا.

ص: ٢١٩

و روى الحميري عن محمد بن عيسى الأشعري عن الأسدى عن أبي خدّاش عن جنّان بن سدير قال: قلت للرضا عليه السلام: يكون امام ليس له عقب؟ فقال لي: أما أنّه لا يولد لى إلّا واحد و لكن الله ينشئ منه ذريّة كثيرة.

و لم يزل أبو جعفر عليه السلام مع حدّاته و صباه يدبر أمر الرضا عليه السلام بالمدينة و يأمر الموالى و ينهّاهم لا يخالف عليه أحد منهم.

و روى صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: يهب الله لى غلاما. فقد وهب الله و أقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك، فان كان كون فإلى من؟

فأشار بيده الى أبي جعفر عليه السلام و هو نائم بين يديه فقلت: جعلت فداك هو ابن ثلاث سنين.

قال: و ما يضرّه ذلك؟ قد قام عيسى بالحجّة و هو ابن ثلاث سنين.

و روى عن الحسن بن الجهم قال: دخلت على الرضا؛ و أبو جعفر صغير بين يديه فقال لى بعد كلام طويل جرى: لو قلت لك يا حسن ان هذا امام، ما كنت تقول؟

قال: قلت ما تقوله لى جعلت فداك.

قال: أصبت، ثم كشف عن كتف أبي جعفر فأراني مثل رمز اصبعين.

فقال لي: مثل هذا كان فى مثل هذا الموضع من أبي موسى عليه السلام.

الحميرى عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى قال: قال لى أبو الحسن الرضا عليه السلام:

كان أبو جعفر محدّثا.

و روى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: دخلت و صفوان بن يحيى على الرضا عليه السلام؛ و أبو جعفر عنده نائم له ثلاث سنين فقلنا له: جعلنا الله فداك أئنا - و نعوذ بالله من حدث يحدث - لا ندرى من القائم بعدك؟

قال: ابني هذا.

فقلت: و هو فى هذا السن؟

فقال: ان الله تبارك و تعالى احتج بعيسى ابن مريم عليه السلام و هو ابن السنتين و ان الامامة

ص: ٢٢٠

تجرى مجرى النبوة.

و عنه عن محمد المحمودى عن أبيه ان حاضنة أبى جعفر قالت له يوما: ما لى أراك مفكراً كأنك شيخ؟

فقال لها: ان عيسى بن مريم كان يمرض و هو صبي فيصف لأمه ما تعالجه به فاذا تناوله بكى.

قالت: يا بنى إنما أعالجتك بما علمتني.

فيقول لها: الحكم حكم النبوة، و الخلقة خلقة الصبيان.

و عن المحمودى قال: كنت واقفا على رأس الرضا عليه السلام بطوس فقال لى بعض أصحابه: ان حدث حدث، فإلى من؟

فالتفت عليه السلام و قال له: الى ابني أبى جعفر.

فكان الرجل استصغر سنّه، فقال له أبو الحسن: ان الله بعث عيسى بن مريم قائما بشريعته و هو فى دون السن التى يقوم فيها أبو جعفر على شريعتنا.

فلما مضى الرضا عليه السلام فى سنة اثنتين و مائتين كانت سن أبى جعفر نحو سبع سنين.

و اختلفت الكلمة من الناس ببغداد و فى الأمصار و اجتمع الريان بن الصلت و صفوان بن يحيى و محمد بن حكيم و عبد الرحمن بن الحجاج و يونس بن عبد الرحمن و جماعة من وجوه الشيعة و ثقاتهم فى دار عبد الرحمن بن الحجاج فى بركة زلول ييكون و يتوجعون من المصيبة فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء، من لهذا الأمر؟

و إلى من يقصد بالمسائل الى أن يكبر هذا الصبي؟ - يعنى أبا جعفر عليه السلام.

فقام إليه الريّان بن الصلت فوضع يده فى حلقة و لم يزل يلطمه و يقول له: يا ابن الفاعلة أنت تظهر الايمان لنا و تبطن الشك و الشرك. ان كان أمره من الله - جل و علا - فلو أنّه ابن يوم واحد كان بمنزلة ابن مائة سنة، و ان لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو كواحد من الناس. هذا ما ينبغى أن يفكر فيه.

فأقبلت العصابة على يونس تعذله و توبّخه. و قرب وقت الموسم و اجتمع من فقهاء بغداد و الأمصار و علمائهم ثمانون رجلا و قصدوا الحجّ و المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السّلام،

ص: ٢٢١

فلما وافوا أتوا دار أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السّلام فدخلوها و أجلسوا على بساط كبير أحمر و خرج إليهم عبد الله بن موسى فجلس فى صدر المجلس و قام مناد فنادى: هذا ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله، فمن أراد السؤال فليسأله.

فقام إليه رجل من القوم فقال له: ما تقول فى رجل قال لامرأته أنت طالق عدد نجوم السماء؟

قال: طلقت بثلاث بصدر الجوزاء و النسر الواقع.

فورد على الشيعة ما حيرهم و غمّهم.

ثم قام إليه رجل آخر فقال: ما تقول فى رجل أتى بهيمة؟

فقال: تقطع يده و يجلد مائة و ينفى.

فضجّ القوم بالبكاء. و قد اجتمع فقهاء الأمصار من أقطار الأرض بالمشرق و المغرب و الحجاز و مكة و العراقيين و اضطربوا للقيام و الانصراف حتى فتح عليهم باب من صدر المجلس و خرج موفق الخادم بين يدى أبى جعفر عليه السّلام و هو خلفه و عليه قميصان و أزار عدنى و عمامة بذؤابتين احدهما من قدام و أخرى من خلفه و فى رجليه نعل بقبالين فسلمّ و جلس، و أمسك الناس كلّهم، فقام صاحب المسألة الاولى فقال له: يا ابن رسول الله ما تقول فى رجل قال لامرأته أنت طالق عدد نجوم السماء؟

قال عليه السّلام: اقرأ كتاب الله عز و جل «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ».

قال له: فان عمك قد أفئنا أنها قد طلقت.

فقال له: يا عم اتق الله و لا تفت و فى الامامة من هو أعلم منك.

فقام إليه صاحب المسألة الثانية فقال: يا ابن رسول الله ما تقول فى رجل أتى بهيمة؟

فقال له يعزّر و يحمى ظهر البهيمة و تخرج من البلد لئلا يبقى على الرجل عارها.

فقال له: ان عمّك أفتى بكيت و كيت.

فقال: لا إله إلّا الله! يا عمّ أنّه لعظيم عند الله أن تقف غدا بين يديه، فيقول لك: لم أفتيت عبادى بما لم تعلم و فى الامامة من هو أعلم منك.

ص: ٢٢٢

فقال له عبد الله بن موسى: رأيت أخى الرضا و قد أجاب فى مثل هذه المسألة بهذا الجواب.

فقال له أبو جعفر عليه السّلام: انما سئل الرضا عليه السّلام عن نباش نبش قبر امرأة و فجر بها و أخذ أكفانها فأمر بقطعه للسرقة و نفيه لتمثيله بالميت.

قال أبو خدّاش المهدي و كنت قد حضرت مجلس موسى عليه السّلام فأتاه رجل فقال له:

جعلنى الله فداك أم ولد لى أرضعت جارية لى بالغة بلبن ابنى أ يحلّ لى نكاحها أم تحرم على؟

فقال أبو الحسن: لا رضاع بعد فطام.

و سأله عن الصلاة فى الحرمين تتم أم تقصر؟

فقال: ان شئت أتمم و ان شئت قصر.

قال له: الخصى يدخل على النساء.

فأعرض وجهه.

قال: فحججت بعد ذلك فدخلت على الرضا عليه السّلام فسألته عن هذه المسائل فأجابنى بالجواب الذى أجاب به موسى عليه السّلام و كان جالسا مجلس أبى جعفر فى هذا الوقت قال:

فقلت لأبى جعفر عليه السّلام: جعلت فداك أم ولد لى أرضعت جارية بالغة بلبن ابنى أ يحرم على نكاحها؟

فقال: لا رضاع بعد فطام.

قلت: الصلاة فى الحرمين؟

قال: ان شئت اتمم و ان شئت قصر و كان أبى عليه السلام يتم.

قلت: الخصى يدخل على النساء.

فحول وجهه ثم استدنانى و قال: و ما نقص منه إلا الخنائة الواقعة عليه.

قال: و كان اسحاق بن إسماعيل بن نوبخت فى تلك السنة مع الجماعة. قال اسحاق:

فأعددت له فى رقعة عشر مسائل و كان لى حمل، فقلت: ان أجابنى عن مسائلى سألته أن يدعو الله أن يجعله ذكرا، فلما سأله الناس قمت و الرقعة معى لأسأله.

ص: ٢٢٣

فلما نظر إلى قال: يا أبا اسحاق سمّه أحمد.

فولد لى ذكر فسمّيته أحمد. فعاش مدّة و مات.

و كان فيمن خرج مع الجماعة على بن حسان الواسطى المعروف بالأعمش قال:

فحملت معى شيئا من آلات الصبيان مصاغة من فضة و قلت أهديها الى مولاي و أتحنف بها. فلما تفرّق الناس عنه و أجاب جميعهم عن مسائلهم و مضى الى منزله اتبعته فلقيت موقفا فقلت: استأذن لى على مولاي ففعل. و دخلت فسلمت عليه فرد علىّ فتبينت فى وجهه الكراهة و لم يأمرنى بالجلوس فدنوت منه و فرغت ما كان فى كمى بين يديه فنظر إلىّ نظر مغضب ثم رمى به يمينا و شمالا و قال: ما لهذا خلقنا الله. فاستقلته و استعفيتة فعفا و قام فدخل و خرجت و معى تلك الآلات.

و بقى أبو جعفر عليه السلام مستخفيا بالإمامة الى ان صارت سنة عشر سنين.

و روى أمية بن على قال: كنت بالمدينة اختلف الى أبى جعفر عليه السلام و أبوه بخراسان فدعاه يوما بالجارية.

فقال لها: قولى لهم يتهيّئون للمأتم فلما تفرقنا من مجلسه و كنت انا و جماعة قلنا:

إنّا ما سألناه مأتم من.

فلما كان الغد أعاد القول، فقلنا له: مأتم من؟

فقال: مأتم خير من على ظهر الأرض.

فورد الخبر بمضى الرضا عليه السلام بعد ذلك بأيام.

ثم وجّه المأمون فحملة و أنزله بالقرب من داره و أجمع على أن يزوجه ابنته أم الفضل. فروى عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الريان بن شبيب خال المأمون قال: لما أراد المأمون أن يزوجه أبا جعفر عليه السلام ابنته اجتمع إليه خواصه الادنون من بنى هاشم فقالوا له: يا أمير المؤمنين نشدناك الله أن لا تخرج من هذا البيت أمرا قد ملكناه الله و تنزع عزا قد ألبسناه و قد عرفت ما بيننا و بين آل أبي طالب، و هذا الغلام صبي غر.

قال: فانتهرهم المأمون و قال لهم: هو و الله أعلم بالله و برسوله و بسنته و أحكامه من جماعتكم.

ص: ٢٢٤

فخرجوا من عنده و صاروا الى يحيى بن أكنم فسألوه الاحتيا لى أبى جعفر بمسألة مشكلة يلقيها عليه. فلما اجتمعوا و حضر أبو جعفر عليه السلام قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يحيى بن أكنم إن أذنت له أن يسأل أبا جعفر عن مسألة فى الفقه فننظر كيف فهمه و معرفته من فهم أبيه و معرفته؟

فأذن المأمون ليحيى فى ذلك فقال يحيى لأبى جعفر عليه السلام: ما تقول فى محرم قتل صيدا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: فى حل أم حرم؟ عالما كان المحرم أم جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ صغيرا كان القاتل أم كبيرا؟ عبدا أم حرا؟ مبتدئا بالقتل أم معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟ من صغار الصيد كان أو من كبارها؟ مصرا على ما فعل أو نادما؟ بالليل كان قتله للصيد أم بالنهار؟ محرما كان بالعمرة أو بالحج؟

قال: فانقطع يحيى عن جوابه.

و قال المأمون: تخطب يا أبا جعفر لنفسك.

فقام عليه السلام فقال: الحمد لله منعم النعم برحمته و الهادى الى فضله بمنته و صلى الله على محمد خير خلقه .. الذى جمع فيه من الفضل ما فرقّه فى الرسل قبله، و جعل تراثه الى من خصه بخلافته، و سلم تسليمًا، و هذا أمير المؤمنين زوجنى ابنته على ما جعل الله للمسلمات على المسلمين «امساك بمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ» و قد بذلت لها من الصداق ما بذله رسول الله صلى الله عليه و آله لأزواجه و هو خمسمائة درهم، و نحلتها من مالى مائة ألف درهم. تزوجنى يا أمير المؤمنين؟

فروى ان المأمون قال: الحمد لله إقرارا بنعمته و لا إله إلا الله إخلاصا لعظمته، و صلى الله على محمد عبده و خيرته، و كان من قضاء الله على الانام ان أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» ثم ان محمد بن على خطب أم الفضل بنت عبد الله و بذل لها من الصداق خمسمائة درهم و قد زوجته. فهل قبلت يا أبا جعفر؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: قد قبلت هذا التزويج بهذا الصداق.

ثم أولم عليه المأمون فجاء الناس على مراتبهم. فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كلاما كان من كلام الملاحين فاذا نحن بالخدم يجرون سفينة من فضة مملوءة غالية فخضبوا بها لحا الخاصة ثم مدوها الى دار العامة فطيّبوهم. فلما تفرّق الناس قال المأمون: يا أبا جعفر ان رأيت ان تبين لنا ما الذى يجب على كلّ صنف من هذه الأصناف الذى ذكرت من جزاء الصيد؟

فقال عليه السّلام: ان المحرم اذا قتل صيدا فى الحل و الصيد من ذوات الطير من كبارها فعليه شاة، و اذا أصاب فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفا و اذا قتل فرخا من الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن و ليس عليه قيمته، و اذا قتله فى الحرم فعليه الحمل و قيمة الفرخ، و اذا كان من الوحش فعليه فى حمار وحش بقرة و فى النعامة بدنة، فان لم يقدر فإطعام ستين مسكينا فان لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوما، و ان كان بقرة فعليه بقرة فان لم يقدر فإطعام ثلاثين مسكينا فان لم يقدر فليصم تسعة أيام، و ان كان طيبا فعليه شاة فان لم يقدر فإطعام عشرة مساكين فان لم يقدر فصيام ثلاثة أيام، و ان كان قتله فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة حقا واجبا عليه أن ينحره ان كان فى حج بمنى حيث ينحر الناس، و ان كان فى عمرة ينحر بمكة و يتصدّق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفا، و ان كان أصاب أرنا فعليه شاة و يتصدّق إذا قتل الحمامة بعد الشاة بدرهم أو يشتري به طعام الحمام فى الحرم و فى الفرخ نصف درهم و فى البيضة ربع درهم، و كلّ ما أتى به المحرم بجهالة فليس فيه شيء إلّا الصيد فان فيه عليه الفداء - بجهالة كان أم بعلم، بخطأ كان أم بعمد - و كلّ ما أتى به العبد فكفارته على صاحبه مثل ما يلزم صاحبه، و كلّ ما أتى به الصغير الذى ليس ببالغ فلا شيء عليه فيه، فان عاد فينتقم الله منه، و ليس عليه كفارة و النقمة فى الآخرة. و ان دلّ على الصيد و هو محرم فقتل، فعليه الفداء و المصّر عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة فى الآخرة، و النادم عليه لا شيء بعد الفداء.

و إذا أصاب الصيد ليلا فى وكره خطأ فلا شيء عليه إلّا أن يتعمّد، فاذا تصيد بليل أو نهار فعليه الفداء و المحرم للحج ينحر الفداء بمنى حيث ينحر الناس، و المحرم للعمرة ينحر بمكة.

فأمر المأمون أن يكتب ذلك عنه ثم دعا من أنكر عليه من العباسيين تزويجه فقرأ عليهم و قال لهم: هل فيكم من يجيب بمثل هذا الجواب؟

فقالوا: أمير المؤمنين كان أعلم به منا.

ثم أمر المأمون فنثر على أبى جعفر رقاعا فيها ضياع و طعم و عمالات و لم يزل مكرما له.

و روى يوسف بن السخت عن صالح بن عطية الأصم قال: حججت قبل خروج أبى جعفر عليه السّلام الى العراق فشكوت إليه الوحدة فقال لى: أما أنّك لا تخرج من الحرم حتى تشتري جارية ترزق منها ابنا.

فقال له: جعلت فداك ان رأيت أن تشير على؟

فقال: نعم، اذهب فاعترض فاذا رضيت فاعلمنى.

ففعلت ذلك.

قال: فاذهب فكن بالقرب من صاحبها حتى أوافيك.

فصرت الى دكان النّخاس فمر بنا عليه السّلام، فنظر إليها فمضى فصرت إليه فقال: قد رأيتها و هى قصيرة العمر.

فلما كان من الغد صرت الى صاحبها. فقال: الجارية محمومة و لا يمكن عرضها.

فعدت إليه من الغد فسألته عنها. فقال: دفنتها اليوم.

فأتيته عليه السّلام فأخبرته الخبر و ابتعت غيرها فرزقت منها ابنى محمد.

و عن حمران بن محمد الأشعرى قال: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام لما قضيت حوايجى فقلت له: ان أم الحسن تقرئك السلام و تسألك ثوبا من ثيابك تجعله كفنا لها.

فقال لى: قد استغنيتم عن ذلك.

فخرجت و لا أدرى ما معنى قوله حتى ورد على الخبر بوفاتها.

و عن محمد بن عيسى بن عبد الله الأشعرى قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: ارتفع الشك.

ما لأبى ولد غيرى.

و روى ان عمر بن الفرج الرخجى قال لأبى جعفر عليه السّلام: ان شيعتك تدعى أنّك تعلم كل

ص: ٢٢٧

ما فى دجلة؛ و كانا جالسين على دجلة. فقال له أبو جعفر عليه السّلام: يقدر الله عز و جل أن يفوّض علم ذلك الى بعوضة من خلقه؟

قال: نعم، يقدر. فقال: أنا أكرم على الله من بعوضته.

ثم خرج عليه السّلام- فى السنة التى خرج فيها المأمون الى «البليدون» من بلاد الروم- بام الفضل حاجا الى مكّة و أخرج أبا الحسن عليا ابنه معه عليهما السّلام و هو صغير فخلفه بالمدينة و انصرف الى العراق و معه أم الفضل بعد أن أشار الى أبى الحسن و نصّ عليه و أوصى إليه.

و توفي المأمون ب «بليدون» في يوم الخميس لثلاثة عشرة ليلة مضت من رجب سنة ثمانى عشرة و مائتين فى ست عشرة سنة من إمامة أبى جعفر عليه السّلام و بويع للمعتصم ابى اسحاق محمد بن هارون فى شعبان سنة ثمانى عشرة و مائتين.

فلما انصرف أبو جعفر عليه السّلام الى العراق لم يزل المعتصم و جعفر بن المأمون يدبرون و يعملون فى الحيلة فى قتله فقال جعفر لاخته أم الفضل و كانت لامة و أبيه فى ذلك؛ لأنّه وقف على انحرافها عنه و غيرتها عليه لتفضيله أم أبى الحسن ابنه عليها مع شدّة محبتها له و لأنّها لم ترزق منه ولدا. فأجابت أخاها جعفرا و جعلوا سماً فى شىء من عنب رازقى و كان يعجبه العنب الرازقى. فلما أكل منه ندمت و جعلت تبكى.

فقال لها: ما بكأوك؟ و الله ليضربنك الله بفقر لا ينجى و بلاء لا ينستر.

فبليت بعلّة فى أغمض المواضع من جوارحها صارت «ناسورا» ينتقض عليها فى كلّ وقت. فأنفقت مالها و جميع ملكها على تلك العلّة حتى احتاجت الى رقد الناس.

و يروى ان الناسور كان فى فرجها. و تردّى جعفر بن المأمون فى بئر فاخرج ميتا و كان سكران.

و لما حضرته الوفاة عليه السّلام نص على أبى الحسن و أوصى إليه و كان سلّم المواريث و السلاح إليه بالمدينة، و مضى صلى الله عليه فى سنة عشرين و مائتين من الهجرة فى يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذى الحجة فكانت سنّه أربعة و عشرين سنة و شهورا لأن مولده كان فى سنة خمسة و تسعين و مائة فأقام مع أبيه عليهما السّلام ست سنين و شهورا و أقام بعده ثمانى عشرة سنة و دفن ببغداد فى تربة جدّه أبى إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السّلام.

ص: ٢٢٨

على الهادى عليه السّلام

و قام أبو الحسن على بن محمد صاحب العسكر بسر من رأى مقام أبيه عليهما السّلام.

و روى عن محمد بن الفرّج و غيره قال: دعانى أبو جعفر عليه السّلام فأعلمنى ان قافلة قد قدمت و فيها نخاس معه رقيق و دفع إلى صرة فيها ستون دينارا و وصف لى جارية معه بحليتها و صورتها و لباسها و أمرنى بابتياعها فمضيت و اشتريتها بما استسلم و كان سومها بها ما دفعه الى. فكانت تلك الجارية أم أبى الحسن و اسمها جمانة و كانت مولدة عند امرأة ربّتها.

و اشتراها النخاس و لم يقض له أن يقربها حتى باعها. هكذا ذكرت.

و روى محمد بن الفرّج و على بن مهزيار عن أبى الحسن عليه السّلام أنّه قال: أمى عارفة بحقى و هى من أهل الجنة ما يقربها شيطان مريد و لا ينالها كيد جبّار عنيد و هى مكلوذة بعين الله التى لا تنام، و لا تتخلف عن امهات الصديقين و الصالحين.

و كانت ولادته (صلى الله عليه) - مثل ولادة آبائه عليهم السلام - فى رجب سنة أربعة عشرة و مائتين من الهجرة، و حمل الى المدينة و هو صغير فى السنة التى حجّ فيها أبو جعفر عليه السلام بابنة المأمون و زوجته.

و روى الحميرى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه ان أبا جعفر عليه السلام لما أراد الشخوص من المدينة الى العراق أجلس أبا الحسن عليه السلام فى حجره و قال له: ما الذى تحبّ أن يهدى إليك من طرائف العراق؟

فقال: سيفاً كأنه شعلة.

ثم التفت الى موسى ابنه فقال له: ما تحبّ أنت؟

فقال له: فرش بيت.

فقال أبو جعفر: اشبهنى أبو الحسن، و أشبه هذا أمه.

و حدث الحميرى عن الحسن بن على بن هلال عن محمد بن اسماعيل بن بزيع قال:

قال لى أبو جعفر: يفضى هذا الأمر الى أبى الحسن و هو ابن سبع سنين، ثم قال: نعم و أقل

ص: ٢٢٩

من سبع سنين كما كان عيسى عليه السلام.

و روى الحميرى عن محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عثمان الكوفى عن أبى جعفر عليه السلام أنّه قال له: ان حدث بك - و أعوذ بالله - حادث فإلى من؟

فقال: الى ابنى هذا - يعنى أبا الحسن.

ثم قال: اما أنّها ستكون فترة.

قلت: فإلى أين؟

فقال: الى المدينة.

قلت: أى مدينة؟

قال: هذه المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه و آله و هل مدينة غيرها.

و روى الحميرى عن محمد بن عيسى عن الحسين بن قارون عن رجل ذكر أنه كان رضيع أبى جعفر عليه السلام قال: بينا أبو الحسن جالسا فى الكتاب و كان مؤدبه رجل كرخى من أهل بغداد يكنى أبا زكريا و كان أبو جعفر فى ذلك الوقت ببغداد و أبو الحسن بالمدينة يقرأ فى اللوح على المؤدب إذ بكى بكاء شديدا، فسأله المؤدب عن شأنه و بكائه، فلم يجبه و قام فدخل الدار باكيا و ارتفع الصياح و البكاء ثم خرج بعد ذلك فسألناه عن بكائه.

فقال: ان أبى توفى.

فقلنا له: بما ذا علمت ذاك؟

قال: دخلنى من اجلال الله - جل و عز جلاله - شىء علمت معه ان أبى قد مضى (صلّى الله عليه).

فأرخنا الوقت. فلما ورد الخبر نظرنا فاذا هو قد مضى فى تلك الساعة.

و عنه عن معاوية بن حكيم عن أبى النضل الشيبانى عن هارون بن الفضل قال:

رأيت أبا الحسن عليه السلام فى اليوم الذى مضى فيه أبو جعفر يقول: أنا لله و إنا إليه راجعون ..

مضى أبو جعفر صلّى الله عليه.

فقليل له: فكيف عرفت ذلك؟

ص: ٢٣٠

قال: تداخلى ذلّ و استكانة لم أكن أعهداها.

و عن الحسن بن محمد بن معلى عن الحسن بن على الوشاء قال: حدّثتنى أم محمد مولاة أبى الحسن الرضا عليه السلام قالت: جاء أبو الحسن عليه السلام و قد ذعر حتى جلس فى حجر أم أبيها بنت موسى عمّة أبيه فقالت له: ما لك؟

فقال لها: مات أبى و الله الساعة.

فقالت: لا تقل هذا.

قال: هو و الله كما أقول لك.

فكتبنا الوقت و اليوم فجاءت وفاته عليه السلام و كان كما قال عليه السلام.

و قام أبو الحسن بأمر الله جل و علا فى سنة عشرين و مائتين و له ست سنين و شهور فى مثل سن أبيه عليهما السلام بعد أن ملك المعتصم بسنتين.

فروى الحميرى عن محمد بن سعيد مولى لولد جعفر بن محمد قال: قدم عمر بن الفرج المرخجى المدينة حاجًا بعد مضى أبى جعفر عليه السلام فأحضر جماعة من أهل المدينة و المخالفين و المعاندين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله فقال لهم: ابغوا لى رجلا من أهل الأدب و القرآن و العلم لا يوالى أهل هذا البيت لأضمّه الى هذا الغلام و أوكله بتعليمه و أتقدم إليه بأن يمنع منه الرافضة الذين يقصدونه و يمسونه.

فسمّوا له رجلا من أهل الأدب يكنى أبا عبد الله و يعرف بالجنيدى متقدما عند أهل المدينة فى الأدب و الفهم ظاهر الغضب و العداوة فأحضره عمر بن الفرج و أسنى له الجارى من مال السلطان و تقدم إليه بما أراد و عرفه ان السلطان أمره باختيار مثله و توكيله بهذا الغلام.

قال: فكان الجنيدى يلزم أبا الحسن فى القصر بصريا فاذا كان الليل أغلق الباب و أقفله و أخذ المفاتيح إليه.

فمكث على هذا مدّة و انقطعت الشيعة عنه و عن الاستماع منه و القراءة عليه. ثم انى لقيته فى يوم جمعة فسلمت عليه و قلت له: ما قال هذا الغلام الهاشمى الذى تؤدبه؟

فقال - منكرًا على-: تقول الغلام، و لا تقول الشيخ الهاشمى؟! انشدك الله هل تعلم

ص: ٢٣١

بالمدينة أعلم منى؟

قلت: لا.

قال: فانى و الله أذكر له الحزب من الأدب أظنّ انى قد بالغت فيه فيملى علىّ بابا فيه استفيده منه. و يظنّ الناس انى أعلمه، و أنا و الله أعلم منه.

قال: فتجاوزت عن كلامه هذا كأنى ما سمعته منه، ثم لقيته بعد ذلك فسلمت عليه و سألته عن خبره و حاله ثم قلت: ما حال الفتى الهاشمى؟

فقال لى: دع هذا القول عنك. هذا و الله خير أهل الأرض و أفضل من خلق الله. أنّه لربّما همّ بالدخول فأقول له: تنظر حتى تقرأ عسرك. فيقول لى: أى السور تحبّ أن أقرأها؟ انا أذكر له من السور الطوال ما لم تبلغ إليه فيهذا بقراءة لم أسمع أصحّ منها من أحد قط و جزم أطيب من مزامير داود النبى عليه السلام الذى إليها من قراءته يضرب المثل.

قال: ثم قال: هذا مات أبوه بالعراق و هو صغير بالمدينة و نشأ بين هذه الجوارى السود، فمن أين علم هذا؟

قال: ثم ما مرت به الأيام و الليالي حتى لقيته فوجدته قد قال بإمامته و عرف الحق و قال به.

و فى سبع سنين من إمامته مات المعتصم فى سنة سبع و عشرين و مائتين، و لأبى الحسن عليه السّلام أربع عشرة سنة و بويح لهارون الواثق ابن المعتصم و مضى الواثق فى اثنتين و ثلاثين و مائتين فى اثنتى عشرة سنة من إمامة أبى الحسن عليه السّلام و بويح للمتوكل جعفر بن المعتصم.

و روى الحميرى عن الحسن بن مصعب المدائنى يسأله عن السجود على الزجاج قال: فلما نفذ كتابى حدّثتنى نفسى أنّه مما أنبتت الأرض و أنّهم قالوا: لا بأس بالسجود على ما أنبتت.

فورد الجواب: لا تسجد عليه فان حدثتك نفسك أنّه ممّا أنبتته الأرض فحال فأنّه من الرمل و الملح؛ و الملح سيخ؛ و السيخ ارض ممسوخة.

و عنه عن على بن محمد النوفلى قال: قال لى محمد بن الفرّج: ان أبا الحسن عليه السّلام

ص: ٢٣٢

كتب إليه: يا محمد اجمع أمرك و خذ حذرک فانا فى جمع أمرى.

و لست أدرى معنى ما كتب به إلىّ حتى ورد علىّ رسول حملنى من مصر مقيّدا و ضرب علىّ كلّ ما كنت أملك فمكنت فى السجن ثمانى سنين فورد علىّ منه كتاب:

يا محمد لا تنزل فى ناحيه الجانب الغربى. فقرأت الكتاب فقلت: يكتب إلىّ بهذا و أنا فى السجن، ان هذا لعجب.

فلم ألث فى السجن إلّا أياما قليلة حتى خلى عنى.

و عنه قال: حدّثنى خيران الخادم مولى فراطيس أم الواثق قال: حججت فى سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين فدخلت على أبى الحسن عليه السّلام فقال: ما حال صاحبك - يعنى الواثق.

فقلت: وجع و لعلّه قد مات.

قال: لم يمت و لكنّ ألما به.

ثم قال: فمن يقال بعده؟

قلت: ابنه.

فقال: الناس يزعمون أنه جعفر.

قلت: لا.

قال: بلى هو كما أقول لك.

قلت صدق الله ورسوله و ابن رسوله. فكان كما قال.

و عنه عن محمد بن عيسى قال حدّثني أبو علي بن راشد قال قال ابو الحسن عليه السلام في سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين: ما فعل الرجل - يعنى الواصل -؟

قلت: عليل أو قد مات.

قال: لم يمّت و لكنه لا يلبث حتى يموت.

و عنه عن محمد بن عيسى عن علي بن جعفر ان أبا الحسن عليه السلام أتى المسجد ليلة الجمعة فصلّى عند الاسطوانة التي حذاء بيت فاطمة عليها السلام. فلما جلس أتاه رجل من أهل بيته يقال له معروف قد عرفه علي بن جعفر و غيره فقعد الى جانبه يعاتبه و قال له: انى

ص: ٢٣٣

أتيتكم فلم تأذن لى.

فقال: لعلك أتيت في وقت لم يكن أن يؤذن لك عليّ و ما علمت بمكانك و أخبرت عنك أنك ذكرتنى و شكوتنى بما لا ينبغي.

فقال الرجل: لا و الله ما فعلت و الا فهو برىء من صاحب القبر ان كان فعل.

فقال ابو الحسن: علمت أنه حلف كاذبا فقلت: اللهم أنه قد حلف كاذبا فانتقم منه.

فمات الرجل من غد و صار حديثنا بالمدينة.

قال: و كتب بريحة العباسي صاحب الصلاة بالحرمين الى المتوكل: ان كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منهما فإنه قد دعا الى نفسه و اتبعه خلق كثير.

و تابع بريجة الكتب فى هذا المعنى، فوجّه المتوكل بيحيى بن هرثمة و كتب معه الى أبى الحسن عليه السّلام كتابا جميلا يعرفه أنّه قد اشتقاه و يسأله القدوم عليه و أمر يحيى بالمسير معه كما يجب و كتب الى بريجة يعرفه ذلك.

فقدم يحيى بن هرثمة المدينة فأوصل الكتاب الى بريجة و ركبا جميعا الى أبى الحسن عليه السّلام فأوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلهما ثلاثا.

فلما كان بعد ثلاث عاد الى داره فوجد الدواب مسرجة و الأثقال مشدودة قد فرغ منها.

و خرج صلّى الله عليه متوجها نحو العراق و اتبعه بريجة مشيعا، فلما صار فى بعض الطريق قال له بريجة قد علمت وقوفك على انى كنت السبب فى حملك، و على حلف بأيمان مغلظة لئن شكوتنى الى أمير المؤمنين او الى أحد من خاصته و ابنائه لأجمرن نخلك و لأقتلن مواليك و لأعورن عيون ضيعتك و لأفعلن و لأصنعن.

فالتفت إليه أبو الحسن فقال له: ان أقرب عرضى اياك على البارحة و ما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكونك الى غيره من خلقه.

قال: فانكب عليه بريجة و ضرع إليه و استعفاه.

فقال له: قد عفوت عنك.

و روى عن يحيى بن هرثمة قال: رأيت من دلائل أبى الحسن عليه السّلام الأعاجيب فى

ص: ٢٣٤

طريقنا؛ منها: انا نزلنا منزلا لا ماء فيه فاشقينا و دوابنا و جمالنا من العطش على التلف، و كان معنا جماعة و قوم قد تبعونا من أهل المدينة، فقال أبو الحسن عليه السّلام: كأنى أعرف على أميال موضع ماء.

فقلنا له: ان نشطت و تفضلت عدلت بنا إليه و كنّا معك.

فعدل بنا عن الطريق فسرنا نحو ستة أميال فأشرفنا على واد كأنّه زهو الرياض فيه عيون و أشجار و زروع و ليس فيها زارع و لا فلّاح و لا أحد من الناس فنزلنا و شربنا و سقينا دوابنا و أقمنا الى بعد العصر ثم تزوّدنا و ارتويننا و ما معنا من القرب و رحنا راحلين. فلم نبعد ان عطشت و كان لى مع بعض غلمانى كوز فضة يشدّه فى منطقتة و قد استسقيته فلجلج لسانه بالكلام و نظرت فاذا هو قد أنسى الكوز فى المنزل الذى كنّا فيه فرجعت أضرب بالسوط على فرس لى جواد سريع و أغذ السير حتى أشرفت على الوادى فرأيتة جدبا يابساً قاعا محلا لا ماء فيه و لا زرع و لا خضرة و رأيت موضع رحالنا و روث دوابنا و بحر الجمال و مناخاتهم و الكوز موضوع فى موضعه الذى تركه الغلام، فأخذته و انصرفت، و لم أعرفه شيئا من الخبر.

فلما قربت من القطر و العسكر وجدته عليه السّلام واقفا ينتظر فتبسّم (صلى الله عليه) و لم يقل لى شيئا و لا قلت له سوى ما سأل من وجود الكوز فأعلمته انى وجدته.

قال يحيى: و خرج فى يوم صائف آخر و نحن فى ضحو و شمس حامية تحرق فركب من مضربه و عليه ممطر، و ذنب دابته معقود و تحته لبد طويل فجعل كلّ من فى العسكر و أهل القافلة يضحكون تعجبا و يقولون: هذا الحجازى ليس يعرف الرى، فما سرنا أميالا حتى ارتفعت سحابة من ناحية القبلة و أظلمت و أظلمت بسرعة و اتى من المطر الهاطل كأفواه القرب، فكدنا أن نتلف و غرقنا حتى جرى الماء من ثيابنا الى أبداننا و امتلأت خفافنا، و كان أسرع و أعجل من أن يمكن أن نحط و نخرج اللباييد فصرنا شهرة و ما زال عليه السّلام يتبسّم تبسما ظاهرا تعجبا من أمرنا.

قال يحيى: و صارت إليه فى بعض المنازل امرأة معها ابن لها أرمد العين و لم تزل تستدلّ و تقول: معكم رجل علوى دلّونى عليه حتى يرقى عين ابنى هذا.

ص: ٢٣٥

فدللناها عليه ففتح عين الصبى حتى رأيتها و لم أشك انها ذاهبة، فوضع يده عليها لحظة يحرك شفثيه ثم نحاها فاذا عين الغلام مفتوحة صحيحة ما بها علة.

و روى الحميرى قال: حدّثنى أحمد بن أبى عبد الله البرقى عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: ضمنى و أبى الحسن عليه السّلام الطريق لما قدم به المدينة فسمعتة فى بعض الطريق يقول: من اتقى الله يتقى، و من أطاع الله يطاع.

فلم أزل أدلف حتى قربت منه و دنوت فسلمت عليه و ردّ علىّ السلام فأول ما ابتدأنى ان قال لى: يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين، و من أسخط الخالق فليوقن ان يحلّ به سخط المخلوقين. يا فتح ان الله جلّ جلاله لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، فانى يوصف الذى يعجز الحواس أن تدركه، و الأوهام ان تتاله، و الخطرات أن تحدّه، و الأبصار أن تحيط به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، و تعالى عمّا ينعتة الناعتون، نأى فى قربه و قرب فى نأيه، فهو فى نأيه قريب، و فى قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال كيف، و أين الأين فلا يقال أين، إذ هو منقطع الكيفية و الأينية، الواحد الأحد جلّ جلاله بل كيف يوصف بكنهه محمد صلى الله عليه و آله و قد قرن الخليل اسمه باسمه و أشركه فى طاعته و أوجب لمن أطاعه جزاء طاعته، فقال «و ما نَقَمُوا مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» و قال تبارك اسمه - يحكى قول من ترك طاعته: «يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ» أم كيف يوصف من قرن الجليل طاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه و آله حيث يقول:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ». يا فتح كما لا يوصف الجليل جلّ جلاله و لا يوصف الحجة فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا فنبيننا صلى الله عليه و آله أفضل الأنبياء و وصينا صلى الله عليه أفضل الأوصياء.

ثم قال لى - بعد كلام -: فأورد الأمر إليهم و سلّم لهم.

ثم قال لى: إن شئت.

فانصرفت منه.

فلما كان في الغد تلطف في الوصول إليه فسلمت فردّ السلام فقلت: يا ابن رسول الله تأذن لي في كلمة اختلجت في صدري ليلتي الماضية؟

ص: ٢٣٦

فقال لي: سل واصخ الى جوابها سمعك، فان العالم والمتعلم شريكان في الرشد، مأموران بالنصيحة، فاما الذي اختلج في صدرك فان يشأ العالم انبأك الله ان الله لم يظهر على غيبه أحدا إلّا من ارتضى من رسول، وكلّ ما عند الرسول فهو عند العالم، وكلّ ما اطلع الرسول عليه فقد اطلع أوصياؤه عليه. يا فتاح عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك في بعض ما أوردت عليك و أشكك في بعض ما أنبأتك؛ حتى أراد ازالتك عن طريق الله و صراطه المستقيم، فقلت متى أيقنت أنهم هكذا: فهم أرباب.

معاذ الله، أنهم مخلوقون مربوبون مطيعون داخرون راغمون. فاذا جاءك الشيطان بمثل ما جاءك به فاقمعه بمثل ما نبأتك به.

قال فتاح: فقلت له: جعلني الله فداك فرّجت عني و كشفت ما لبس الملعون عليّ فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب.

قال: فسجد عليه السّلام فسمعتة يقول في سجوده: راغما لك يا خالقي داخرا خاضعا.

ثم قال: يا فتاح كدت أن تهلك و ما ضر عيسى ان هلك من هلك. إذا شئت رحمك الله.

قال: فخرجت و أنا مسرور بما كشف الله عني من اللبس.

فلما كان في المنزل الآخر دخلت عليه و هو متكئ و بين يديه حنطة مقلوة يعبث بها و قد كان أوقع الشيطان (لعنه الله) في خلدي أنه لا ينبغي أن يأكلوا و لا يشربوا.

فقال: اجلس يا فتاح فان لنا بالرسالة اسوة. كانوا يأكلون و يشربون و يمشون في الأسواق، و كلّ جسم متغذ إلّا خالق الأجسام الواحد الأحد منشئ الأشياء و مجسّم الأجسام و هو السميع العليم .. تبارك الله عمّا يقول الظالمون و علا علوا كبيرا.

ثم قال: اذا شئت رحمك الله.

و قدم به عليه السّلام بغداد و خرج اسحاق بن إبراهيم و جملة القواد فتلقوه فحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلبي القاضي قال: حدثني الخضر بن محمد البزاز و كان شيخا مستورا ثقة يقبله القضاة و الناس قال: رأيت في المنام كأنني على شاطئ دجلة بمدينة السلام في رحبة الجسر و الناس مجتمعون .. خلق كثير يزحم بعضهم بعضا و هم يقولون: قد أقبل بيت الله الحرام.

ص: ٢٣٧

فبينما نحن كذلك إذ رأيت البيت بما عليه من الستائر و الديباج و القباطى قد أقبل ماراً على الأرض يسير حتى عبر الجسر من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى و الناس يطوفون به و بين يديه حتى دخل دار خزيمة و هى التى آخر من ملكها بعد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر القمى و أبو بكر الفتى ابن اخت اسماعيل ابن بلبل بدر الكبير الطولوى المعروف بالحمامى فإنه أقطعها.

فلما كان بعد أيام خرجت فى حاجة حتى انتهيت الى الجسر فرأيت الناس مجتمعين و هم يقولون: قد قدم ابن الرضا عليه السلام من المدينة فرأيتته قد عبر من الجسر على شهرى تحته كبير يسير عليه المسير رفيقاً؛ و الناس بين يديه و خلفه، و جاء حتى دخل دار خزيمة بن حازم فعلمت أنه تأويل الرؤيا التى رأيتها.

ثم خرج الى سر من رأى فلتلقاه جملة من أصحاب المتوكل حتى دخل إليهم فأعظمه و أكرمه و مهّد له ثم انصرف عنه الى دار أعدت له. و أقام بسر من رأى.

و حدّث الحميرى قال: حدّثنى أيوب بن نوح قال: كتبت الى أبى الحسن عليه السلام: ان لى حملاً و أسأله ان يدعوا الله أن يجعله لى ذكراً فوقع لى: سمه محمداً.

فولد لى ابن سمّيته محمداً.

و كان من خبره عليه السلام فى بركة السباع و خبر المشعبد و خبر على بن الجهم و خبر عمرو ابن الفرج الرخجى و غير ذلك ممّا رواه الناس.

و روى احمد بن محمد بن قانداذ الكاتب الاسكافى قال: تقلدت ديار ربيعة و ديار مضر فخرجت و أقمت بنصيبين و قلدت عمالى و أنفذتهم الى نواحي أعمالى و تقدمت أن يحمل الى كل واحد منهم كلّ من يجده فى عمله ممّن له مذهب، فكان يرد علىّ فى اليوم الواحد و الاثنان و الجماعة منهم فاسمع منهم و اعامل كلّ واحد بما يستحقه. فانا ذات يوم جالس اذ ورد كتاب عامل بكفرتوتى يذكر أنه قد وجّه إلىّ برجل يقال له إدريس بن زياد، فدعوت به فرأيتته وسيما قسيما قبلته نفسى ثم ناجيته فرأيتته ممطوراً و رأيتته من المعرفة بالفقه و الأحاديث على ما أعجبني فدعوته الى القول بإمامة الاثنى عشر فأبى و أنكر علىّ ذلك و خاصمنى فيه و سألته بعد مقامه عندى أياماً أن يهب لى

ص: ٢٣٨

زورة الى سر من رأى لينظر الى أبى الحسن عليه السلام و ينصرف، فقال لى: انا أقضى حقك بذلك.

و شخص بعد أن حملته فأبطأ عنى و تأخر كتابه ثم أنه قدم فدخل إلىّ فأول ما رآنى أسبل عينيه بالبكاء، فلما رأيتته باكياً لم أتمالك حتى بكيت، فدنا منى و قبل يدي و رجلى ثم قال: يا أعظم الناس منّة نجيتنى من النار و أدخلتنى الجنّة، و حدّثنى فقال لى:

خرجت من عندك و عزمى اذا لقيت سيدى أبا الحسن عليه السّلام ان أسأله من مسائل و كان فيما أعدده أن أسأله عن عرق الجنب هل يجوز الصلاة فى القميص الذى أعرق فيه و أنا جنب أم لا؟

فصرت الى سر من رأى فلم أصل إليه و أبطأ من الركوب لعلّ كانت به ثم سمعت الناس يتحدّثون بأنّه يركب فبادرت ففاتنى و دخل دار السلطان فجلست فى الشارع و عزمت أن لا أبرح أو ينصرف. و اشتدّ الحرّ علىّ فعدلت الى باب دار فيه فجلست أرقبه و نعست فحملتنى عينى فلم أتنبه إلّا بمقرعة قد وضعت على كتفى، ففتحت عينى فاذا هو مولاي أبو الحسن عليه السّلام واقف على دابته، فوثبت فقال لى: يا إدريس أ ما آن لك؟

فقلت: بلى يا سيدى.

فقال: ان كان العرق من حلال فحلال و ان كان من حرام فحرام.

من غير أن أسأله. فقلت به و سلّمت لأمره.

و روى عن أبى هاشم داود بن القسم الجعفرى قال: دخلت الى أبى الحسن عليه السّلام فقلت له: قد كبر سنّى و ضعف بدنى و هرم بردونى و هو ذى تلحقنى مشقة فى زيارتك من بغداد، فادع الله لى.

فقال: يا أبا هاشم قوى الله بردونك و قرب طريقك.

فكنت أركب فأصير الى سر من رأى و اتحدّث عنده نهارى كلّ و أرجع الى بغداد فى آخر الليل.

و روى عن الحسين بن اسماعيل شيخ من أهل النهرين قال: خرجت و أهل قريتى الى أبى الحسن عليه السّلام بشيء كان معنا و كان بعض أهل القرية قد حملنا رسالة و دفع إلينا ما

ص: ٢٣٩

أوصلناه و قال تقرءونه منى السلام و تسألونه عن بيض الطائر الفلانى من طيور الآجام هل يجوز أكله أم لا؟

فسلمناه ما كان معنا الى خازنه و أتاه رسول السلطان فنهض ليركب و خرجنا من عنده و لم نسأله عن شيء.

فلما صرنا فى الشارع لحقنا عليه السّلام فقال لرفيقى بالنبطية: و اقرأ فلانا السلام و قل له:

بيض الطائر الفلانى لا تأكله فإنّه من الممسوخ.

و روى جماعة من أصحابنا قال: ولد لأبى الحسن عليه السّلام جعفر فهنأناه فلم نجد به سرورا فقليل له فى ذلك.

فقال: هوّن عليك امره فإنه سيضلّ خلقا كثيرا.

و روى أنّه دخل دار المتوكل فقام يصليّ فأتاه بعض المخالفين فوقف حياله فقال له:

الى كم هذا الرياء.

فأسرع الصلاة و سلّم ثم التفت إليه فقال: ان كنت كاذبا نسخك الله.

فوقع الرجل ميتا فصار حديثا في الدار.

و حدّث الحميري عن النوفلي قال: قال أبو الحسن عليه السّلام: يا على ان هذا الطاغية يبتدى ببناء مدينة لا يتمّ له بناؤها و يكون حتفه فيها على يدى بعض فراعنة الأتراك.

قال النوفلي: و سمعته يقول: اسم الله الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا و انما كان عند آصف بن برخيا منه حرف واحد فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه و بين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره الى حضرة سليمان ثم بسطت الأرض له فى أقل من طرفه عين، و عندنا منه اثنان و سبعون حرفا و يتعجب مما وهبه الله لنا بقدرته و اذنه.

و كتب إليه رجل من أهل المدائن يسأله عما بقى من ملك المتوكل فكتب:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعَصِرُونَ».

فقتل فى أول السنة الخامسة عشرة.

ص: ٢٤٠

قال: و كان من أمر بناء المتوكل القصر المسمّى (بالجعفرى) و ما أمر به بنى هاشم من الأبنية ما يحدث به.

و وجّه الى أبى الحسن عليه السّلام بثلاثين ألف درهم و أمره أن يستعين بها فى بناء دار فخطت و رفع أساسها رفعا يسيرا، فركب المتوكل يوما يطوف فى الأبنية فنظر الى داره لم ترتفع فأنكر ذلك و قال لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره: علىّ و علىّ .. يميناً أكدها ..

لئن ركبت و لم ترتفع دار على بن محمد لأضربن عنقه.

فقال له عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين لعله فى ضيقة.

فأمر له بعشرين ألف درهم فوجه بها عبيد الله مع ابنه أحمد و قال حدثه بما جرى فصار إليه فأخبره بالخبر فقال: ان ركب الى البناء فرجع أحمد بن عبيد الله الى أبيه فعرفه ذلك فقال عبيد الله: ليس والله يركب.

و لما كان فى يوم الفطر من السنة التى قتل فيها المتوكل أمر بنى هاشم بالترجل و المشى بين يديه، و انما أراد بذلك أن يترجل له أبو الحسن عليه السلام فترجل بنو هاشم و ترجل عليه السلام فاتكأ على رجل من مواليه فأقبل عليه الهاشميون فقالوا له: يا سيدنا ما فى هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه فيكفينا الله؟

فقال لهم أبو الحسن عليه السلام: فى هذا العالم من قلامة ظفره أكرم على الله من ناقة ثمود لما عقرت و ضجّ الفصيل الى الله فقال الله «تَمَتُّعُوا فى دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ».

فقتل المتوكل فى اليوم الثالث.

و روى أنه قال - و قد اجهده المشى -: اما أنه قد قطع رحمى قطع الله أجله.

و حدث الحميرى عن يوسف بن السخت قال: حدثنى العباس بن محمد عن علي بن جعفر قال: عرضت مؤامرتى على المتوكل فأقبل على عبيد الله بن يحيى فقال: لا تتعبن نفسك فان عمر بن أبى الفرج أخبرنى أنه رافضى فأنه وكيل على بن محمد.

فأرسل عبيد الله الى فعرفنى أنه قد حلف الا يخرجنى من الحبس الا بعد موتى بثلاثة أيام. قال: فكتبت الى أبى الحسن عليه السلام ان نفسى قد ضاقت و قد خفت الزيف فوقع الى: اما

ص: ٢٤١

اذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا فأقصد الله تبارك و تعالى فيك.

فما انقضت ايام الجمعة حتى خرجت من الحبس.

و حدثنى بعض الثقات قال: كان بين المتوكل و بين بعض عماله من الشيعة معاملة فعملت له مؤامرة ألزم فيها ثمانون ألف درهم فقال المتوكل: ان باعنى غلامه الفلانى بهذا المال فليؤخذ منه و يخلى له السبيل؟

قال الرجل: فأحضرنى عبيد الله بن يحيى و كان يعنى بأمرى و يحبّ خلاصى فعرفنى الخبر و وصف سروره بما جرى و أمرنى بالاشهاد على نفسى ببيع الغلام، فأنعمت له، و وجه لإحضار العدول و كتب العهدة.

فقلت فى نفسى: و الله ما بعته غلاما و قد ربيته و قد عرف بهذا الأمر و استبصر فيه فيملكه طاغوت فان هذا حرام على.

فلما حضر الشهود و أحضر الغلام فأقرّ لى بالعبودية، قلت للعدول: اشهدوا أنه حرّ لوجه الله.

فكتب عبيد الله بن يحيى بالخبر، فخرج التوقيع ان يقيد بخمسين رطلا و يغلّ بخمسين و يوضع فى أضيق الحبوس.

قال: فوجهت بأولادى و جميع أسبابى الى أصدقائى و اخوانى يعرفونهم الخبر و يسألونهم السعى فى خلاصى و كتبت بعد ذلك بخبرى الى أبى الحسن عليه السلام فوقع إلى: لا و الله لا يكون الفرج حتى تعلم ان الأمر لله وحده.

قال: فأرسلت الى جميع من كنت راسلته و سألته السعى فى أمرى أسأله أن لا يتكلم و لا يسعى فى أمرى، و أمرت أسبابى ألا يعرفوا خبرى و لا يسيروا الى زائر منهم.

فلما كان بعد تسعة أيام فتحت الأبواب عنى ليلا فحملت فأخرجت بقيودى فدخلت الى عبيد الله بن يحيى فقال لى و هو مستبشر: ورد على الساعة توقيع أمير المؤمنين يأمرنى بتخلية سبيلك.

فقلت له: انى لا أحب أن يحل قيودى حتى تكتب إليه تسأله عن السبب فى إطلاقى.

ص: ٢٤٢

فاغتاز على و استشاط غضبا و أمرنى فنحيت من يديه.

فلما أصبح ركب إليه ثم عاد فأحضرنى و أعلمنى أنه رأى فى المنام كأن آتيا أتاه و بيده سكين، فقال له: لئن لم تخل سبيل فلان بن فلان لأذبحنك. و أنه انتبه فزعا فقرأ و تعوذ و نام. فأتاه الآتى فقال له: أ ليس أمرتك بتخلية سبيل فلان، لئن لم تخل سبيله الليلة لأذبحنك. فانتبه مذعورا و داخله شأن فى تخليتك و نام. فعاد إليه الثالثة فقال له:

و الله لئن لم تخل سبيله فى هذه الساعة لأذبحنك بهذا السكين. قال: فانتبهت و وقعت إليك بما وقعت. قال: ثم نمت فلم أر شيئا.

فقلت له: اما الآن فتأمر بحل قيودى.

فحلوها فخرجت الى منزلى و أهلى و لم أرد من المال درهما.

ثم قتل المتوكل فى اليوم الرابع من شوال سنة سبع و أربعين و مائتين و سنة سبع و عشرين من إمامة أبى الحسن عليه السلام و بويح لابنه محمد بن جعفر المنتصر فكان من حديثه مع أبى الحسن عليه السلام و مع جعفر بن محمود ما رواه الناس. و ملك سنة أشهر توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان و أربعين و مائتين.

و بويح لأحمد بن محمد المستعين بن المعتصم بالله فكانت مدته أربع سنين و شهر مع منازعته المعتزلة و محاربته إياه و كانت الفتنة و الحرب بينهما أكثر أيامه الى أن خلع، و بويح للمعتز ابن المتوكل، و يروى ان اسمه الزبير، فى سنة اثنين و خمسين و مائتين، و ذلك فى اثنين و ثلاثين سنة من امامة أبى الحسن عليه السلام.

الحسن العسكري عليه السّلام

و اعتل أبو الحسن علته التي مضى فيها صلى الله عليه في سنة أربع و خمسين و مائتين فاحضر أبا محمد ابنه عليه السّلام فسلم إليه النور و الحكمة و مواريث الأنبياء و السلاح و أوصى إليه و مضى صلى الله عليه و سنه أربعون سنة و كان مولده في رجب سنة أربع عشرة و مائتين من الهجرة فأقام مع أبيه عليهما السّلام نحو سبع سنين و أقام منفردا بالإمامة ثلاث و ثلاثين سنة و شهورا.

ص: ٢٤٣

و حدثنا جماعة كل واحد منهم يحكى أنه دخل الدار و قد اجتمع فيها جملة بنى هاشم من الطالبين و العباسيين و اجتمع خلق من الشيعة و لم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد عليه السّلام و لا عرف خبره إلّا الثقات الذين نصّ أبو الحسن عندهم عليه فحكوا أنهم كانوا في مصيبة و حيرة. فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر:

يا رياش خذ هذه الرقعة و امض بها الى دار أمير المؤمنين و اعطها الى فلان و قل له: هذه رقعة الحسن بن على.

فاستشرف الناس لذلك ثم فتح من صدر الرواق باب و خرج خادم أسود ثم خرج بعده أبو محمد عليه السّلام حاسرا مكشوف الرأس مشقوق الثياب و عليه مبطنة بيضاء و كان وجهه وجه أبيه عليه السّلام لا يخطئ منه شيئا و كان في الدار أولاد المتوكل و بعضهم ولاية العهود فلم يبق أحد إلّا قام على رجله. و وثب إليه أبو محمد الموفق فقصده أبو محمد عليه السّلام فعانقه ثم قال له: مرحبا بابن العم.

و جلس بين بابي الرواق و الناس كلهم بين يديه و كانت الدار كالسوق بالأحاديث.

فلما خرج و جلس أمسك الناس، فما كنّا نسمع شيئا إلّا العطسة و السعلة و خرجت جارية تندب أبا الحسن عليه السّلام فقال أبو محمد ما هاهنا من يكفى مئونة من هذه الجاهلة.

فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد عليه السّلام فنهض (صلى الله عليه) و أخرجت الجنازة و خرج يمشى حتى اخرج بها الى الشارع الذي بازاء دار موسى بن بقا.

و قد كان أبو محمد (صلى الله عليه) قبل أن يخرج الى الناس و صلى عليه لما اخرج المعتمد ثم دفن في دار من دوره. و اشتد الحر على أبي محمد عليه السّلام و ضغطه الناس في طريقه و منصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه، فصار في طريقه الى دكان بقال رآه مرشوشا فسلم و استأذنه في الجلوس فاذن له و جلس، و وقف الناس حوله. فبينما نحن كذلك إذ أتاه شاب حسن الوجه نظيف الكسوة على بغلة شهباء على سرج ببرزون أبيض قد نزل عنه فسأله ان يركبه، فركب حتى أتى الدار و نزل و خرج في تلك العشية الى الناس ما كان يحزم عن أبي الحسن عليه السّلام حتى لم يفقدوا منه إلّا الشخص.

ص: ٢٤٤

و تكلمت الشيعة فى شق ثيابه و قال بعضهم: هل رأيتم أحدا من الأئمة شق ثوبه فى مثل هذه الحال؟

فوقع الى من قال ذلك: يا أحمق ما يدريك ما هذا؟ قد شق موسى على هرون عليهما السلام.

و قام أبو محمد الحسن بن على مقام أبيه عليهما السلام و روى عن العالم عليه السلام أنه قال: لما ادخلت سليل أم أبي محمد عليه السلام على أبي الحسن عليه السلام قال: سليل مسلولة من الآفات و العاهات و الأرجاس و الأنجاس.

ثم قال لها: سيهب الله حجته على خلقه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

و حملت أمه به بالمدينة و ولدته بها فكانت ولادته و منشؤه مثل ولادة آبائه صلى الله عليهم و منشئهم. و ولد فى سنة إحدى و ثلاثين و مأتين من الهجرة؛ و سنّ أبى الحسن عليه السلام فى ذلك الوقت ستة عشرة سنة و شهورا و شخص بشخصه الى العراق فى سنة ست و ثلاثين و مأتين و له أربع سنين و شهور.

و روى سعد بن عبد الله بن أبى خلف عن داود بن القاسم الجعفرى قال: كنت عند أبى الحسن لما مضى ابنه محمد ففكرت فى نفسى فقلت: كانت قصة أبى محمد مثل قصة اسماعيل و أبى الحسن موسى عليه السلام.

فالتفت إلى فقال: نعم يا أبا هاشم هو كما حدثتك نفسك و ان كره المبطلون. أبو محمد ابنى الخلف من بعدى عنده علم ما يحتاج إليه و معه آلة الامامة و الحمد لله رب العالمين.

و حدثنا الحميرى عن محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى باسناده عن أبى الحسن عليه السلام قال أبو محمد: ابنى الخلف من بعدى.

و حدثنى الحميرى بهذا الاسناد عن على بن مهزيار قال: قلت لأبى الحسن عليه السلام: انى كنت سألت أباك عن الامامة بعده فنصّ عليك، ففيمن الامامة بعدك؟

فقال: الى أكبر ولدى.

و نص على أبى محمد عليه السلام ثم قال: ان الامامة لا تكون فى الأخوين بعد الحسن و الحسين عليهما السلام.

و عنه عن أحمد بن الحسن عن أحمد بن محمد الحصبى قال: كنت بحضرة أبى

ص: ٢٤٥

الحسن عليه السلام؛ و أبو محمد عليه السلام بين يديه فالتفت إليه فقال: يا بنى أحدث لله شكرا فقد أحدث الله فيك أمرا.

و روى سعد بن عبد الله عن الحسن بن الحسين من ولد الأقطس قال: حضرنا دار أبي الحسن عليه السلام نعزيه عن ابنه محمد وكنا نحو مائة وخمسين رجلا وما زاد من أهله ومواليه وسائر الناس إذ نظر إلى أبي محمد عليه السلام قد جاء حتى قام عن يمينه فقال له: يا بني أحدث لله شكرا فقد جدد الله فيك أمرا.

فقال أبو محمد: الحمد لله رب العالمين وإياه أسأل تمام نعمه لنا فيك وأنا لله وإنا إليه راجعون.

فسأل من لم يعرف، فقال: من هذا الصبي؟

فقال: هذا الحسن ابنه.

و عنه عن أبي جعفر محمد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف بعدى ابني الحسن فكيف بالخلف بعد الخلف؟

فقلت: ولم جعلني الله فداك؟

قال: أنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه.

قلت: فكيف نذكره؟

فقال: قولوا: الحجّة من آل محمد صلى الله عليه.

و روى إسحاق بن محمد عن محمد بن يحيى بن رثاب قال: حدثني أبو بكر الفهفكي قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسائل فلما نفذ الكتاب قلت في نفسي: اني كتبت فيما كتبت أسأله عن الخلف من بعده وذلك بعد مضي محمد ابنه. فأجابني عن مسألي وكنت أردت أن تسألني عن الخلف. وأبو محمد ابني أصح آل محمد صلى الله عليه غريزة وأوثقهم عقيدة بعدى وهو الأكبر من ولدى، إليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها. فما كنت سائلا عنه فسله، فعنده علم ما يحتاج إليه والحمد لله.

و حدثنا الحميري عن جعفر بن محمد الكوفي عن سنان بن محمد البصري عن علي بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره فمر بنا أبو جعفر ابنه

ص: ٢٤٦

محمد، فقلت: جعلني الله فداك هذا صاحبنا؟

فقال: لا وصاحبكم الحسن.

و عنه عن علان الكلابي عن اسحاق بن اسماعيل النيسابوري قال: حدّثني شاهويه ابن عبد الله الجلاب قال: كنت رويت دلائل كثيرة عن أبي الحسن عليه السلام في ابنه محمد فلما مضى بقيت متحيّراً و خفت أن اكتب في ذلك فلا أدري ما يكون. فكتبت أسأل الدعاء.

فخرج الجواب بالدعاء لي، و في آخر الكتاب: أردت أن تسأل عن الخلف و قلعت، لذلك فلا تغتمّ فان الله عز و جل لا يضلّ قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتّقون، و صاحبك بعدى أبو محمد ابني عنده علم ما تحتاجون إليه يقدم الله ما يشاء و يؤخر ما يشاء، قد كتبت بما فيه تبيان لذي لب يقظان.

و عن سعد بن عبد الله عن هارون بن مسلم قال: كتبت الى أبي محمد عليه السلام بعد مضى أبي الحسن عليه السلام انا و جماعة نسأله عن وصي أبيه.

فكتب: قد فهمت ما ذكرتم، و ان كنتم الى هذا الوقت في شك فإنّها المصيبة العظمى، أنا وصيّ و صاحبكم بعده عليه السلام بمشافهة من الماضي أشهد الله تعالى و ملائكته و أوليائه على ذلك، فان شككنم بعد ما رأيتم خطي و سمعتم مخاطبتي فقد أخطأتم حظ أنفسكم و غلطتم الطريق.

و عنه عن أحمد بن محمد بن رجا صاحب الترك قال: قال أبو الحسن عليه السلام: ابني القائم من ولدي.

و نشأ أبو محمد عليه السلام و قد نص عليه بهذه الأخبار و غيرها عند الخاصة فقام بأمر الله عز و جل و سنّه ثلاث و عشرون سنة فظهر من دلائله في اليوم الذي مضى فيه أبو الحسن عليه السلام ما هو مثبت في باب أبي الحسن صلّى الله عليه.

و بعد سنة و شهور من إمامته بويج لمحمد بن الواثق المهتدي و كانت من قصته مع أبي محمد عليه السلام ما نحن مثبتوه من الدلائل في مواضعه من هذا الباب.

و في سنتين و شهور من إمامته قتل المهتدي و بويج لأحمد بن جعفر المعتمد سنة ست و خمسين و مائتين.

ص: ٢٤٧

و روى علان الكلابي عن اسحاق بن اسماعيل النيسابوري قال: حدّثني الربيع بن سويد الشيباني قال: حدّثني ناصح البادودي قال: كتبت الى أبي محمد عليه السلام أعزيه في أبي الحسن و قلت في نفسي و أنا أكتب: لو قد حير ببرهان يكون حجّة لي؟

فأجابني عن تعزيتي و كتب بعد ذلك: من سأل آية أو برهاناً فأعطى ثم رجع عمّن طالب منه الآية عذب ضعف العذاب، و من صبر أعطى التأييد من الله، و الناس مجبولون على جبلة ايثار الكتب المنشرة، فاسأل السداد فانما هو التسليم أو العطب، و لله عاقبة الامور.

و حدّثني علان عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبيد الله قال: لما مضى أبو الحسن عليه السّلام انتهبت الخزانة فأخبر أبو محمد عليه السّلام، فأمر باغلاق الباب الكبير ثم دعا بالحريم و العيال و العلّمان فجعل يقول لواحد واحد: رد كذا و كذا؛ و يخبره بما أخذ، فيردّه حتى ما فقد من الخزانة شيء إلّا رد بعلامته و عينه و الحمد لله ربّ العالمين.

و عنه قال: كنت يوما كتبت إليه أخبره باختلاف الموالى و أسأله اظهار دليل، فكتب:

انما خاطب الله عز و جل ذوى الألباب و ليس أحد يأتي بآية أو يظهر دليلاً أكثر مما جاء به خاتم النبيين و سيّد المرسلين، فقالوا كاهن و ساحر كذاب، فهدى الله من اهتدى، غير ان الأدلة يسكن إليها كثير من الناس، و ذلك ان الله جل جلاله يأذن لنا فتكلّم و يمنع فنصمت، و لو أحبّ الله ألا يظهر حقاً لما بعث النبيين مبشرين و منذرين يصدعون بالحق فى حال الضعف و القوّة فى أوقات، و ينطقون فى أوقات؛ ليقضى الله أمره و ينفذ فى الناس حكمه؛ فى طبقات شتى. فالمستبصر على سبيل نجاة مستمسك بالحق متعلّق بفرع أصيل غير شاك و لا مرتاب لا يجد عنه ملجأ. و طبقة لم تأخذ الحق من أهله فهم كراكب البحر يموج عند موجه و يسكن عند سكونه. و طبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الردّ على أهل الحق و دفعهم بالباطل و الهوى كفّاراً؛ حسداً من عند أنفسهم. فدع من ذهب يميناً و شمالاً فان الراعى اذا أراد أن يجمع غنمه جمعها فى أهون سعى. ذكرت اختلاف موالينا فاذا كانت الوصيّة و الكتب فلا ريب من جلس مجلس الحكم فهو أولى بالحكم، أحسن رعاية من استرعى و إيّاك و الإذاعة و طلب الرئاسة، فإنّهما يدعوان الى

ص: ٢٤٨

الهلكة.

ثم قال: ذكرت شخوصك الى فارس فاشخص خار الله لك و تدخل مصر إن شاء الله آمناً و اقرأ من تثق به من موالينا السلام و مرهم بتقوى الله العظيم و اداء الامانة و اعلمهم ان المذيع علينا حرب لنا.

قال: فلما قرأت خار الله لك فى دخولك مصر إن شاء الله آمناً لم أعرف المعنى فيه فقدمت بغداد عازماً على الخروج الى فارس فلم يقيّض لى و خرجت الى مصر.

قال: و لما همّ المستعين فى أمر أبى محمّد عليه السّلام بما همّ و أمر سعيد الحاجب بحمله الى الكوفة و ان يحدث فى الطريق حادثة، انتشر الخبر بذلك فى الشيعة فأقلقهم، و كان بعد مضى أبى الحسن عليه السّلام بأقل من خمس سنين فكتب إليه محمد بن عبد الله و الهيثم بن سبابة: قد بلغنا - جعلنا الله فداك - خبر أفلقنا و غمّنا و بلغ منّا.

فوقع: بعد ثلاثة يأتىكم الفرّج.

قال: فخلع المستعين فى اليوم الثالث و قعد المعتز و كان كما قال صلّى الله عليه.

و حدث محمد بن عمر الكاتب عن علي بن محمد بن زياد الصيمري صهر جعفر بن محمود الوزير علي ابنة أم أحمد و كان رجلا من وجوه الشيعة و ثقاتهم و مقدما في الكتابة و الأدب و العلم و المعرفة قال: دخلت على أبي أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر و بين يديه رقعة من أبي محمد عليه السلام فيها: اني نازلت الله عز و جل في هذا الطاغى يعنى المستعين و هو آخذه بعد ثلاث، فلما كان في اليوم الثالث خلع و كان من أمره ما رواه الناس في احداره الى واسط و قتله.

و حدثنا الحميري عن أبي جعفر العامري عن علان بن حمويه الكلابي عن محمد بن الحسن النخعي عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام إذ دخل عليه شاب حسن الوجه فقلت في نفسي: ترى من هذا فقال أبو محمد: هذا ابن أم غانم صاحب الحصاة التي طبع فيها آبائي عليهم السلام و قد جاءني بها لأطبع له فيها. هات حصاتك.

قال: فاخرج فاذا فيها موضع أملس فطبع بخاتم في اصبعه فانطبع.

قال: و اسم هذا الشاب اليماني مهجع بن سمعان بن غانم بن أم غانم اليمانية.

ص: ٢٤٩

و عنه عن أبي هاشم قال: شكوت الى أبي محمد عليه السلام ضيق الحبس و كلب القيد فكتب الى: أنت تصلّي اليوم في منزلك الظهر.

فصليت في منزلي كما قال عليه السلام؛ لأنني اطلقت من وقتي.

و عنه عن جعفر بن محمد القلانسي قال: كتب محمد أخى الى أبي محمد عليه السلام و امرأته حامل تسأله الدعاء بخلاصها و ان يرزقها الله ذكرا أو تسأله أن تسميه فكتب إليه: رزقك الله ذكرا سويا، و نعم الاسم محمد و عبد الرحمن.

فولدت ابنين توأما فسمي أحدهما محمدا و الآخر عبد الرحمن.

و عنه عن أبي هاشم الجعفري قال: سأل محمد بن صالح الأرمني أبا محمد عليه السلام عن قول الله عز و جل «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» فقال: هل يمحوا إلّا ما كان، و هل يثبت إلّا ما لم يكن؟

فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقول هشام الفوطي. أنه لا يعلم الشيء حتى يكون.

فنظر إلى شزرا و قال: تعالى الله الجبار العالم بالشيء قبل كونه الخالق إذ لا مخلوق و الربّ إذ لا مربوب و القادر قبل المقدور عليه.

فقلت: اشهد أنّك وليّ الله و حجّته و قائم بقسطه و أنّك على منهاج أمير المؤمنين عليه السلام.

و عنه قال: قال لى أبو هاشم: كنت عند أبى محمد عليه السّلام فسأله محمد بن صالح الأرمنى عن قول الله عز و جل «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا» فقال أبو محمد: ثبتت المعرفة و نسوا الموقف و سيذكرونه و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و لا من رازقه.

قال أبو هاشم: فجعلت أعجب فى نفسى من عظيم ما أعطى الله الى أوليائه عليهم السّلام فأقبل أبو محمّد عليه السّلام فقال: الا ما أعجب أعجبت منه يا أبا هاشم؟ ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، و من أنكرهم أنكر الله، و لا مؤمن إلّا و هو لهم مصدّق و بمعرفتهم موقن.

و عن الحميرى أيضا قال: قال لى أبو هاشم: سمعته عليه السّلام يقول: من الذنوب التى لا تغفر قول الإنسان: ليتنى لا أؤاخذ إلا بهذا.

فقلت فى نفسى: ان هذا لهو العلم الدقيق و قد ينبغى للرجل أن يتفقد من نفسه كل

ص: ٢٥٠

شىء.

فأقبل علىّ فقال: صدقت يا أبا هاشم، فالزم ما حدّثتك به نفسك، فان الاشراك فى الناس أخفى من ديبب النمل على الصفاء فى الليلة الظلماء و من ديببه على المسح الأسود.

و عنه عن أبى هاشم قال سمعت أبا محمّد عليه السّلام يقول: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»* اقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين الى بياضها.

و عنه عن محمد بن الحسن بن شموذ عمّن حدّثه قال: كتبت الى أبى محمد عليه السّلام حين أخذ المهتدى: يا سيدى الحمد لله الذى شغله عنا فقد بلغنى أنّه يتهدّد شيعتك و يقول و الله لأجلينهم عن جديد الأرض فوقّع بخطّه عليه السّلام: ذاك أقصر لعمره عد من يومك هذا خمسة أيام فأنّه يقتل من يوم السادس بعد هوان و استخفاف و ذلّ يلحقه.

فكان كما قال عليه السّلام.

و عن محمد بن الحسن بن شموذ قال: كتب إليه ابن عمّنا محمد بن زيد يشاوره فى شراء جارية نفيسة بمائتى دينار لابنه فكتب: لا تشتريها فان بها جنونا و هى قصيرة العمر مع جنونها.

قال فأضرت عن أمر هاشم مررت بعد أيام و معى ابنى على مولاها فقلت اشتهى أن استعيد عرضها و أراها فأخرجها إلينا، فبينما هى واقفة بين أيدينا حتى صار وجهها فى قفاها، فلبثت على تلك الحال ثلاثة أيام و ماتت.

و عنه عن أبى غانم قال: سمعت أبا محمد عليه السّلام يقول: سنة ستين تفرق شيعتنا.

و روى سعد بن عبد الله عن أبي هاشم قال: كنت عن أبي محمد عليه السلام و كنت فى إضافة فأردت أن أطلب منه دنائير فاستحييت فلما صرت الى منزلى وجهت إلى بمائة دينار و كتب إلى: اذا كانت لك حاجة فلا تستحي و لا تحتشم و اطلبها يأتك ما تحب إن شاء الله.

و عنه عن أبي هاشم عن الحجاج بن سفيان العبدى قال: خلفت ابني بالبصرة عتيلا و كتبت الى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء فوقع: رحم الله ابنك أنه كان مؤمنا.

قال الحجاج: فورد على الكتاب: أنه توفي فى ذلك اليوم و كان شاكاً فى الإمامة

ص: ٢٥١

للاختلاف الذى وقع فى السنة.

و عن سعد بن عبد الله عن علان بن محمد الكلابى عن إسحاق بن محمد النخعى قال:

حدثنى محمد بن رئاب الرقاشى قال: كتبت الى أبي محمد عليه السلام أسأله عن مشكاة و ان يدعو لامرأتى و كانت حاملا ان يرزقها ذكرا و ان يسميه فرجع الجواب:

المشكاة قلب محمد صلى الله عليه و آله.

و كتب فى آخر الكتاب: أعظم الله أجرک و أخلف عليك.

فولدت ولدا ميتا و حملت بعده فولدت غلاما.

و عنه عن إسحاق قال حدثنى على بن حميد الذارع قال: كتبت الى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء بالفرج ممّا نحن فيه من الضيق، فرجع الجواب: الفرج سريع. يقدم عليك مال من ناحية فارس.

فمات ابن عم لى بفارس ورثته و جاءنى مال بعد أيام يسيرة.

و عنه عن اسحاق عن محمد بن عبد العزيز البلخى قال: أصبحت يوما و جلست فى شارع سوق الغنم فاذا أنا بأبى محمد عليه السلام قد أقبل يريد باب العامة بسر من رأى فقلت فى نفسى: ترانى ان صحت يا أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه يقتلونى.

فلما دنا منى و نظرت إليه أوماً إلى بإصبعه السبابة و وضعها على فيه ان اسكت، فأسرعت إليه حتى قبّلت رجله، فقال لى: اما أنك لو أذعت لهلكت.

و رأيته تلك الليلة يقول: انما هو الكتمان أو القتل فابقوا على أنفسكم.

و عنه عن أحمد بن محمد الأقرع قال حدثني أبو حمزة قصر الخادم قال: سمعت مولاى أبا محمد غير مرة يكلم غلمانہ الروم بالرومية و الصقالبة بالصقلبية و الاتراك بالتركية فعجبت من ذلك و قلت فى نفسى: هذا ولد بالمدينة و لم يظهر لأحد حتى مضى أبوه عليه السلام، فأقبل علىّ فقال: ان الله تبارك و تعالى يبين الحجة من ساير الناس و يعطيه اللغات و معرفة الأنساب و الآجال و الحوادث و لو لا ذلك لم يكن بين الحجة و المحجوج فرق.

و عنه قال: كتبت الى أبى محمد عليه السلام أسأله هل يحلم الامام؟ فقلت فى نفسى بعد

ص: ٢٥٢

نفوذ الكتاب: الاحتلام شيطانى و قد أعاد الله أوليائه من ذلك. فوقع إلى: حال الائمة فى النوم مثل حالهم فى اليقظة لا يغير النوم منهم شيئا و قد أعاد الله أوليائه لمة الشيطان كما حدثك نفسك.

و روى الكلابى عن أبى الحسين بن على بن بلال و أبو يحيى النعمانى قالوا: ورد كتاب من أبى محمد و نحن حضور عند أبى طاهر من بلال فنظرنا فيه فقال النعمانى: فيه لحن أو يكون النحو باطلا- و كان هذا بسر من رأى- فنحن فى ذلك إذ جاءنا توقيعه: ما بال قوم يلحنوننا و ان الكلمة نتكلم بها تتصرف على سبعين وجها؛ فيها كلها المخرج منها و المحجة.

و عنه عن إسماعيل بن محمد العباسى قال: قعدت لأبى محمد عليه السلام على ظهر الطريق فلما مر بى قمت إليه و شكوت الحاجة و حلفت له أنه ليس عندى درهم فما فوقه فقال لى: تحلف بالله كاذبا قد دفنت مائتى دينار و ليس قولى هذا دفعا عن العطية. اعطه يا غلام إذا صرت الى الدار مائة دينار.

ثم قال: اما أنك تحرمها أحوج ما تكون إليها- يعنى المائتين.

فاضطرت بعد ذلك الى ما أنفقه فمضيت لأنبشها فاذا ابن لى قد عرف موضعها فأخذها و هرب.

علان الكلابى عن إسحاق عن على بن زيد بن على قال: كان لى فرس و كنت به متعجبا فدخلت على أبى محمد عليه السلام فقال لى: ما فعل فرسك؟

قلت: كان تحتى و هو على الباب.

فقال: استبدل به قبل المساء ان قدرت.

فقمتم من عنده مفكرًا فى بيعه ثم نفست فيه و كان الراغب فيه الطالب له كثير بأوفر الثمن فلما كان فى الليل أتانى السائس باكيا صارخا فقال: نفق الفرس فاغتممت.

قال: و دخلت عليه بعد أيام و قد فكّرت فى أن يخلف عليك يا غلام ادفع إليه برذونى الكميت الذى أركبه، هذا أفره من فرسك و أطول عمرا و أشد و أقوى.

سعد عن أبى هاشم قال: كنت محبوسا عند أبى محمد عليه السّلام فى حبس المهتدى فقال

ص: ٢٥٣

لى: يا أبا هاشم ان هذا الطاغية أراد أن يعيث بأمر الله عز و جل فى هذه الليلة و قد بتر الله عمره و جعله للمتولى بعده و ليس لى ولد و سيرزقنى الله ولدا بمنه و لطفه.

فلما أصبحنا شغبت الاتراك على المهتدى و أعانهم العامة لمّا عرفوا من قوله بالاعتزال و القدر فقتلوه و نصبوا مكانه المعتمد و بايعوا له، و كان المهتدى قد صحح العزم على قتل أبى محمّد عليه السّلام فشغله الله بنفسه حتى قتل و مضى الى أليم عذاب الله.

و عنه عن أبى هاشم قال كنت عند أبى محمّد عليه السّلام قال: اذا قام القائم أمر بهدم المنابر التى فى المساجد.

فقلت فى نفسى: لأى معنى هذا؟

فقال لى: معنى هذا أنّها محدثة مبتدعة لم يبينها نبى و لا حجّة.

الحميرى عن الحسن بن على عن إبراهيم بن مهزيار عن محمد بن أبى الزعفران عن أم أبى محمّد عليهما السّلام قال: قال لى يوما من الأيام: يصيبنى فى سنة ستين و مائتين حرارة أخاف ان أنكب منها نكبة.

قالت: فأظهرت الجزع و أخذنى البكاء.

قال: لا بد من وقوع أمر الله لا تجزعى.

فلما كان فى صفر سنة ستين و مائتين أخذها المقيم و المقعد و جعلت تخرج فى الاحايين الى خارج المدينة تجسس الأخبار حتى ورد عليها الخبر حين حبسه المعتمد فى يدى على بن جرير و حبس أخاه جعفرا معه و كان المعتمد يسأل عليّا عن أخباره فى كلّ مكان و وقت فيخبره أنّه يصوم النهار و يصلّى بالليل فسأله يوما من الأيام عن خبره فأخبره بمثل ذلك فقال له أمض الساعة إليه و اقرأه منى السلام و قل له انصرف الى منزلك مصاحبا.

قال على بن جرير فجئت الى باب السجن فوجدت حمارا مسرجا فدخلت إليه فوجدته جالسا و قد لبس خفّه و طيلسانه و شاشيته فلما رآنى نهض فأدبت إليه الرسالة و ركب فلما استوى على الحمار وقف فقلت له: فما وقوفك يا سيدى؟ فقال لى: حتى يخرج جعفر، فقلت: انما أمرنى بإطلاقك دونه.

فقال: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعا فاذا رجعت و ليس هو معى كان فى ذلك ما لا خفاء به عليك.

فمضى و عاد فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفرا لك لأنى قد حبسته بجنايته على نفسه و عليك و ما يتكلم به.

و خلى سبيله فصار معه الى دار الحسن بن سهل عن على بن محمد بن الحسن.

قال: خرج السلطان بريد صاحب البصرة، خرج أبو محمد بشيعته فنظرنا إليه ماضيا معه و كنا جماعة من شيعة فجلسنا ما بين الحائطين ننتظر رجوعه فلما رجع فحاذانا وقف علينا ثم مد يده الى قلنسوته فأخذها من رأسه و أمسكها بيده ثم أمر يده الاخرى على رأسه و ضحك فى وجه رجل منا فقال الرجل مبادرا: اشهد أنك حجة الله و خيرته.

فسألناه: ما شأنك؟

فقال: كنت شاكاً فيه فقلت فى نفسى ان رجع و أخذ قلنسوته من رأسه قلت بإمامته.

و قد روى هذا الحديث جماعة من الصميريين من ولد اسماعيل بن صالح: ان الحسن بن اسماعيل بن صالح كان فى أول خروجه الى سر من رأى للقاء أبى محمد عليه السلام و معه رجلان من الشيعة وافق قدومهم ركوب أبى محمد عليه السلام.

قال الحسن بن اسماعيل: فتفرقنا فى ثلاث طرق و قلنا: ان رجع فى أحدها رآه رجل منا. فانتظرناه، فعاد عليه السلام فى الطريق الذى قعد فيه الحسن بن اسماعيل. فلما طلع و حاذاه قال: قلت فى نفسى: اللهم إن كان حجتك حقاً و امامنا فليمس قلنسوته.

فلم أستتم ذلك حتى مسها و حركها على رأسه، فقلت: يا رب ان كان حجتك فليمسها ثانيا.

فضرب بيده فأخذها عن رأسه ثم ردّها.

و كثر عليه الناس بالسلام عليه و الوقوف على بعضهم فتقدمه الى درب آخر فلقيت صاحبى و عرفتهما ما سألت الله فى نفسى و ما فعل، فقالا: فتسأل و نسأل الثالثة فطلع عليه السلام و قربنا منه فنظر إلينا و وقف علينا ثم مد يده الى قلنسوته فرفعها عن رأسه و أمسكها بيده و أمر يده الاخرى على رأسه و تبسم فى وجوهنا و قال: كم هذا الشك؟

قال الحسن: فقلت اشهد ان لا إله إلا الله و أنك حجة الله و خيرته.

قال: ثم لقيناه بعد ذلك فى داره و أوصلنا إليه ما معنا من الكتب و غيرها.

و روى عن على بن محمد بن زياد الصيمرى قال: كنت جعلت على نفسى أن أحمل فى كل سنة النصف من خالص ارتفاع ضيعتين لى بالبصرة لم يكن فى ضياعى أجلّ منهما و لا أكثر دخلا الى أبى محمد عليه السّلام فكانت تزكو غلاتها و تريع أضعاف الربيع قبل ذلك. فأعددت ألفى دينار لأحملها، فوجّه الى ابن عمى محمد بن اسماعيل بن صالح الصيمرى بأموال حملتها إليه عليه السّلام مع أموالى فى كتابى و لا فصلت ماله من مالى، فورد علىّ الجواب: و قد وصل ما حملته و فى حملته ما حملة إلينا على يدك الاسماعيلى قرابتك فعرفه ذلك.

و عنه عن جعفر بن محمد بن موسى قال: كنت جالسا فى الشارع بسر من رأى فمرّ بى أبو محمد عليه السّلام و هو راكب و كنت أشتهى الولد شهوة شديدة فقلت فى نفسى: ترى انى أرزق ولدا؟

فأوماً إلى برأسه: نعم.

فقلت: ذكرا؟

فقال برأسه: لا.

فحمل لى حمل و ولدت لى بنت.

و عنه عن المحمودى قال: رأيت خط أبى محمد عليه السّلام لما اخرج من حبس المعتمد:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

الحميرى عن أحمد بن اسحاق قال: دخلت على أبى محمد عليه السّلام فقال لى: يا أحمد ما كان حالكم فيما كان الناس فيه من الشكّ و الارتياب؟

قلت: يا سيدى لما ورد الكتاب بخير سيّدنا و مولده لم يبق منّا رجل و لا امرأة و لا غلام بلغ الفهم إلّا قال بالحقّ.

فقال: أ ما علمتم ان الأرض لا تخلو من حجّة الله.

ثم أمر أبو محمد عليه السّلام والدته بالحجّ فى سنة تسع و خمسين و مائتين و عرفها ما يناله

ص: ٢٥٦

فى سنة الستين و أحضر صاحب السّلام فأوصى إليه و سلّم الاسم الأعظم و المواريث و السلاح إليه.

و خرجت أم أبي محمد مع صاحب عليهم السّلام جميعا الى مكّة، و كان أحمد بن محمد ابن مطهر أبو على المتولى لما يحتاج إليه الوكيل فلما بلغوا بعض المنازل من طريق مكّة تلقى الاعراب القوافل فأخبروهم بشدّة الخوف و قلّة الماء فرجع أكثر الناس إلّا من كان في «الناحية» فإنّهم نفذوا و سلموا.

و روى أنّه ورد عليهم عليه السّلام بالنفوذ و مضى أبو محمّد عليه السّلام في شهر ربيع الآخر سنة ستين و مائتين و دفن بسر من رأى الى جانب أبيه أبي الحسن (صلّى الله عليهما) فكان من ولادته الى وقت مضيه تسع و عشرون سنة منها مع أبي الحسن ثلاث و عشرون سنة و بعده منفردا بالإمامة ست سنين.

ص: ٢٥٧

قيام صاحب الزمان و هو الخلف الزكيّ بقيّة الله في أرضه و حجّته على خلقه المنتظر لفرج أوليائه من عباده عليه السّلام و رحمته و تحياته.

روى عن العالم عليه السّلام: انّ الله عز و جل اذا أراد أن يخلق الامام أنزل قطرة من المزن فسقطت على ثمار الأرض فيأكلها الحجّة صلّى الله عليه فاذا وقعت في الموضع الذي تستقر فيه و مضى له أربعون يوما سمع الصوت، فاذا أتت له أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن: «و تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فاذا قام بالامر رفع له عمود من نور في كلّ بلد ينظر به الى أعمال العباد.

قال المؤلف لهذا الكتاب: روى لنا الثقات من مشايخنا ان بعض أخوات أبي الحسن عليه السّلام على بن محمد عليه السّلام كانت لها جارية ولدت في بيتها و ربّتها تسمّى نرجس فلما كبرت و عبلت دخل أبو محمّد عليه السّلام فنظر إليها فأعجبته.

فقال عمّته: أراك تنظر إليها؟

فقال صلّى الله عليه: انى ما نظرت إليها إلّا متعجبا!

أما ان المولود الكريم على الله - جل و علا - يكون منها.

ثم أمرها ان تستأذن أبا الحسن في دفعها إليه، ففعلت، فأمرها بذلك.

و روى جماعة من الشيوخ العلماء؛ منهم علان الكلابي و موسى بن محمد الغازي و أحمد بن جعفر بن محمد بأسانيدهم ان حكيمة بنت أبي جعفر عليه السّلام عمّة أبي محمّد عليه السّلام كانت تدخل الى أبي محمّد فتدعو له أن يرزقه الله ولدا و انها قالت: دخلت عليه يوما فدعوت له كما كنت أدعو. فقال لي: يا عمّة اما أنّه يولد في هذه الليلة - و كانت ليلة

ص: ٢٥٨

النصف من شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين - المولود الذي كنّا نتوقّعه، فاجعلني افطارك عندنا - و كانت ليلة الجمعة -.

فقلت له: ممّن يكون هذا المولود يا سيدي؟

فقال: من جاريتك نرجس.

قالت: و لم يكن في الجوارى أحبّ إليّ منها و لا أخف على قلبي و كنت اذا دخلت الدار تتلقاني و تقبّل يدي و تنزع خفي بيدها.

فلما دخلت إليها ففعلت بي كما كانت تفعل، فانكبتت على يدها فقبلتها و منعته مما تفعله، فخاطبتني بالسيادة، فخاطبتها بمثله، فأنكرت ذلك، فقلت لها: لا تنكري ما فعلته، فان الله سيهب لك في ليلتنا هذه غلاما سيّدا في الدّنيا و الآخرة.

قالت: فاستحييت.

قالت حكيمة: فتعجبت، و قلت لأبي محمّد: اني لست أرى بها أثر حمل!

فتبسّم (صلّى الله عليه) و قال لي: أنا معاشر الأوصياء لا نحمل في البطون و لكنّا نحمل في الجنوب. و في هذه الليلة مع الفجر يولد المولود المكرّم على الله إن شاء الله.

قالت: فمنت بالقرب من الجارية، و بات أبو محمد عليه السّلام في صفة في تلك الدار فلما كان وقت صلاة الليل قمت؛ و الجارية نائمة .. ما بها أثر الولادة، و أخذت في صلاتي ثم أوترت.

فبينما أنا في الوتر حتى وقع في نفسي: ان الفجر قد طلع و دخل في قلبي شيء، فصاح أبو محمّد عليه السّلام من الصّفة: لم يطلع الفجر يا عمّة بعد، فأسرعت الصلاة و تحرّكت الجارية فدنوت منها و ضممتها إليّ و سمّيت عليها ثم قلت لها: هل تحسين شيئا؟ قالت: نعم.

فوقع علىّ سبات، لم أتمالك معه ان نمت، و وقع على الجارية مثل ذلك، فنامت و هي قاعدة. فلم تنتبه إلّا و هي تحس مولاي و سيدي تحتها و بصوت أبي محمد عليه السّلام و هو يقول: يا عمتي هات ابني إليّ.

فكشفت عن سيّدي صلّى الله عليه فاذا أنا به ساجدا منقلبا الى الأرض بمساجده

ص: ٢٥٩

و على ذراعه الأيمن مكتوب جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا.

فضممته إليّ فوجدته مفروغا منه - يعني مطهر الختانة -

و لفته في ثوب و حملته الى أبي محمد عليه السلام فأخذه و أقعده على راحته اليسرى و جعل يده اليمنى على ظهره ثم أدخل لسانه في فيه و أمر يده على عينيه و سمعه و مفاصله ثم قال: تكلم يا بنى.

فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و أن علياً أمير المؤمنين».

ثم لم يزل يعدّ السادة الأوصياء صلى الله عليهم الى أن بلغ الى نفسه فدعا لأوليائه على يديه بالفرج، ثم صمت عليه السلام عن الكلام.

قال أبو محمد عليه السلام: اذهبي به الى أمه ليسلم عليها و رديه إلى.

فمضيت به فسلم عليها فرددته، فوقع بينى و بينه كالحجاب، فلم أر سيدى فقلت له: يا سيدى اين مولاي؟

فقال: أخذه من هو أحق منك و منّا.

فاذا كان في اليوم السابع جئت فسلمت و جلست فقال عليه السلام: هلم ائتني به فجئت بسيدى و هو في ثياب صفر، ففعل كفعاله الأول، و جعل لسانه في فيه ثم قال له تكلم يا بنى.

فقال له: «أشهد أن لا إله إلا الله» و ثنى بالصلاة على محمد و أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السلام حتى وقف على أبيه ثم قرأ هذه الآية:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَ نَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ».

بعد أربعين يوماً دخلت دار أبي محمد عليه السلام فاذا بمولاي يمشى في الدار فلم أر وجهها أحسن من وجهه (صلى الله عليه) و لا لغة أفصح من لغته. فقال أبو محمد عليه السلام: هذا المولود الكريم على الله جلّ و علا.

قلت: يا سيدى ترى من أمره ما أرى و له أربعون يوماً.

ص: ٢٦٠

فتبسّم عليه السلام و قال: يا عمتى أو ما علمت أنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم مثل ما ينشأ غيرنا في الجمعة و ننشأ في الجمعة مثل ما ينشأ غيرها في الشهر و ننشأ في الشهر مثل ما ينشأ غيرنا في السنة.

فقممت فقبّلت رأسه و انصرفت.

ثم عدت و تفقدته فلم أره فقلت لسيدى أبي محمد عليه السلام: ما فعل مولانا؟

فقال: يا عمّة استودعناه الذى استودعت أم موسى.

و حدّثنى موسى بن محمد أنّه قرأ المولد عليه عليه السّلام فصحه و زاد فيه و نقص و تقرّر بالروايات على ما ذكرناه.

و روى عن أبى محمد عليه السّلام أنّه قال: لما ولد الصّاحب عليه السّلام بعث الله عز و جل ملكين فحملاه الى سرادق العرش حتى وقف بين يدى الله فقال له: مرحبا بك، و بك أعطى و بك أعفو و بك أعذب.

و روى علان الكلّابى عن محمد بن يحيى عن الحسين بن على النيسابورى الدقاق عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله موسى بن جعفر عن أحمد بن محمد السيارى قال:

حدّثنى نسيم و مارية قالتا: لما خرج صاحب الزمان من بطن أمه سقط جاثيا على ركبتيه رافعا سبابته نحو السماء ثم عطس فقال: الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على محمّد و آله من عبد داخر لله غير مستكف و لا مستكبر، ثم قال: زعمت الظلمة أن حجة الله داخضة و لو اذن لنا فى الكلام زال الشك.

و روى علان باسناده ان السيد عليه السّلام ولد سنة خمس و خمسين و مأتين بعد مضى أبى الحسن عليه السّلام بنحو سنتين.

و حدّثنى حمزة بن نصر غلام أبى الحسن عليه السّلام قال: ولد السيد عليه السّلام فتباشر أهل الدار بمولده فلما أنشأ خرج الى الأمر ان ابتاع فى كلّ يوم من اللحم قصب مخ و قيل ان هذا لمولانا الصغير.

و حدّثنى الثقة من اخواننا عن إبراهيم بن إدريس قال: وجّه إلىّ مولاي أبو محمّد عليه السّلام بكبشين و قال: عقهما عن ابنى فلان و كل و اطعم اخوانك.

ص: ٢٤١

ففعلت ثم لقيته بعد ذلك فقال: ان المولود الذى ولد مات.

ثم وجّه إلىّ بكبشين بعد ذلك و كتب إلىّ: بسم الله الرحمن الرحيم. عق هذين الكبشين عن مولاك و كل هناك الله و اطعم اخوانك.

ففعلت و لقيته بعد ذلك فما ذكر لى شيئا.

و حدّثنى علان قال: حدّثنى نسيم خادم أبى محمّد عليه السّلام قال: قال لى صاحب الزمان و قد دخلت إليه بعد مولده بليلة فعطست عنده فقال لى: يرحمك الله.

قال نسيم: ففرحت.

فقال لى عليه السّلام: أ لا أبشرك فى العطاس؟.

قلت: بلى.

قال: هو أمان من الموت ثلاثة أيام.

و حدّثنا علان قال: حدّثنى أبو نصر ضرير الخادم قال: دخلت على صاحب الزمان فقال لى: على بالصندل الأحمر.

فأتيت به فقال: أ تعرفنى؟.

قلت: نعم.

قال: من أنا؟.

فقلت: أنت سيدى و ابن سيدى.

فقال: ليس عن هذا سألتك.

قال ضرير: فقلت: جعلت فداك فسّر لى.

فقال: أنا خاتم الأوصياء و بى رفع الله البلاء عن أهلى و شيعتى.

و عن جعفر بن محمد بن مالك قال: حدّثنى محمد بن جعفر بن عبد الله عن أبى نعيم محمد بن أحمد الأنصارى قال: وجّه قوم من المفوّضة و المقصرة كامل بن إبراهيم المدائنى الى أبى محمد عليه السّلام لينظره فى أمرهم، قال كامل: فقلت: فى نفسى أسئلة و أنا اعتقد أنّه لا يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتى و قال بمقالتى.

قال: فلما دخلت عليه نظرت الى ثياب بياض ناعمة عليه فقلت فى نفسى: ولىّ الله

ص: ٢٤٢

و حجّته يلبس الناعم من الثياب و يأمرنا بمواساة الاخوان و ينهانا عن لبس مثله.

فقال متبسما: يا كامل. و حسر عن ذراعيه فاذا مسح اسود خشن رقيق على جلده فقال: هذا لله عز و جل، و هذا لكم.

فخرجت و جلست الى باب عليه ستر مسبل فجاءت الريح فرفعت طرفه فاذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها.

فقال لى: يا كامل بن إبراهيم.

فاقشعرت من ذلك. فألهمنى الله ان قلت: لبيك يا سيدى.

فقال: جئت الى ولى الله و حجتة و بابه تسأله هل يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك و قال بمقالتك؟.

قلت: اى و الله.

قال: اذن و الله يقل داخلها. و الله أنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيقة.

قلت: يا سيدى من هم؟.

قال: قوم من حبهم لعلّى صلى الله عليه يحلفون بحقه و لا يدرون ما حقه و فضله.

ثم سكت صلى الله عليه عنى ساعة ثم قال: و جئت تسأله عن مقالة المفوضة، كذبوا بل قلوبنا أوعية الله فاذا شاء الله شئنا و هو قوله «و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله»*.

ثم رجع الستر الى حالته فلم استطع كشفه فنظر الى أبو محمد عليه السلام متبسما فقال: يا كامل بن إبراهيم ما جلوسك و قد أنباك الحجة بعدى بحاجتك؟.

فقمت و خرجت و لم أعاينه بعد ذلك.

قال أبو نعيم: فلقيت كاملا فسألته عن هذا الحديث فحدثنى به.

و عن سعد بن عبد الله باسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال: القائم من تخفى ولادته على الناس.

الحميرى عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن أبى الجارود عن عثمان ابن نشيط عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر ليس لأحد فى عنقه عهد و لا عقد و لا ذمة.

ص: ٢٦٣

عبد الله بن جعفر الحميرى عن الزيتونى عن الحسن بن على يرفعه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أنت صاحبنا - أعنى صاحب الأمر؟.

فقال: ألبست درع رسول الله صلى الله عليه و آله فابخرت علىّ و أنه ليأخذ لى بالركاب و ان صاحبكم يلبس الدرع فتستوى عليه و لا يؤخذ له بالركاب.

ثم قال لى: انى يكون ذلك و لم يولد الغلام الذى تربيه جدّته.

و عنه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن أبى نصر قال: دخلت على الرضا عليه السّلام انا و صفوان بن يحيى و أبو جعفر عنده و له ثلاث سنين فقلت له: جعلنا الله فداك ان حدث بك حادث فمن يكون؟.

قال: ابنى هذا- و أوماً بيده إليه.

قلنا: و هو فى هذه السنّ.

فقال: ان الله عز و جل احتجّ بعيسى بن مريم و له ستتان.

و كتب الرضا عليه السّلام على ما جاءت به الرواية مع محمد بن سنان و جماعة من أصحابنا الى أبى جعفر عليه السّلام و له أقلّ من سنة فصاروا إليه فأخرجه موفق الخادم إليهم على عاتقه فلما لمح العنوان أوماً الى موفق بفضّ الكتاب و نشره عليه و جعل ينظر فيه و يقرأ، فلما فرغ قال: تاخ تاخ.

فقال محمد بن سنان: فطرسيته.

و دنا منه فتمسّح به فعاد بصره.

قال ابن أبى نصر فلما كبر أبو جعفر عليه السّلام: ذكرته قول محمد بن سنان فطرسيته فضحك.

و عنه عن على بن مهزيار قال: قلت لأبى الحسن عليه السّلام: و قد نص على أبى محمد يا سيدى أ يجوز أن يكون الإمام ابن سبع سنين؟.

قال: نعم و ابن خمس سنين.

و عنه عن إبراهيم بن مهزيار عن أخيه على عن فضالة بن أيوب عن عمر بن أبان عن حمران قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السّلام عن قول الله عز و جل «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

ص: ٢٦٤

مِصْبَاحٌ» ... الآية.

فقال لى: الامام يتكلّم بالوحى فى صغر سنّه.

و عنه و عن زرارة قال: قلت لأبى جعفر الباقر عليه السّلام قول الله عز و جل «لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ»

قال: يعنى بلوغ الامام.

قلت: و ما بلوغه؟.

قال: أربع سنين.

و عنه باسناده عن الباقر عليه السلام قال: ان الله بعث عيسى بن مريم بإقامة شريعة و له سنتان.

و فى خبر آخر: و ما يضرّكم من صغر سنه، قد قام عيسى بالحجّة و هو ابن ثلاث سنين.

سعد بن عبد الله عن محمد بن أحمد عن داود بن القاسم ابى هاشم قال: سمعت أبا الحسن - يعنى صاحب العسكر - يقول: الخلف من بعدى ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟.

قلت: و لم جعلنى الله فداك؟.

قال: لأنكم لا ترون شخصه و لا يحلّ لكم ذكره باسمه.

قلت: فكيف نذكره؟.

قال: قولوا: الحجّة من آل محمّد صلى الله عليه و آله.

و عنه عن محمد بن أحمد بن عيسى عن أحمد بن أبى نجران عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم و التنويه باسمه، و الله ليغيبن إمامكم دهرًا من دهركم، و ليمحصن حتى يقال: هلك، بأى واد سلك، و لتدمعن عليه عيون المؤمنين و لتكفأن كما تتكفأ السفن فى أمواج البحر فلا ينجو إلّا من أخذ عليه ميثاقه و كتب فى قلبه الايمان و أيده بروح منه، و لترفعن اثنتا عشرة راية مشبهة بعضها بعضا لا يدري أى من أى.

ص: ٢٦٥

قال المفضل: فبكيت و قلت: و كيف نصنع؟.

فنظر إلى شمس داخل الصفة فقال: ترى هذه الشمس؟.

قلت: نعم.

قال: و الله لأمرنا أبين منها.

و عنه عن الحسن بن عيسى عن محمد بن علي عن علي بن جعفر عليه السلام عن موسى عليه السلام قال: اذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم أحد عنها. لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عنه من كان يقول به. إنما هو محنة من الله يمتحن بها خلقه.

قلت: يا سيدي من الخامس من ولد السابع؟.

قال: عقولكم تصغر عن هذا، و لكن أن تعيشوا فسوف تدركونه.

و عنه عن محمد بن علي الصيرفي أبي سمية عن إبراهيم بن هاشم عن فرات بن أحنف قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام و قد ذكر القائم من ولده فقال: اما أنه ليغيب حتى يقول الجاهل: مالي في آل محمد حاجة.

و عنه عن محمد بن الحسين عن عمر بن يزيد عن الحسن بن أبي الربيع الهمداني عن محمد بن اسحاق عن أسيد بن ثعلبة عن أم هانئ قالت: لقيت أبا جعفر عليه السلام فسألته عن هذه الآية «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنْصِ الْجَوَارِ الْكُنْصِ».

قال: امام يفقد في سنة ستين و مائتين ثم يبدو كالشهاب الوقاد، فان أدركت زمانه قرّت عينك.

و عنه عن هارون بن مسلم بن سعدان عن سعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال في خطبة له: اللهم لا بد لأرضك من حجة على خلقك يهديهم الى دينك و يعلمهم علمك لئلا تبطل حجّتك و لا يضلّ اتباع أوليائك بعد إذ هديتهم ظاهر أو ليس بالمطاع أو مكتما مترقباً ان غاب عن الناس شخصه في حال هدنة لم يغيب عنهم ميثوت علمه فاذا به في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون.

و عنه يرفعه الى الأصعب بن نباتة قال: دخلت على أمير المؤمنين فوجدته مفكراً ينكت

ص: ٢٦٦

في الأرض، قلت: ما لي أراك مفكراً يا أمير المؤمنين؟.

قال أفكر في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي يملأها قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً يكون له غيبة تضلّ فيها أقوام و يهتدى فيها آخرون.

ثم قال بعد كلام طويل: أولئك خيار هذه الامّة مع أبرار هذه العترة.

قلت: ثم ما ذا يا أمير المؤمنين؟.

قال: ثم يفعل الله ما يشاء.

و عن هارون بن مسلم بن مسعدة باسناده عن العالم عليه السّلام أنّه قال.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ان الله عز وجل اختار من الايام يوم الجمعة و من الليالي ليلة القدر و من الشهور شهر رمضان و اختارني من الرسل و اختار مني عليا و اختار من على الحسن و الحسين و اختار منهما تسعة تاسعهم قائمهم و هو ظاهرهم و هو باطنهم.

و عنه عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السّلام قال: لا تعادوا الأيام فتعاديكم.

فسألته عن معنى ذلك.

فقال: له معنيان، ظاهر و باطن، فالظاهر: السبت لنا، و الأحد لشيعتنا، و الاثنين لأعدائنا، و تتمّ الحديث، و الباطن السبت رسول الله صلّى الله عليه وآله و الأحد: أمير المؤمنين، و الاثنين:

الحسن و الحسين، و الثلاثاء: علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد، و الأربعاء: موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي و أنا، و الخميس: الحسن ابني، و الجمعة: ابنه. و عليه يجتمع هذه الامة.

ثم قرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ».

ثم قال: نحن بقيّة الله.

و عن عباد بن يعقوب الأسدي عن الحسن ابن حماد عن عبد الله بن لهيعة عن حذيفة بن اليمان قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: صاحب بنى العباس يقتله رجل من ولدي لا يسميه باسمه إلّا كافر.

و عنه عن علي بن الحسن بن فضال عن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه السّلام يقول: القائم لا يرى جسمه و لا يسمّى باسمه.

ص: ٢٦٧

و عنه قال: اذا وقع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم.

و عنه عن أبي الحسن موسى عليه السّلام قال: سألته عن قول الله عز وجل «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ».

قال: اذا قدمتم امامكم فلم تروه فما أنتم صانعون؟.

و فى حديث آخر: فمن يأتيكم به إلّا الله عز وجل تعالى.

الحميرى عن محمد بن عيسى عن سليمان بن داود عن أبى نصر قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: فى صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء، سنّة من موسى فى غيبته، و سنّة من عيسى فى خوفه و مراقبته اليهود و قولهم مات و لم يمت و قتل و لم يقتل، و سنّة من يوسف فى جماله و سخائه، و سنّة من محمّد صلّى الله عليه و آله فى السيف يظهر به.

و عنه قال: لا يكون ما ترجون حتى يخطب السفينانى على أعوادها فاذا كان ذلك انحدر عليكم قائم آل محمّد من قبل الحجاز.

و عنه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لصاحب هذا الأمر بيت يقال له (بيت الحمد) فيه سراج يزهر منذ يوم ولد الى أن يقوم بالسيف.

و عنه عن الحسن بن على بن مهزيار عن محمّد ابن أبى الزعفرانى عن أم أبى محمّد عليه السّلام قالت: قال لى يوما: تصينى فى سنة الستين حرارة و أخاف منها.

فجزعت و بكيت، فقال لى: لا تجزعى لا بد من وقوع أمر الله.

فلما كان من أيام صفر من تلك أخذها المقيم و المقعد فجعلت تخرج الى الجبل و تتجسس أخبار العراق حتى ورد عليها الخبر.

و عنه عن محمد بن عيسى عن صالح بن محمّد قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد.

ثم قال: و من يطيق خراط القتاد.

و عنه عن محمد بن عيسى عن الحرث بن مغيرة عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: القائم امام ابن الامام يأخذون منه حلالهم و حرامهم قبل قيامه.

قلت: أصلحك الله اذا فقد الناس الامام عمّن يأخذون؟.

ص: ٢٤٨

قال: اذا كان ذلك فأحب من كنت تحب و انتظر الفرج، فما أسرع ما يأتيك.

و عنه عن أحمد بن هلال عن الحسن بن محبوب عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال:

لا بد من فتنّة صماء صيلم تظهر فيها كلّ بطانة و وليجة و ذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدى يبكى عليه أهل السماء و أهل الأرض.

ثم قال من بعد كلام طويل: كأني بهم شرّ ما كانوا و قد نودوا ثلاثة أصوات، الصوت الأول: أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين، و الصوت الثاني: ألا لعنة الله على الظالمين، و الثالث: بدن يظهر فيرى في قرن الشمس يقول: ان الله بعث فلانا فاسمعوا و أطيعوا.

و بهذا الاسناد عن ابن أبي عمير عن سعيد بن غزوان عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال: يكون منّا بعد الحسين تسعة تاسعهم قائمهم و هو أفضلهم.

و عنه عن أمية بن علي القيسي عن الهيثم التميمي قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: اذا توالى ثلاثة أسماء محمد و علي و الحسن كان رابعهم قائمهم.

و عنه عن أبي السفاتج عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم و بين يديها لوح يكاد يغشى ضوءه الأبصار، فيه ثلاثة أسماء في ظاهره، و ثلاثة أسماء في باطنه، و ثلاثة أسماء في أحد طرفيه، و ثلاثة أسماء في الطرف الآخر، يرى من ظاهره ما في باطنه و يرى من باطنه ما في ظاهره، فعددت الأسماء فاذا هي اثنا عشر، فقلت: من هؤلاء؟.

قالت: هذه أسماء الأوصياء من ولدي، آخرهم القائم.

قال جابر: فرأيت فيها محمداً في ثلاثة مواضع.

و عنه عن أحمد بن هلال عن محمد بن أبي عمير عن سعد بن غزوان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ان الله عز و جل اختار من الأيام الجمعة و من الشهور شهر رمضان و من الليالي ليلة القدر و من الناس الأنبياء و من الأنبياء الرسل و اختارني من الرسل و اختار منّي علياً و اختار من علي الحسن و الحسين و اختار من الحسين الأوصياء ينفون عن التنزيل تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، تاسعهم قائمهم و هو ظاهرهم و هو باطنهم.

ص: ٢٦٩

محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن المفضل بن عمر قال سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن تفسير جابر فقال: لا تحدّث به السفلة فيذيعوه أ ما تقرأ في كتاب الله عز و جل «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ» ان منّا من يكون اماماً مستتراً فاذا أراد الله اظهار أمره نكت في قلبه فيظهر حتى يقوم بأمر الله جلّ ثناؤه.

و عن علي بن محمد بن زياد الصيمري عن علي بن مهزيار قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكري أسأله عن الفرّج، فوقع: اذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرّج.

و عن محمد بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي هاشم عن إبراهيم بن أبي يحيى المزني عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: جاء يهودى الى عمر يسأله عن مسائل فأرشدته الى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: سل عمّا بدا لك.

قال: أخبرني بعد نبيكم، من الامام العدل، و في أى جنة، و هو و من يسكن معه فى جنته.

فقال عليه السلام: يا هاروني! لمحمد صلى الله عليه و آله اثنا عشر اماما عدلا لا يضرهم خذلان من خذلهم و لا يستوحشون خلاف من خالفهم، أرسب فى دين الله من الجبال الرواسى، و منزله - صلى الله عليه - فى جنات عدن، و الذين يسكنون معه هؤلاء اثنا عشر.

فأسلم الرجل و قال: أنت أولى بهذا المجلس من هذا. أنت الذى ينبغى أن تفوق الآفاق و تعلوه و لا تعلو.

محمد بن عيسى عن محمد بن فضيل عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: ان الله جل و علا أرسل محمدا صلى الله عليه و آله الى الجن و الإنس عامة و كان من بعده اثنا عشر وصيا، منهم من سبقنا، و منهم من بقى، و كل وصى أجرت سنة الأوصياء الذين بعد محمد صلى الله عليه و آله على سنة أوصياء عيسى عليه السلام الى ظهور محمد صلى الله عليه و آله و كانوا اثني عشر، أولهم شمعون، و كان أمير المؤمنين عليه السلام على سنة المسيح عليه السلام.

حدثنى الحميرى عن محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن على بن أبى حمزة قال: كنت مع أبى بصير و معنا مولى لأبى جعفر فحدثنا أنه سمع أبا

ص: ٢٧٠

جعفر عليه السلام أنه قال: منّا اثنا عشر محدثا القائم السابع بعدى.

فقام إليه أبو بصير فقال: اشهد لسمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر هذا منذ أربعين سنة.

و عنه عن عبد الله بن خالد الكوفى عن منذر بن محمد بن قابوس عن نصر بن السندى عن داود بن ثعلبة أبى مالك الجهنى عن الحرث بن المغيرة عن الأصبع بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته ينكت فى الأرض فقلت: يا أمير المؤمنين ما لى أراك مفكرا تنكت فى الأرض، أرغبة منك فيها؟.

قال: لا و الله ما رغبت فيها قط، و لكننى فكّرت فى مولود يكون من ظهري، الحادى عشر من ولدى، هو المهدي يملأها عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا، يكون له غيبة و فى أمره حيرة يضل فيها أقوام و يهتدى فيها آخرون.

قلت: يا مولاي فكم يكون الحيرة و الغيبة؟.

فقال: ستة أيام أو ستة شهور أو ستة سنين. و ذلك اذا فقد الباب بينه و بين شيعتنا تكون الحيرة.

فقلت: و ان هذا الأمر لكائن؟.

فقال: نعم كما أنه مخلوق. و اننى لك يا أصبع بهذا الأمر أولئك خيار هذه الامة مع أبرار هذه العترة.

قال: قلت: ثم ما يكون بعد ذلك؟.

قال: ثم يفعل الله ما يشاء فان له بدآت و ارادات و غايات و نهايات.

أبو محمد الحسن بن عيسى العلوى قال: حدّثنى أبى عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن على بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال لى: يا بنى اذا فقدت الخامس من ولد السابع من الأئمة عليهم السلام فالله الله فى أديانكم فأنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبها حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، يا بنى إنما هى محنة من الله امتحن الله بها خلقه لو علم آباؤكم و أجدادكم ديناً أصحّ من هذا الدين لا تبعوه.

قال أبو محمد الحسن بن عيسى: فقلت: يا سيدى من الخامس من ولد السابع؟.

قال: يا بنى عقولكم تصغر عن هذا و أحلامكم تضيق عن حملة و لكن ان تعيشوا

ص: ٢٧١

تدركوا.

أبو الحسن صالح بن أبى حماد و الحسن بن طريف جميعاً عن بكر بن صالح عن عبد الرحمن بن سالم عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال أبى عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصارى: ان لى إليك حاجة فمتى يخف عليك ان أخلو بك و أسألك عنها؟.

قال له: يا جابر فى أى وقت أحببت.

فخلاً به أبى فى بعض الأيام فقال له: يا جابر اخبرنى عن اللوح الذى رأيته فى يد أمى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و ما أخبرتك به فما هو فى ذلك اللوح مكتوب؟.

فقال جابر: اشهد بالله انى دخلت على امك فاطمة عليها السلام فى حياة رسول الله صلى الله عليه و آله فهنأتها بولادة الحسين فرأيت فى يدها لوحاً أخضر لظننت أنه من زمردة و رأيت فيه كتاباً أبيض يشبه نور الشمس فقلت لها: بأبى و أمى يا بنت رسول الله ما هذا اللوح فقالت: هذا أهداه الله جل جلاله الى رسول الله صلى الله عليه و آله و فيه اسمه و اسم ابنى الحسن و الحسين و الأوصياء من ولد الحسين عليهم السلام فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه و آله فقرأته و انتسخته.

قال له أبو جعفر عليه السلام: فهل لك يا جابر أن تعارضنى به.

قال: نعم.

فمضى معه حتى انتهى الى منزله فأخرج إلى صحيفة من ورق فيها نسخة ما في اللوح. فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ أنا عليك.

فنظر في نسخته وقرأ أبي، فما خالف حرفاً حرفاً.

فقال جابر: و اشهد بالله اني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً.

و قد أثبتناه في باب علي بن الحسين من هذا الكتاب و استغنى عن اعادته في هذا الباب، فانما ذكرناه في طريق ثان لروايته.

أبو الحسن محمد بن جعفر الأسدي قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال: دخلت على خديجة بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام اخت أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام في سنة اثنين و ستين و مائتين بالمدينة فكلّمته من وراء حجاب و سألتها عن دينها، فسمت لي من تأتم بهم.

ص: ٢٧٢

ثم قالت: و الخلف الزكي ابن الحسن ابن علي اخي فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟.

فقلت: خبراً عن ابن أخي أبي محمد عليه السلام كتب به الى أمه.

فقلت لها: فأين الولد؟.

فقلت مستوراً.

قلت: فألى من تفرع الشيعة؟.

قالت: الى الجدة أم أبي محمد.

فقلت لها: اقتداء بمن وصيته الى امرأة.

فقلت لي: اقتداء بالحسين بن علي عليه السلام لأنه أوصى الى اخته زينب بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج من علي بن الحسين في زمانه من علم ينسب الى زينب بنت علي عمته سرا على علي بن الحسين و تقيّة و ابقاء عليه.

ثم قالت: أنكم قوم أصحاب أخبار و رجال و ثقات اما رويتم ان التاسع من ولد الحسين يقسم ميراثه و هو حي باق

و نشأ الصاحب صلى الله عليه على منشأ آبائه عليهم السلام و قام بأمر الله جل و علا في يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ستين و مائتين سراً إلا عن ثقاته و ثقات أبيه و له أربع سنين و سبعة أشهر.

و قد روى من الأخبار فى الغيبة فى هذا الكتاب ما فيه كفاية.

و روى ان أبا الحسن صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد يسير من خواصه فلما أفضى الأمر الى أبى محمد عليه السلام كان يكلم شيعته الخواص و غيرهم من وراء الستر إلّا فى الأوقات التى يركب فيها الى دار السلطان و ان ذلك انما كان منه و من أبيه قبله مقدّمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك و لا تنكر الغيبة و تجرى العادة بالاحتجاب و الاستتار.

و فى تسع عشرة سنة من الوقت توفى المعتمد و بويج لأحمد بن الموفق و هو المعتضد و ذلك فى رجب سنة تسع و تسعين و مائتين.

ص: ٢٧٣

و فى تسع و عشرين سنة من الوقت توفى المعتضد و بويج لابنه على المكتفى فى شهر ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين و مائتين.

و فى خمس و ثلاثين سنة من الوقت توفى المكتفى و بويج لأخيه جعفر المقتدر فى سلخ شوال سنة خمس و تسعين و مائتين.

و فى سنة ستين من الوقت قتل جعفر المقتدر لليلة بقيت من شوال سنة عشرين و ثلاثمائة و بويج لأخيه محمد القاهر بالله.

و فى سنة اثنين و ستين من الوقت خلع القاهر ثم سمل و وقعت البيعة للراضى محمد ابن المقتدر فى جمادى الأولى سنة اثنين و عشرين و ثلاثمائة و بويج لأخيه إبراهيم المتقى لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة.

و للصاحب عليه السلام منذ ولد الى هذا الوقت و هو شهر ربيع الأول سنة اثنين و ثلاثين و ثلاثمائة، ست و سبعون سنة و أحد عشر شهرا و نصف شهر. قام مع أبيه أبى محمد عليهما السلام أربع سنين و ثمانية أشهر و منها منفردا بالإمامة اثنتان و سبعون سنة و شهورا.

و قد تركنا بياضا لمن يأتى بعدنا و السلام.

ص: ٢٧٤

الفهرست

كلمة الناشر ٥

ترجمة المؤلف ٧

القسم الاول اتصال الحجج و الأنبياء من آدم الى محمد (ص). ١٣

مقدمة في بدء الخليقة ١٥

جند العقل ١٦

جند الجهل ١٦

بدء الخليقة ١٧

هبوط آدم (ع) ٢٠

هبة الله (شيث) بن آدم ٢٢

ريسان (أنوش) بن هبة الله ٢٥

قينان (أمحوق) بن ريسان ٢٥

الحيلث بن قينان ٢٥

غنميشا بن الحيلث ٢٦

أخنوخ أو (هرمس) و هو إدريس بن غنميشا ٢٦

برد بن أخنوخ ٢٩

أخنوخ بن برد بن أخنوخ ٢٩

متوشلخ بن اخنوخ ٢٩

لمك (و هو ارفخشد) بن متوشلخ ٢٩

نوح بن ارفخشد ٢٩

ص: ٢٧٦

سام بن نوح ٣٣

ارفخشد بن سام ٣٤

شالغ بن ارفخشد ٣٦

هود بن شالغ ٣٧

فالغ بن هود ٣٨

يروغ بن فالغ ٣٨

نوش بن امين ٣٨

صاروغ بن يروغ ٣٩

تاجور بن صاروغ ٣٩

تارخ بن تاجور ٣٩

إبراهيم بن تارخ ٣٩

إسماعيل بن إبراهيم ٤٥

اسحاق بن إبراهيم ٤٦

يعقوب بن اسحاق ٤٦

يوسف بن يعقوب ٤٨

بيرز بن لاوى بن يعقوب ٥٠

أحرب بن بيرز بن لاوى ٥٠

ميتاح بن أحرب ٥٠

عاق بن ميتاح ٥٠

خيام بن عاق ٥٠

مادوم بن خيام ٥١

شعيب بن نابت بن إبراهيم ٥١

يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف ٦٤

فينحاس بن يوشع ٦٦

ص: ٢٧٧

بشير بن فينحاس ٦٦

جبرئيل بن بشير ٦٦

ابلث بن جبرئيل ٦٦

أحمر بن ابلث ٦٧

محتان بن أحمر ٦٧

عوق بن محتان ٦٧

طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب ٦٧

داود ٦٩

سليمان بن داود ٧٢

آصف بن برخيا ٧٦

صفورا بن آصف ٧٦

مبنة بن صفورا ٧٦

هندوا بن مبنة ٧٧

أسفرا بن هندوا ٧٧

رامين بن أسفرا ٧٧

اسحاق بن رامين ٧٧

ايم بن اسحاق ٧٧

زكريا بن ايم ٧٨

اليسابغ ٧٨

روبييل بن اليسابغ ٧٨

المسيح عيسى بن مريم ٧٩

شمعون ٨٤

يحيى بن زكريا ٨٥

دانيال ٨٧

ص: ٢٧٨

مكيخا بن دانيال ٨٨

انشوا بن مكيخا ٨٨

رشيخا بن انشوا ٨٨

نسطورس بن رشيخا ٨٩

مرعيد بن نسطورس ٨٩

بحيرا ٨٩

منذر بن شمعون ٨٩

سلمة بن منذر ٨٩

برزة بن سلمة ٩٠

أبى بن برزة ٩٠

دوس بن أبى ٩٠

أسيد بن دوس ٩٠

هوف ٩٠

يحيى بن هوف ٩٠

اتصال الحجج و الاوصياء ٩١

القسم الثانى

من سيدنا محمد (ص) حتى ولادة المهدي (ع) ٩١

مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٩٣

الوحى ١١٥

حديث الدار ١١٧

المعراج ١١٩

تأمر قريش، و معجزاته (ص) ١١٩

الهجرة و المبيت ١٢٢

ص: ٢٧٩

الدعوة ١٢٣

حجة الوداع ١٢٣

الوصية ١٢٤

وفاة الرسول (ص) ١٢٥

خطبة أمير المؤمنين (ع) ١٢٧

ايمان على (ع) ١٣٤

كفالة ابي طالب للنبي (ع) ١٣٤

مولد على (ع) ١٣٨

في الحوادث التي اعقبت وفاة النبي (ص) ١٤٥

معجزات على (ع) ١٥١

رد الشمس للامام على (ع) ١٥٣

كراماته الاخرى (ع) ١٥٤

شهادة الامام على (ع) ١٥٥

الحسن السبط (ع) ١٥٧

الحسين الشهيد (ع) ١٦٣

على السجاد (ع) ١٦٨

محمد الباقر (ع) ١٧٦

جعفر الصادق (ع) ١٨٣

موسى الكاظم (ع) ١٨٩

على الرضا (ع) ٢٠١

محمد الجواد (ع) ٢١٦

على الهادي (ع) ٢٢٨

الحسن العسكري (ع) ٢٤٢

قيام صاحب الزمان و هو الخلف الزكى ٢٥٧